

# بناء دولة الاسلام

١ - ١٠

محمود شاكر

المكتب الاسلامي

بحقوق الطبع محفوظة  
الطبعة الأولى  
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

المكتب الاسلامي  
بيروت : ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥.٦٣٨ - برقية : اسلامياً

بُيَاة دَوْلَةِ الْإِسْلَام

- ١ -

ابْنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَبُو سَبْرَةَ بْنِ أَبِي هُرَيْرَةَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَانَ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُرِيدُونَ  
مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا بِمِقْدَارٍ مَا يُبَلِّغُهُمُ الْآخِرَةَ، لِذَا لَمْ يَرْغَبُوا فِيهَا،  
فَكُتِبَتْ لَهُمُ السَّعَادَةُ، وَلَمْ يَتَظَاهَرُوا بِأَعْمَالِهِمْ، فَخَلَدَهَا لَهُمْ  
التَّارِيخُ، وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى بَقَاءِ ذِكْرِهِمْ، فَحَفِظَهُ لَهُمُ الْخَلْفُ،  
وَلَكِنْ كَانَ التَّارِيخُ قَدْ اسْتَجَابَ لِطَلَبِ بَعْضِهِمْ فَأَسْكَنَهُمْ فِي  
زَاوِيَةٍ بَعِيدَةٍ عَنِ الْأَنْظَارِ، وَسَلَّطَ الْأَضْوَاءَ عَلَى غَيْرِهِمْ، أَوْ أَنَّ  
بَعْضَ الْأَعْمَالِ الْكَبِيرَةِ مِنْ خِلَافَةِ وَقِيَادَةِ عَامَّةٍ قَدْ كَشَفَتْ  
النَّقَابَ عَنْ أَصْحَابِهَا، فَظَهَرُوا عَلَى حَقِيقَتِهِمْ قِمَّةً شَامِخَةً،  
عَاشَ صَحَابَةُ آخَرُونَ فِي ظِلِّهَا وَإِنْ كَانَ ارْتِفَاعُهُمْ لَا يَقِلُّ عَنْهَا،  
وَمِنْ هَؤُلَاءِ أَبُو سَبْرَةَ بْنُ أَبِي رُهْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مِنْ عَادَاتِ الْعَرَبِ مُنْذُ الْقَدِيمِ أَنْ يَخْتَارَ الرَّجُلُ لِبَنِيهِ

بَنَاتِ أَفْضَلِ الْأَسْرِ وَأَعْرِقَهَا، لَمْ يَكُنْ ذَاكَ فَقَطْ لِإِنْجَابِ  
الْوَلَدِ الَّذِي يُمَكِّنُهُ مِنَ السِّيَادَةِ، وَيُوَهِّلُهُ ذِكَاؤُهُ الْوِرَاثِيَّ  
لِلْقِيَادَةِ حَيْثُ تَشِيعُ الْحِكْمَةُ « كَادَتِ الْمَرْأَةُ أَنْ تَلِدَ أَخَاهَا »  
وَإِنَّمَا كَانَ أَيْضاً لِرِتْبَاطِ الْأَسْرِ ذَاتِ الْمَكَانَةِ بِنَوْعٍ مِنَ الْقَرَابَةِ  
وَإِمْكَانِيَّةِ إِيجَادِ نَوْعٍ مِنَ الْوَشَائِحِ ؛ يَجْعَلُهَا تَقِفُ صَفّاً وَاحِداً  
أَمَامَ أَعْدَائِهَا .

كَانَتْ بُطُونُ قُرَيْشٍ اثْنِي عَشَرَ بَطْناً، وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ  
الْقَبِيلَةُ كُلُّهَا يَدَاً وَاحِدَةً أَمَامَ الْقُرَى الْأُخْرَى أَوْ الْقَبَائِلِ  
الثَّانِيَةِ الَّتِي تُقِيمُ خَارِجَ حَرَمِهَا إِلَّا أَنْ بُطُونَهَا كَثِيراً مَا كَانَتْ  
تَتَنَافَرُ وَتَخْتَلِفُ، وَتَتَبَايَنُ أَرَاؤُهَا وَتَتَقَسِّمُ، وَقَدْ يُؤَدِّي هَذَا إِلَى  
الْعَدَاوَةِ فِيمَا بَيْنَهَا، وَتَكُونُ الْغَلَبَةُ بِلَا شَكٍّ لِأَكْثَرِهَا عَدَداً أَوْ  
أَكْبَرِهَا حِلْفاً<sup>(١)</sup>، أَوْ إِلَى تِلْكَ الَّتِي لَهَا بَيْنَ الْبُطُونِ الْأُخْرَى  
قَرَابَاتٌ تَجْعَلُهَا تَقِفُ إِلَى جَانِبِهَا أَوْ تُدَافِعُ عَنْهَا، أَوْ يُخَذَّلُ  
بَعْضُ الْأَحْلَافِ عَنْهَا فَيَكُونُ لَهَا الْمَوْقِفُ الَّذِي تُحْسَدُ عَلَيْهِ .

وَنَعْرِفُ مِنْ تَارِيخِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مُنْذُ أَوَّلِ عَهْدِهَا  
كَيْفَ كَانَ لِدَوْرِ الْقَرَابَةِ أَثَرٌ لَا يُنْكَرُ، وَلِدَوْرِ الصَّلَاتِ أَهْمِيَّةٌ  
لَا يُمَكِّنُ إِغْفَالَهَا، سَوَاءً أَكَانَ فِي الدَّفَاعِ عَنْ هَذَا الدِّينِ

(١) الْحِلْفُ: المعاهدة على التعاضد والتساعد .

الْجَدِيدِ أَمْ فِي اعْتِنَاقِ وَحِمَايَةِ بَعْضِ أَفْرَادِهِ، وَيَبْدُو هَذَا بِشَكْلٍ وَاضِحٍ جَلِيٍّ فِي إِسْلَامِ حَمْزَةِ<sup>(١)</sup> رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَحِمَايَةِ أَبِي طَالِبٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِجَارَةِ الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيِّ<sup>(٢)</sup> لَهُ بَعْدَ هِجْرَتِهِ إِلَى الطَّائِفِ، وَأَمْرٍ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ الْمَخْزُومِيِّ<sup>(٣)</sup> فِي نَقْضِ صَحِيفَةِ الْمُقَاطَعَةِ، وَمَدِّ يَدِ الْعَوْنِ

(١) كان أبو جهل قد اعترض رسول الله ﷺ عند الصفا فأذاه وشتمه ونال منه ما يكره من العيب لدينه، فذكر ذلك لحمزة بن عبد المطلب عم رسول الله، فأقبل نحو أبي جهل حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها ضربة شجه منها شجة منكورة، وقامت رجال من بني مخزوم قبيلة أبي جهل لينصروا صاحبهم من حمزة وقالوا ما نراك يا حمزة إلا قد صبوت؟ قال حمزة ومن يمنعني وقد استبان لي منه ما أشهد أنه رسول الله وان الذي يقول حق، فوالله لا أنزع فامنعوني إن كنتم صادقين. وكان هذا سبب اسلام حمزة رضي الله عنه.

(٢) المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، رئيس بني نوفل في الجاهلية، وقائدهم في حرب الفجار، ولما انصرف رسول الله ﷺ عن أهل الطائف وعاد متجهاً إلى مكة، نزل بقرب - حراء - فبعث إلى بعض حلفاء قريش ليجبروه في دخول مكة فامتنعوا، فبعث إلى المطعم بن عدي بذلك، فتسلح المطعم وأهل بيته وخرج بهم حتى أتوا المسجد، فأرسل من يدعو النبي ﷺ للدخول، فدخل مكة وطاف بالبيت وصلى عنده، ثم انصرف إلى منزله آمناً. وهو الذي أجاز سعد بن عبادَةَ، وقد دخل مكة معتمراً، وتعلقت به قريش، فأجاره مطعم، وأطلقه، وكان أحد الذين مزقوا الصحيفة التي كتبها قريش على بني هاشم، وعمي في كبره ومات قبل معركة بدر، وهو على دين آبائه.

(٣) زهير بن أبي أمية المخزومي: ابن عمه رسول الله ﷺ عاتكة، وأخو أم سلمة زوج رسول الله. اشترك مع المطعم ابن عدي وهشام بن عمرو في تمزيق

إِلَى أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعِيشُونَ فِي شَعْبِ أَبِي طَالِبٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ،  
وَقَدْ قَاطَعَتْهُمْ عَشِيرَتُهُمْ ، وَابْتَعَدَ عَنْهُمْ أَبْنَاءُ قَبِيلَتِهِمْ .

كَانَ مِنْ أَشْهَرِ بَطُونِ قُرَيْشٍ وَفِي مَرْكَزِ الذُّؤَابَةِ فِيهَا بَنُو  
عَبْدٍ مَنَافٍ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ انْقَسَمَ هَذَا الْفَرْعُ إِلَى هَاشِمِيِّينَ  
وَأُمَوِيِّينَ إِلَّا أَنَّهُ يُعَدُّ فَرْعًا وَاحِدًا عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا كَانَ مِنْ  
تَسَابُقٍ عَلَى الرِّعَامَةِ بَيْنَ هَذَيْنِ الْفَخْذَيْنِ .

كَانَ بَنُو هَاشِمٍ فِي مَرْكَزِ الصَّدَارَةِ بَيْنَ قُرَيْشٍ كُلِّهَا ، وَكَانَ  
أَكْثَرُهُمْ مَرْكَزًا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بْنُ هَاشِمٍ ، وَقَدْ جَمَعَ عِدَّةَ نِسَاءٍ  
مِنْ بَطُونِ قُرَيْشٍ الْمُخْتَلِفَةِ وَبِخَاصَّةٍ تِلْكَ الَّتِي لَهَا شَهْرَتُهَا  
وَلَهَا وَرْثُهَا وَقِيَمَتُهَا ، وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ  
مَخْزُومٍ جَدَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلِدَ لَهُ مِنْهَا عَبْدُ مَنَافٍ (أَبُو  
طَالِبٍ) وَالزَّيْبُرُ وَعَبْدُ اللَّهِ وَبَنَاتُهُ كُلُّهُنَّ بِاسْتِثْنَاءِ صَفِيَّةَ ،  
وَكَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ ثَانِيَةٌ هِيَ هَالَةُ بِنْتُ  
أَهْيَبِ الزَّهْرِيَّةُ بِنْتُ عَمِّ أَمْنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ

---

الصحيفة، اذ خاطب أهل مكة قائلاً: يا أهل مكة أنا أكل الطعام ونلبس الثياب  
وبنو هاشم هلكت لا يتعاونون ولا يتتبع منهم، والله لا أقعد حتى تشق هذه  
الصحيفة القاطعة الظالمة وايدة زمعة بن الاسود وأبو البختری بن هشام بن عمرو  
والمطعم بن عدي ثم قام الاخير إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد اكلتها إلا  
باسمك اللهم .

أَمَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ لَهُ مِنْهَا حَمَزَةٌ وَصَفِيَّةٌ ... إِضَافَةً إِلَى نِسَاءِ أُخْرَيَاتٍ، كُلُّهُنَّ مِنْ أَسْرِ مَرْمُوقَةٍ وَفُرُوعٍ مَعْرُوفَةٍ، فَكَانَ عَدَدُ أَوْلَادِهِ عَشْرَةً، وَلَهُ مِنْ الْبَنَاتِ سِتٌّ، وَكَذَا اخْتَارَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ لِأَبْنَائِهِ مِثْلَ الَّذِي اخْتَارَ لِنَفْسِهِ، وَفِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ فَقَدْ كَانَتْ بَنَاتُهُ تَحْتَ أَبْنَاءِ سَادَةِ قُرَيْشٍ. وَلِهَذَا كُلَّهُ فَقَدْ زَادَ مَرْكَزُهُ بَيْنَ أَفْرَادِ قُرَيْشٍ عَامَّةً.

كَانَتْ بَنَاتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ نِسَاءَ ذَوَاتِ وَلَدٍ وَوُدٍّ، أَنْجَبْنَ الْكَثِيرَ، وَطَمَعَ فِي زَوَاجِهِنَّ الْكَثِيرُ، تَزَوَّجَتْ إِحْدَاهُنَّ، وَهِيَ بَرَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَحَدَ الْعَامِرِيِّينَ الْمَشْهُورِينَ سَبْرَةَ بِنْتُ عَبْدِ الْعُزَّى، وَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ أَنْجَبَتْ غُلَامًا عُرِفَ بِاسْمِ رُحْمٍ. تَرَعَّرَ هَذَا الْغُلَامُ عَلَى التَّرَفِ وَالنَّعِيمِ حَتَّى عُرِفَ أَبُوهُ بِهِ لِشِدَّةِ الْوَلَعِ بِهِ، فَلَمْ يُعْرِفِ الْآبُ إِلَّا بِاسْمِ ابْنِهِ فَيَقَالُ أَبُو رُحْمٍ، وَكَذَا لَمْ يُعْرِفِ الْإِبْنُ إِلَّا بِكُنْيَتِهِ فَيَقَالُ: أَبُو سَبْرَةَ. وَالْكُنْيَةُ دَلِيلُ الْإِحْتِرَامِ وَالْحُبِّ. وَتَكْنِي الْعَرَبُ عَادَةً الْأَبْنَاءَ بِأَبَائِهِمْ وَبِخَاصَّةِ الْوَلَدِ الْأَكْبَرِ، وَإِذَا فَقِدَ الْآبُ، وَارْتَحَلَ عَنِ الْأُسْرَةِ إِلَى الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ، بَقِيَ اسْمُهُ مَذْكُورًا.

لَمْ تَطُلْ حَيَاةُ بَرَّةَ مَعَ سَبْرَةَ بِنْتُ عَبْدِ الْعُزَّى إِذْ تُوَفِّيَ عَنْهَا، إِلَّا أَنَّ بَنَاتِ الزَّعَمَاءِ قَلَّمَا يَقْعُدْنَ بِلَا زَوَاجٍ، وَإِنْ تَقَدَّمَتْ

بِهِنَّ أَلَسْنَ أَوْ كَثُرَ لَهُنَّ أَلْوَلَدُ. إِذْ غَالِبًا مَا يَتَقَدَّمُ إِلَيْهِنَّ  
الْأَشْرَافُ، يَطْلُبُونَ الزَّوْاجَ مِنْهُنَّ لِصِلَةِ النَّسَبِ وَرَبْطِ الْأَسْرِ  
وَأَنْجَابِ أَلْوَلَدِ وَبِخَاصَّةٍ فِي الْبَيْتَةِ الْقَبِيلَةِ الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَى كَثَرَةِ  
أَلْوَلَدِ وَقِيَامِ الْأَحْلَافِ وَالْخُصُومَاتِ الدَّائِمَةِ.

تَقَدَّمَ إِلَى بَرَّةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَحَدُ الْمَخْزُومِيِّينَ  
الْمَشْهُورِينَ وَهُوَ عَبْدُ الْأَسَدِ بْنُ هِلَالٍ الْمَخْزُومِيُّ، وَوَافَقَ  
أَبُوهَا عَلَى الزَّوْاجِ، وَأَنْتَقَلَتْ بَرَّةُ مِنْ بَيْتِ عَامِرٍ عُرِفَ  
بِالْصَّدَارَةِ إِلَى بَيْتِ مَخْزُومِيٍّ لَا يَقِلُّ عَنْ الْأَوَّلِ وَجَاهَةً، وَلَمْ  
تَلْبَثْ بَرَّةُ أَنْ أَنْجَبَتْ مِنْ عَبْدِ الْأَسَدِ وَلَدًا عُرِفَ بِاسْمِ عَبْدِ  
اللَّهِ وَهُوَ أَبُو سَلَمَةَ الَّذِي تَنَكَّلَمُ عَنْهُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فِي  
بَحْثٍ خَاصٍّ.

عَاشَ أَبُو سَبْرَةَ بَيْنَ الْعَامِرِيِّينَ يَتِيمًا وَلَكِنَّهُ مَوْضِعُ الْإِحْتِرَامِ  
وَالْتَقْدِيرِ مِنْ كُلِّ أَفْرَادِ الْقَبِيلَةِ، فَمَا كَادَ يَبْلُغُ سِنَّ الشَّبَابِ  
حَتَّى اخْتِيرَتْ لَهُ إِحْدَى فَتَيَاتِ بَنِي عَامِرٍ لِتَكُونَ زَوْجَةً لَهُ وَهِيَ  
أُمُّ كُلْثُومِ بِنْتُ سَهْلٍ بْنُ عَمْرٍو، فَقَدْ عُرِفَتْ هِيَ بِجَمَالِهَا  
وَعُرِفَ أَبُوهَا بِوَجَاهَتِهِ وَتَمَّ الزَّوْاجُ، وَعَاشَ كِلَا الْعُرُوسَيْنِ  
حَيَاةَ هَيئَةٍ لَا يُعَكِّرُ صَفْوَهَا مُعَكَّرٌ بَيْنَ أَحْضَانِ بَنِي عَامِرٍ.

لَمْ تَطُلِ الْأَيَّامُ بِأَبِي سَبْرَةَ حَتَّى أَنْطَلَقَتْ الدَّعْوَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ

عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ  
(أَبْنِ خَالِهِ) وَرَنْتَ أَصْدَاؤَهَا فِي شِعَابِ مَكَّةَ، وَكَانَتْ حَدِيثَ  
الْقَوْمِ فِي كُلِّ نَادٍ. وَبَدَأَتْ أَشِعَّةُ النَّورِ تَصِلُ إِلَى أَصْحَابِ  
الْعُقُولِ. وَإِذَا كَانَتْ قَدْ أَغْشَتْ بِقُوَّتِهَا أَعْيُنَ بَعْضِ الْكُبَرَاءِ،  
فَأَعَمَّتْهُمْ زَعَامَتُهُمْ عَنْ أَنْ يَرَوْا النَّورَ، فَبَقُوا عَلَى الشَّرِكِ  
وَالْوَتَنِيتِ، إِلَّا أَنْ الْأَبْنَاءَ قَدْ أَسْرَعُوا فِي تَلْبِيَةِ الدَّعْوَةِ،  
وَسَاعَدَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَضُوحُهَا وَرَجَاحَةُ عَقْلِهِمْ وَعَدَمُ  
الْغَطْرَةِ، إِذْ لَمْ يَعُدْ يَعْزِيهِمْ بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ بِاللَّهِ ذَلِكَ الْمَرْكَزُ  
الَّذِي خَشِيَ آبَاؤُهُمُ الْجَاهِلِيُّونَ ضِيَاعَهُ.

كَانَ أَبُو سَبْرَةَ فِي طَلِيعَةِ هَؤُلَاءِ الشَّبَّانِ الْمُؤْمِنِينَ، فَزَادَتْ  
رَوَابِطُ الْقَرَابَةِ مَتَانَةً وَأَوَاصِرُ الْمَحَبَّةِ قُوَّةً، بَلْ إِنَّ رَابِطَةَ  
الْعَقِيدَةِ لَا تَعْدِلُهَا رَابِطَةُ، وَلَا تُسَاوِيهَا صِلَةٌ، وَلَا يُكَافِئُهَا لِقَاءٌ،  
وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِدَ أَبِي سَبْرَةَ وَزَعِيمَهُ وَسَيِّدَهُ وَحَبِيبَهُ  
وَفَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ رَسُولُهُ الْأَمِينُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِهِدَايَةِ الْبَشَرِ  
أَجْمَعِينَ. وَأَسْلَمَتْ مَعَ أَبِي سَبْرَةَ زَوْجَتُهُ أُمُّ كُلْثُومِ بِنْتُ سَهِيلِ  
بْنِ عَمْرِو<sup>(١)</sup>، وَلَمْ يُخْفِهَا مَا عُرِفَ عَنْ أَبِيهَا مِنْ عِدَاءٍ

---

(١) أُمُّ كُلْثُومِ بِنْتُ سَهِيلِ بْنِ عَمْرِو: وَامْهَا فَاخْتَتَمَتْ بِنْتُ عَامِرِ بْنِ نُوْفَلِ بْنِ  
عَبْدِ مَنَافٍ وَقَدْ وَلَدَتْ لِأَبِي سَبْرَةَ مُحَمَّدًا وَعَبْدَ اللَّهِ.

لِلْإِسْلَامِ وَوُقُوفِهِ ضِدَّهُ فِي كُلِّ مَحْفَلٍ وَنَادٍ<sup>(١)</sup>، بَلْ لَمْ تَكُنْ هِيَ الْمُؤْمِنَةُ الْوَحِيدَةُ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ فَأَخْتَهَا سَهِيلَةُ<sup>(٢)</sup> زَوْجُ أَبِي حَذِيفَةَ بْنِ عُتْبَةَ<sup>(٣)</sup> كَانَتْ قَدْ أَسْلَمَتْ مَعَ زَوْجِهَا إِضَافَةً إِلَى الرِّجَالِ فَأَخُوها عَبْدُ اللَّهِ<sup>(٤)</sup> وَأَعْمَامُهَا حَاطِبٌ<sup>(٥)</sup> وَسَلِيطٌ<sup>(٦)</sup>

(١) سهيل بن عمرو بن عبد شمس، القرشي، العامري، من لؤي: خطيب قريش، وأحد ساداتها في الجاهلية، أسره المسلمون يوم بدر، وافتدى، وهو الذي تولى أمر صلح الحديبية من جانب المشركين، وأقام على دينه إلى يوم الفتح، بمكة فأسلم، وسكنها ثم سكن المدينة، واشترك في الفتح، وكان من قادة اليرموك، وتوفي بالطاعون في الشام عام ١٨ للهجرة، ويقال انه استشهد يوم اليرموك. (٢) سهيلة بنت سهيل بن عمرو: وأمها فاطمة بنت عبد العزى ابن أبي قيس من رهط زوجها سهيل بن عمرو.

(٣) أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس: صحابي هاجر إلى الحبشة مع زوجته سهيلة ثم إلى المدينة. وشهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها، واستشهد يوم اليمامة عام ١٢ هـ وكان اسمه هشيم وقيل هاشم، وقد آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عباد بن بشر وقد قتلا شهيدين يوم اليمامة.

(٤) عبد الله بن سهيل بن عمرو: هاجر إلى الحبشة مع من هاجر، وبعد عودته من هجرته عاش مستضعفًا في مكة إذ لم يستطع الهجرة إلى المدينة، فلما كانت بدر خرج مع أهل مكة ثم فر إلى المسلمين فشهدوا معهم واستشهد يوم اليمامة ١٢ هـ.

(٥) حاطب بن عمرو: هاجر إلى الحبشة مع من هاجر، وشهد بدرًا، وقيل أنه آخر من خرج من الحبشة مع جعفر بن أبي طالب أي لم يشهد بدرًا. كما قالوا: أنه هو الذي زوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة.

(٦) سليط بن عمرو: أول من هاجر إلى الحبشة، واستشهد يوم اليمامة.



وَالسَّكَرَانُ<sup>(١)</sup> كُلَّهُمْ كَانُوا قَدْ دَانُوا بِالْإِسْلَامِ وَاعْتَنَقُوهُ.

وَأَشَدَّ أَدَى قُرَيْشٍ عَلَى هَذِهِ الطَّلِيعَةِ الْمُؤْمِنَةِ وَتَحَمَّلَ أَبُو سَبْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا تَحَمَّلَ مِنْ عَذَابٍ مَادِّيٍّ وَحَرْبٍ مَعْنَوِيَّةٍ، وَلَمْ يَرِ إِلَّا صَابِرًا صَامِتًا عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ مَا لَقِيَ.

فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا يُصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنْ آلْبَاءٍ، وَمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْعَافِيَةِ، بِمَكَانِهِ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَمْنَعَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ، قَالَ لَهُمْ: لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ؛ فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ.

فَخَرَجَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، مَخَافَةً مِنَ الْفِتْنَةِ وَفَرَارًا إِلَى اللَّهِ بِدِينِهِمْ، فَكَانَتْ أَوَّلَ هِجْرَتِهِ فِي الْإِسْلَامِ، وَلَعَلَّ هَذَا إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الدُّعَاةَ يَجِبُ أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَرَوْنَ فِيهِ الْمُنَاحَ

---

(١) السكران بن عمرو: هاجر إلى الحبشة مع زوجته سودة بنت زمعة ابنة عمه وبعد عودته من هجرته إلى مكة بشهر توفي وذلك قبل هجرة المسلمين إلى المدينة. وقد تزوج رسول الله ﷺ بزوجه بعد وفاة خديجة رضي الله عنها.

الْمَلَائِمَ لِلدَّعْوَةِ مَهْمَا بَعْدَ هَذَا الْمَكَانِ، أَوْ اخْتَلَفَتْ هُوِيَّةُ  
أَبْنَائِهِ.

كَانَ أَبُو سَبْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرِينَ مُطِيعًا  
مُنْفَذًا إِشَارَةَ نَبِيِّهِ، وَكَانَتْ مَعَهُ زَوْجُهُ أُمُّ كُلْثُومٍ.

لَمْ يَطْلُ مُكْتًا الْمُسْلِمِينَ فِي الْحَبَشَةِ إِذْ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ مِنْ  
خُرُوجِهِمْ رَجَعُوا إِلَى مَكَّةَ حَيْثُ لَمْ تَتَيَسَّرْ لَهُمْ الْإِقَامَةُ هُنَاكَ؛  
لِأَنَّهُمْ قَلِيلُو الْعَدَدِ - وَفِي الْكَثَرَةِ بَعْضُ الْأَنْسِ - وَأَضِيفَ  
إِلَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَشْرَافُ قُرَيْشٍ، وَمَعَهُمْ نِسَاؤُهُمْ، وَهَؤُلَاءِ لَا  
يَطِيبُ لَهُمْ عَيْشٌ فِي دَارِ غُرَبَةٍ بِهَذِهِ الْحَالَةِ<sup>(١)</sup>.

وَعِنْدَمَا رَجَعُوا إِلَى مَكَّةَ وَجَدُوا أَنْفُسَهُمْ أَشَدَّ غُرَبَةً مِمَّا  
كَانُوا فِي أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَرَأَوْا الْأَذَى يَحِيقُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ  
مَكَانٍ، وَقُرَيْشٌ قَدْ قَرَّرَتْ مُقَاطَعَةَ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَإِخْرَاجَهُمْ  
مِنْ مَكَّةَ وَالتَّضْيِيقَ عَلَيْهِمْ؛ فَلَا يَبِيعُونَهُمْ شَيْئًا، وَلَا يَبْتَاعُونَ  
مِنْهُمْ، حَتَّى يُسَلِّمُوا مُحَمَّدًا - ﷺ - لِلْقَتْلِ وَكَتَبُوا بِذَلِكَ  
صَحِيفَةً، وَضَعُوهَا فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ، فَانْحَازَ بِسَبَبِ ذَلِكَ بَنُو

---

(١) نور اليقين للشيخ محمد الخضري ص ٥٨.

هَاشِمٍ إِلَى شَيْبِ أَبِي طَالِبٍ، وَدَخَلَ مَعَهُمْ بَنُو الْمُطَّلِبِ سِوَاءِ  
فِي ذَلِكَ مُسْلِمُهُمْ وَكَافِرُهُمْ، مَا عَدَا أَبَا لَهَبٍ فَإِنَّهُ كَانَ مَعَ  
قُرَيْشٍ، وَأَنخَذَ عَنْهُمْ بَنُو عَمَتِهِمْ عَبْدِ شَمْسٍ وَتَوَفَّلَ ابْنِي  
عَبْدٍ مَنَافٍ، فَجَهَدَ الْقَوْمُ حَتَّى كَانُوا يَأْكُلُونَ وَرَقَ الشَّجَرِ،  
وَكَانَ أَعْدَاؤُهُمْ يَمْنَعُونَ التَّجَارَ مِنْ مُبَايَعَتِهِمْ، وَفِي مُقَدِّمَةِ  
الْمَانِعِينَ أَبُو لَهَبٍ.

وَبَعْدَ دُخُولِ الرَّسُولِ وَقَوْمِهِ الشَّعْبَ، أَمَرَ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ  
أَنْ يُهَاجِرُوا إِلَى الْحَبَشَةِ؛ حَتَّى يُسَاعِدَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى  
الْإِغْتِرَابِ، فَهَاجَرَ مُعْظَمُهُمْ، وَكَانُوا نَحْوَ ثَلَاثَةِ وَتَمَانِينَ رَجُلًا  
وَتَمَانِي عَشْرَةَ امْرَأَةً، وَكَانَ أَبُو سَبْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مُقَدِّمَةِ  
هَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرِينَ مَعَ زَوْجِهِ أُمِّ كَلْثُومٍ، بِنْتِ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو.  
إِلَّا أَنَّ الْغُرْبَةَ أَثَرَتْ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ كَانَتْ أَخَفَّ مِمَّا كَانَتْ  
عَلَيْهِ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى لِكَثَرَتِهِمْ الْآنَ، وَبَدَأَتْ تَصِلُ إِلَيْهِمْ  
الْأَخْبَارُ بِقُوَّةِ الْإِسْلَامِ الْجَدِيدَةِ بَعْدَ إِسْلَامِ عُمَرَ بْنِ  
الْخَطَّابِ وَنَقْضِ الصَّحِيفَةِ وَخُرُوجِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الشَّعْبِ،  
فَبَدَأُوا يَعُودُونَ إِلَى مَكَّةَ، وَكَانَ أَبُو سَبْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ  
الَّذِينَ عَادُوا، وَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنْهُمْ دُخُولَ مَكَّةَ إِلَّا  
مُسْتَخْفِيًا أَوْ فِي جِوَارٍ أَحَدٍ، وَكَانَ عَدَدُ الَّذِينَ عَادُوا مِنْ

الْحَبْشَةَ ثَلَاثَةَ وَثَلَاثِينَ رَجُلًا.

مَكَثَ أَبُو سَبْرَةَ فِي مَكَّةَ يَتَحَمَّلُ الضَّنْكَ وَالْأَذَى، وَكَانَ  
الْإِسْلَامُ قَدْ ظَهَرَ فِي الْمَدِينَةِ، وَبَدَأَ يَنْتَشِرُ بَيْنَ أَهْلِهَا، وَكَانَتْ  
بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ قَدْ تَمَّتْ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ الْأَنْصَارِ.  
فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا أَنْ يُهَاجِرُوا إِلَى  
الْمَدِينَةِ، وَسَارَ أَبُو سَبْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُهَاجِرًا فِرَارًا بِدِينِهِ،  
وَقَدْ اعْتَادَ ذَلِكَ، فَقَدْ سَبَقَ لَهُ أَنْ هَاجَرَ هِجْرَتَيْنِ، وَبِالْهَجْرَةِ  
يَتِمَكَّنُ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ الَّذِي أَمْتَرَجَ حُبَّهُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ، وَقَدْ صَارَ  
لَا يَعْأُ بِمُفَارَقَةِ الْأَهْلِ وَالْأَيَّامِ، وَلَا يَهْتَمُّ بِالْعَشِيرَةِ وَالْأَوْطَانِ.

أَذِنَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْهَجْرَةِ، وَانْتَقَلَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ إِلَى  
الْمَدِينَةِ، وَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا وَأَقَامَ؛ بَدَأَ يُؤَاحِي بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ  
وَالْأَنْصَارِ. وَكَانَ أَبُو سَبْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَسَلَمَةُ بْنُ  
أَبْنِ وَقْشٍ<sup>(١)</sup> مِنَ الْأَوْسِ أَخَوَيْنِ! وَعَاشَ أَبُو سَبْرَةَ فِي الْمَدِينَةِ  
صَامِتًا، إِذَا أَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحَقِّ بِغَزْوَةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ

---

(١) يقال أن سلمة بن سلامة والزبير بن العوام كانا أخوين. والواقع أن  
الزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود كانا أخوين، ولعل هذا الخلاف لأن الزبير  
وأبا سيرة كانا ينزلان معاً على منذر بن محمد بن عتبة.

سَارَ طَائِعًا. وَكَانَ أَبُو سَبْرَةَ وَالزَّيْتَرُ بْنُ الْعَوَّامِ يَنْزِلَانِ عَلَى مُنْذِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ أُحِيْحَةَ.

أُذِنَ لِلْمُسْلِمِينَ بِالْقِتَالِ « أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا. وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ » (١) وَخَرَجَ الْمُسْلِمُونَ يَعْتَرِضُونَ قَافِلَةَ قُرَيْشٍ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَرَادَ لَهُمْ ذَاتَ الشَّوْكَةِ، وَكَانَتْ غَزْوُهُ بَدْرَ، وَكَانَ أَبُو سَبْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي عِدَادِ جُنْدِ اللَّهِ، وَقَدْ أَبْلَىٰ بَلَاءً حَسَنًا، كَمَا أَبْلَىٰ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا، وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَعْرَكَةُ فُرْقَانًا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

وَشَهِدَ أَبُو سَبْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمَشَاهِدَ جَمِيعَهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَمْ يَتَوَانَ فِي غَزْوَةٍ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يُرَىٰ فِي كُلِّ مِنْهَا هَادِئًا، فَإِذَا جَدَّ الْجَدُّ، وَاحْتَدَمَ الْقِتَالُ؛ كَانَ أَسَدًا هَاصُورًا، يَتَقَدَّمُ نَحْوَ الْعَدُوِّ، لَا يَثْنِيهِ عَنْهُ إِلَّا أَنْ يَقُلَ سَيْفَهُ أَوْ يَقُلَ خَصْمَهُ، وَإِذَا انْتَهَى الْقِتَالُ عَادَ إِلَيْهِ هُدُوئُهُ.

أَعَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَبْلَ مُفَارَقَتِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَكَانَ أَبُو سَبْرَةَ فِي عِدَادِ هَذَا

الْبَعْثَ مَعَ كِبَارِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنَّ الْجَيْشَ  
 قَدْ تَوَقَّفَ بِسَبَبِ وِفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. ثُمَّ لَمْ يَلْبَثِ الْخَلِيفَةُ  
 أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ سَيَّرَ هَذَا الْجَيْشَ بَعْدَ وِفَاةِ الرَّسُولِ  
 الْكَرِيمِ؛ إِذْ لَمْ يَرْضَ أَنْ يَحُلَّ لِيَوَاءِ جَهَّزَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.  
 وَانْتَقَضَتِ الْجَزِيرَةُ بَعْدَ انْتِقَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى حُكْمِ  
 الْمَدِينَةِ، وَجَرَدَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِقِتَالِ الْمُرْتَدِّينَ،  
 وَلَبَّى أَبُو سَبْرَةَ الدَّعْوَةَ، وَاشْتَرَكَ فِي هَذَا الْقِتَالِ حَتَّى دَانَتْ  
 الْجَزِيرَةُ مَرَّةً أُخْرَى لِلْحُكْمِ الْإِسْلَامِيِّ.

تَحَرَّكَ الْجَيْشُ الْإِسْلَامِيُّ نَحْوَ الْعِرَاقِ يَنْشُرُ الدِّينَ،  
 وَيَدُكُ أَرْكَانَ الظُّلْمِ، وَيُقَاتِلُ الطُّغَاةَ فِي كُلِّ أَرْضٍ، وَكَانَتْ  
 هَذِهِ الْمِنْطَقَةُ مِيدَانِ جِهَادِ أَبِي سَبْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُجَاهِدُ  
 جُنْدِيًّا مَجْهُولًا تَحْتَ رَايَةِ كُلِّ قَائِدٍ، لَا هَمَّ لَهُ سِوَى نَشْرِ  
 الْإِسْلَامِ الَّذِي قَضَى أَكْثَرَ حَيَاتِهِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ.

ثُمَّ فُتِحَ جَنْبِيُّ الْعِرَاقِ عَلَى يَدِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ  
 عَنْهُ، ثُمَّ جَاءَهُ الْأَمْرُ بِالْإِنْتِقَالِ إِلَى الشَّامِ بِقِسْمٍ مِنْ جُنْدِهِ  
 لِمُسَاعَدَةِ الْجِيُوشِ فِيهَا. انْتَقَلَ خَالِدٌ إِلَى الشَّامِ وَأَبْقَى قِسْمًا  
 مِنْ جُنْدِهِ فِي الْعِرَاقِ، وَعَلَيْهِمُ الْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ، وَكَانَ أَبُو  
 سَبْرَةَ مَعَ الْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ بَقُوا فِي الْعِرَاقِ.

سَافَرَ الْمُثَنَّى إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ يَطْلُبُ الْمَدَدَ، وَتُوفِّيَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْأَمْرِ، وَعَمِلَ بِوَصِيَّةِ أَبِي بَكْرٍ، فَدَعَا إِلَى الْجِهَادِ، وَطَلَبَ مِنْ أَبِي عُبَيْدَةَ<sup>(١)</sup> إِعَادَةَ جُنْدِ خَالِدٍ إِلَى الْعِرَاقِ. وَجَعَلَ عُمَرُ أَبَا عُبَيْدٍ<sup>(٢)</sup> عَلَى رَأْسِ الْجَيْشِ الْمُتَّجِهَةِ نَحْوَ الْعِرَاقِ، وَكَانَتْ وَقْعَةُ الْجِسْرِ الَّتِي اسْتَشْهَدَ فِيهَا أَبُو عُبَيْدٍ وَعَدَدٌ مِنَ الْقَادَةِ، وَرَجَعَتِ الْأَمْرَةُ إِلَى الْمُثَنَّى<sup>(٣)</sup> وَكَانَتْ مَعْرَكَةُ الْبُؤَيْبِ<sup>(٤)</sup> الَّتِي أَنْتَصَرَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ.

---

(١) أصبح أبو عبيدة عامر بن الجراح قائد جند الشام بعد أن تولى عمر بن الخطاب الخلافة.

(٢) أبو عبيد بن مسعود الثقفي، قائد أول جيش سيره عمر بن الخطاب، وكان عمر لا يسلم القيادة إلا إلى الصحابة ولم يكن أبو عبيد صحابياً ولكنه أعطاه القيادة بصفته أول من لبى داعي الجهاد، وقد استشهد في معركة الجسر عام ١٣ هـ، وهو والد المختار الثقفي.

(٣) المثنى بن حارثة بن سلمة الشيباني: صحابي، فاتح، أسلم سنة تسع، وقدم على أبي بكر فأمره على قومه وأمهه بخالد بن الوليد، وأمه عمر بأبي عبيد وقد جرح في معركة الجسر، ثم عوفي، ثم أمه بسعد بن أبي وقاص، وانتقضت عليه جراحته فمات قبل وصول سعد إليه وذلك عام ١٤ هـ.

(٤) البويب: مكان قرب الكوفة جرت فيه معركة عظيمة، انتصر فيها المسلمون الذين كان يقودهم المثنى بن حارثة وجريز بن عبد الله البجلي الذي جاء مدداً للمثنى وذلك عام ١٣ هـ.

بَعَثَ الْخَلِيفَةُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ  
 أَمِيرًا عَلَى الْعِرَاقِ وَمَعَهُ سِتَّةُ آلَافٍ رَجُلٍ ، وَحَدَّثَتْ مَعْرَكَةُ  
 الْقَادِسِيَّةِ الَّتِي انْتَصَرَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ، وَعَادَتْ  
 الْعِرَاقُ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَكَانَتْ قَدْ نَقَضَتْ الْعَهْدَ بَعْدَ أَنْ فَتَحَهَا  
 خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى .

أَرْسَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنْ يَبْعَثَ  
 عُتْبَةَ بْنَ غَزْوَانَ <sup>(١)</sup> إِلَى أَرْضِ الْبَصْرَةِ ، وَكَانَتْ تُعْرَفُ آنَ ذَاكَ  
 بِأَسْمِ أَرْضِ الْهِنْدِ . فَسَارَ عُتْبَةُ إِلَى تِلْكَ الْجِهَاتِ وَفَتَحَ  
 الْأَبْلَةَ <sup>(٢)</sup> وَكَانَ أَبُو سَبْرَةَ فِي عِدَادِ جَيْشِ عُتْبَةَ .

لَقَدْ آنَ لِأَبِي سَبْرَةَ أَنْ يُعْرِفَ ، وَقَدْ حَاوَلَ إِلَّا يَظْهَرَ فِي  
 هَذِهِ الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ كُلِّهَا وَفِي الْغَزَوَاتِ الَّتِي خَاضَهَا جَمِيعَهَا  
 أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مَجْهُولًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ابْتِغَاءً وَجْهِ اللَّهِ لَا

---

(١) عتبة بن غزوان بن جابر بن وهيب الحارثي المازني، أبو عبد الله: باقى  
 مدينة البصرة صحابي، من أوائل الذين أسلموا. هاجر إلى الحبشة، وشهد بدرًا،  
 ثم شهد القادسية مع سعد بن أبي وقاص، مات وهو في الطريق إلى المدينة عام ١٧  
 هـ، ويعد من الرماة المعدودين، وكان طويلًا جليلًا، وقد روى أربعة أحاديث  
 عن النبي ﷺ .

(٢) الابلة: موقع البصرة الحالي، إذ أن البصرة قد اختطها عتبة عام ١٦ هـ  
 بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .



يُرِيدُ أَنْ يُعْرِفَ، وَلَا أَنْ يُذَكَّرَ اسْمُهُ إِلَّا أَنْ الْإِيَّامَ قَدْ كَشَفَتْهُ،  
وَالْمَعَارِكَ الَّتِي جَدَّتْ قَدْ تَطَلَّبَتْ أَنْ يَكُونَ الْقَائِدَ لَهَا،  
وَالْجُنْدَ الَّذِينَ عَرَفُوهُ فِي قِتَالِهِ قَدْ رَغَبُوا أَنْ يَكُونَ عَلَى  
مُقَدِّمَتِهِمْ، وَالْأَبْطَالَ الَّذِينَ اشْتَرَكُوا مَعَهُ فِي الْحُرُوبِ قَدْ  
قَدَّمُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لِمَا رَأَوْا مِنْهُ.

غَزَا الْعَلَاءُ الْحَضْرَمِيُّ<sup>(١)</sup> وَآلِي الْبَحْرَيْنِ فَارِسَ إِلَّا أَنْ  
جَيْشَهُ قَدْ أَحَاطَ بِهِ الْفُرسُ وَأَصْبَحَ مُهَدَّدًا بِالْفَنَاءِ، فَكَتَبَ عُمَرُ  
ابْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى عُتْبَةَ بْنِ غَزْوَانَ يَأْمُرُهُ بِأَنْ  
يُرْسِلَ جَيْشًا كَثِيفًا إِلَى الْمُسْلِمِينَ فِي فَارِسَ قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا،  
فَارْسَلَ عُتْبَةُ هَذَا الْجَيْشَ، وَفِيهِ كِبَارُ الْقَادَةِ، وَكَانَ تَعْدَادُهُ  
اَثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، وَعَلَيْهِ أَبُو سَبْرَةَ قَائِدًا. فَاسْتَطَاعَ هَذَا الْقَائِدُ  
الْجَدِيدُ وَالصَّحَابِيُّ الشَّيْخُ أَنْ يُنْقِذَ الْجَيْشَ الْإِسْلَامِيَّ وَأَنْ  
يَنْتَصِرَ عَلَى الْفُرسِ، ثُمَّ عَادَ بِجَيْشِهِ إِلَى الْبَصْرَةِ وَقَدْ حَقَّقَ مَا  
طُلِبَ مِنْهُ.

اسْتَأْذَنَ عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فِي الْحَجِّ، فَأَذِنَ  
لَهُ، فَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْبَصْرَةِ أَبَا سَبْرَةَ. وَلَكِنَّ عُتْبَةَ لَمْ يَلْبِثْ أَنْ

---

(١) العلاء الحضرمي: صحابي أصله من حضرموت سكن أبوه مكة فولد

فيها، وولاه رسول الله البحرين وبقي عليها حتى مات عام ١٢ هـ.

تُوفِّي، فَأَقَرَّ عُمَرُ أَبَا سَبْرَةَ وَالْيَا عَلَى الْبَصْرَةِ. وَلَكِنَّ أَبَا سَبْرَةَ كَانَتْ  
نَفْسُهُ تَحِنُّ إِلَى الْجِهَادِ وَمُصَارَعَةِ الْأَعْدَاءِ، وَتَطْلُبُ الشَّهَادَةَ،  
وَتَرَى فِي الْعَمَلِ الْإِدَارِيِّ مَا تَرَاهُ... فَطَلَبَ مِنَ الْخَلِيفَةِ أَنْ  
يُعْطِيهِ الْمَكَانَ الَّذِي فِيهِ مَجَالُ عَمَلِهِ؛ أَلَا وَهُوَ الْقِتَالُ.  
وَأَسْتَجَابَ الْخَلِيفَةُ لِطَلْبِهِ، فَاسْتَعْمَلَ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ<sup>(١)</sup> عَلَى  
الْبَصْرَةِ، وَالتَّحَقَّ أَبُو سَبْرَةَ بِالْجَيْشِ، يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَبَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ اتِّفَاقُ أَهْلِ  
الْأَهْوَازِ<sup>(٢)</sup> وَفَارِسِ<sup>(٣)</sup> بِقِيَادَةِ الْهَرْمَزَانَ<sup>(٤)</sup> عَلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ  
فَكَتَبَ إِلَى سَعْدِ أَمِيرِ الْكُوفَةِ بِأَمْرِهِ بِتَسْيِيرِ جَيْشٍ مِنَ الْكُوفَةِ

---

(١) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي: ولد في الطائف. اسلم عام ٥ للهجرة شهد بعدها الفتوح وفقد عينه في معركة اليرموك، ولي البصرة والكوفة، ومات وهو على الكوفة لمعاوية ابن أبي سفيان عام ٥٠ هـ.

(٢) الأهواز: المنطقة السهلية التي تقع شرقي نهر دجلة وشط العرب وهي ضمن حدود إيران اليوم وتعرف باسم (عربستان) الآن، على حين يسميها الفرس (خوزستان).

(٣) فارس الجزء الجنوبي من إيران بين الأهواز في الشمال الغربي ومكران في الجنوب الشرقي، ومن مدنها شيراز.

(٤) الهرمزان: من الذين دافعوا عن الدولة الفارسية في الأهواز، ونقض الصلح، مما جعل المسلمين يحملونه أسيراً إلى المدينة، وقد أتهم بالاشتراك في قتل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أبي لؤلؤة.

وَالْبَصْرَةَ بِقِيَادَةِ أَبِي سَبْرَةَ. كَمَا أَمَدَّهُ بِأَبِي مُوسَى  
 الْأَشْعَرِيِّ<sup>(١)</sup>، فَاسْتَطَاعَ الْمُسْلِمُونَ فِي هَذَا الْجَيْشِ فَتْحَ مَدِينَةِ  
 (تُسْتَرِ)<sup>(٢)</sup> وَأَسَرَ الْهُرْمَزَانَ، فَأَرْسَلَهُ أَبُو سَبْرَةَ إِلَى عُمَرَ بْنِ  
 الْخَطَّابِ مُوثِقًا مَعَ وَفْدٍ فِيهِمُ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ<sup>(٣)</sup> وَأَنْسُ بْنُ  
 مَالِكٍ<sup>(٤)</sup>. ثُمَّ اسْتَطَاعَ أَبُو سَبْرَةَ مُلَاحَقَةَ الْفُرسِ وَفَتَحَ مَدِينَةَ  
 (السُّوسِ)<sup>(٥)</sup> وَذَلِكَ عَامَ ١٧ هـ ثُمَّ قَصَدَ أَبُو سَبْرَةَ مَدِينَةَ  
 (جُنْدَ يَسَابُورَ)<sup>(٦)</sup> فَفَتَحَتْ لَهُ الْمَدِينَةُ أَبْوَابَهَا وَقَدْ قَبِلَتْ  
 الْعِزَّةَ... وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ كَانَ الْمُسْلِمُونَ بِقِيَادَةِ النُّعْمَانِ

---

(١) أبو موسى الأشعري: ولد في زبيد باليمن، وقدم مكة عند ظهور  
 الاسلام فأسلم، وهاجر إلى الحبشة ولاة الرسول على زبيد وعدن، وتولى أمر  
 البصرة أيام عمر ثم تولى أمر الكوفة، وبقي فيها حتى توفي عام ٤٤ هـ.  
 (٢) تستر: مدينة في شمال الأهواز، تقع على بعد ٩٥ كم من مدينة  
 (الأهواز) وتعرف اليوم باسم (شستر).

(٣) الأحنف بن قيس: سيد تميم أدرك النبي ﷺ ولم يره، أحد الشجعان  
 الفاتحين، توفي في الكوفة عند مصعب ابن الزبير عام ٧٢ هـ.

(٤) أنس بن مالك: صاحب الرسول وخادمه، أسلم صغيراً، توفي بالبصرة  
 عام ٩٣ هـ وهو آخر من مات من الصحابة فيها.

(٥) السوس مدينة في الأهواز غربي (تستر) إلى الشمال قليلاً تعرف اليوم  
 باسم (شوش).

(٦) جند يسابور: مدينة قديمة تقع بين مدينتي (الأهواز) و (تستر) في  
 منتصف الطريق بينهما، وهي غير معروفة الآن.

ابنِ الْمُقَرَّنِ الْمَزْنِيِّ<sup>(١)</sup> يَدْخُلُونَ (نَهَاوَنَدَ).

شَعَرَ أَبُو سَبْرَةَ بِالتَّعَبِ بَعْدَ فَتْحِ جُنْدِ يَسَابُورَ، وَرَأَى أَنْ جِسْمَهُ لَمْ يَعُدَّ يَقْوَى عَلَى الْقِتَالِ فَعَادَ إِلَى مَكَّةَ - بِإِذْنِ الْخَلِيفَةِ - يُقِيمُ فِيهَا، وَكَانَ قَدْ غَادَرَهَا مِنْذُ عَهْدِ طَوِيلٍ يَزِيدُ عَلَى عِشْرِينَ سَنَةً قَضَاهَا مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَعَاشَ بَعْدَهَا مَا يَقْرُبُ مِنْ ثَمَانِي عَشْرَةِ سَنَةً تُوْفِيَ بَعْدَهَا عَامَ ٣٥ هـ. فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِ سَيِّدِنَا عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَنْتَقَلَ إِلَى جَوَارِ رَبِّهِ قَرِيرَ الْعَيْنِ، وَكَمْ كَانَ يَرْجُو أَنْ يَلْقَى الشَّهَادَةَ فَقَدْ طَلَبَهَا فِي الْمَعَارِكِ الَّتِي خَاضَهَا كُلَّهَا وَمَا أَكْثَرَهَا وَلَكِنَّ اللَّهَ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ.. وَهَكَذَا انْتَهَتْ حَيَاةُ ابْنِ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ وَالْمُجَاهِدِ الْبَطَلِ وَالْقَائِدِ الْفَذِّ وَالْفَاتِحِ الْكَبِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

---

(١) النعمان بن المقرن: أسلم في السنة الخامسة، له عشر أخوة لهم كلهم شرف الصلحة والجهاد والفتح، استشهد في نهاوند عام ٢١ هـ.

بُيُوتَةُ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ

٢٠

ابْنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
أَبُو سَلَمَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِي  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ



# بسم الله الرحمن الرحيم

كَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرِو الْمُخْزُومِيَّةُ زَوْجَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ بَيْنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي تَزَوَّجَهُنَّ، فَوَلَدَتْ مِنْهُ ثَلَاثَةَ ذُكُورٍ، وَهُمْ: عَبْدُ مَنَافٍ<sup>(١)</sup> وَالزَّيْبُرُ<sup>(٢)</sup> وَعَبْدُ اللَّهِ<sup>(٣)</sup> كَمَا أُنْجَبَتْ لَهُ خَمْسَ بَنَاتٍ هُنَّ: أُمَيْمَةُ<sup>(٤)</sup> وَأَرْوَى<sup>(٥)</sup> وَبَرَّةٌ<sup>(٦)</sup> وَعَاتِكَةُ<sup>(٧)</sup> وَأُمُّ

- 
- (١) عبد مناف: ويكنى بأبي طالب، وقد غلبت كنيته على اسمه.
- (٢) الزبير: عم رسول الله وشقيق أبيه، تزوج عاتكة بنت أبي وهب بن عمرو بن عائذ المخزومي، وكان له منها عبد الله الذي أسلم وثبت مع رسول الله يوم حنين واستشهد في أجنادين.
- (٣) عبد الله والد رسول الله ﷺ.
- (٤) أميمة: كانت زَوْجَةَ جَحْشِ بْنِ رِثَابٍ وَقَدْ أَسْلَمَ أَوْلَادُهَا جَمِيعًا عَبْدُ اللَّهِ وَعَبِيدُ اللَّهِ وَعَبْدُ (أَبُو أَحَدٍ) وَزَيْبٌ وَحَنَّةٌ وَأُمُّ حَبِيبَةٍ ثُمَّ أُرْتَدَّ عُبَيْدُ اللَّهِ فِي الْحَبْشَةِ.
- (٥) أروى: كانت زَوْجَةَ عَمْرِو بْنِ وَهْبٍ بْنِ عَبْدِ قُصَيٍّ فَوَلَدَتْ لَهُ طَلِيحًا، ثُمَّ خَلَفَ عَلَيْهَا كَلْدَةُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ.
- (٦) برة: وكانت عند أبي رهم بن عبد العزى إلغامري، ثم خلفه عليها بعده عبد الأسد بن هلال المخزومي.
- (٧) عاتكة: وكانت زوجة أبي أمية بن المغيرة فولدت له عبد الله وزهيراً.

حَكِيمَ الْبَيْضَاءِ<sup>(١)</sup> وَهَنَّ سَائِرُ بَنَاتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِاسْتِثْنَاءِ صَفِيَّةَ<sup>(٢)</sup>.

وَجَرَتْ عَادَةُ النِّسَاءِ أَنْ يَرْغَبْنَ فِي زَوَاجِ بَنَاتِهِنَّ مِنْ أَبْنَاءِ خُؤُولِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ خَالَاتِهِنَّ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فَمِنْ أَبْنَاءِ عَشِيرَتِهِنَّ، وَتَرَى هَذَا بَوْضُوحٍ فِي الْحَيَاةِ الْقَبْلِيَّةِ وَبِخَاصَّةٍ إِذَا كَانَتْ قَبِيلَةُ الزَّوْجَةِ ذَاتَ مَكَانَةٍ؛ وَذَلِكَ لِتَجَعُّلِ لَابْنَتِهَا مَرْكَزًا، أَوْ لِتَزِيدِ فِي قُوَّةِ عَشِيرَتِهَا إِذَا كَانَ أَصْلُ آبْنَتِهَا فِي مَرْكَزِ السِّيَادَةِ. عَلَى حِينٍ أَنَّ الرِّجَالَ يَرْغَبُونَ فِي زَوَاجِ بَنَاتِهِمْ مِنْ أَبْنَاءِ عُمُومَتِهِنَّ، وَفِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ - وَفِي الْحَيَاةِ الْقَبْلِيَّةِ بِشَكْلِ خَاصٍّ - مِنْ أَبْنَاءِ الْعَشِيرَةِ ذَاتِ الْقُوَّةِ وَالنَّفُوذِ لِيَتَّخِذَ الرَّجُلُ مِنْ ذَلِكَ الزَّوْاجِ رِبَاطًا بَيْنَ الْأَسْرِ يَكُونُ لَهُ فِيهِ مَرْكَزُ الزَّعَامَةِ وَالسَّيْطَرَةِ، وَإِذَا كَانَتْ شَخْصِيَّةُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ تَحُولُ دُونَ سَيْطَرَةِ الزَّوْجَةِ عَلَيْهِ، أَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ الْقَبْلِيَّةَ تَقْضِي

- 
- (١) أم حكيم البيضاء : وكانت عند كريز بن ربيعة فولدت له (أروى) أم عثمان بن عفان رضي الله عنه.
- (٢) صفية : أمها هالة بنت أهيب من بني زهرة، وهي ابنة عم أمانة بنت وهب أم رسول الله، كما أنها انجبت حمزة بن عبد المطلب فصفية وحمزة من أم واحدة هي هالة.



أَنْ يَكُونَ مَرْكَزُ الرَّجُلِ هُوَ الْقَوِيُّ، وَيَضْعُفُ بِقُوَّتِهِ مَرْكَزُ الْمَرْأَةِ مَهْمَا كَانَتْ ذَاتَ شَخْصِيَّةٍ وَجَمَالٍ، إِلَّا أَنْ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرِو اسْتَطَاعَتْ أَنْ يَكُونَ لِاسْرَتِهَا بَنِي مَخْزُومٍ ابْنَتَانِ مِنْ بَنَاتِهَا وَهُمَا: بَرَّةٌ وَعَاتِكَةُ ابْنَتَا عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَوْ أَنْ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ نَفْسَهُ قَدْ رَغِبَ فِي هَذَا الزَّوْاجِ لِمَكَانَةِ بَنِي مَخْزُومٍ فِي بَطُونِ قُرَيْشٍ.

تَزَوَّجَ عَبْدُ الْأَسَدِ بْنُ هِلَالٍ الْمَخْزُومِيُّ (بَرَّة) بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَلَى حِينِ كَانَتْ عَاتِكَةُ زَوْجَةَ ابْنِ عَمِّهِ أَبِي أُمَيَّةَ<sup>(١)</sup> ابْنِ الْمُغِيرَةِ، وَمَضَتْ الْأَيَّامُ سِرَاعاً، وَأَنْجَبَتْ الْأُخْتَانِ، فَكَانَ مِنْ أَوْلَادِ بَرَّةَ عَبْدُ اللَّهِ، وَكَانَ مِنْ أَوْلَادِ عَاتِكَةَ عَبْدُ اللَّهِ وَزُهَيْرٌ. وَكَانَ عِنْدَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ زَوْجَةٌ ثَانِيَةٌ تُسَمَّى (عَاتِكَةَ) أَيْضاً، وَهِيَ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَامِرِ بْنِ أَبِي رَيْعَةَ، وَكَانَ مِنْ بَنَاتِ عَاتِكَةَ بِنْتُ عَامِرٍ (هِنْدُ) وَكَانَ الزَّوْاجُ بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ وَهِنْدِ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ، وَكَانَ زَوْجاً مُبَارِكاً مَبْنِيّاً عَلَى التَّفَاهُمِ، وَرَزَقَهُمَا اللَّهُ غُلَاماً عُرِفَ بِاسْمِ (سَلَمَةَ)، فَكَانَ مَوْضِعَ حُبِّهِمَا، وَكُنِيَ بِهِ حَتَّى نَسِيَ التَّارِيخُ أَسْمَهُمَا، فَلَمْ

---

(١) أبو أمية: أحد أجداد العرب، وقد سمي «زاد الركب» لأنه كان إذا سافر لا يترك رفاقه في السفر يحملون زاداً معهم، بل يكفيهم من زاده الموفور.

يَذْكُرُهُمَا إِلَّا بِكُنْيَتَيْهِمَا .

وَبُعِثَ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَسَرَ دَعْوَتُهُ فِي أَوَّلِ  
أَمْرِهِ فَأَمَنَ بِهِ مَنْ آمَنَ ، وَكَانَ ابْنُ عَمَّتِهِ (أَبُو سَلَمَةَ) عَاشِرَ  
رَجُلٍ دَانَ بِدَيْنِ الْحَقِّ <sup>(١)</sup> ، فَكَانَ إِذْنٌ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ  
إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَتَبِعَهُ مِنْ عَشِيرَتِهِ الْأَرْقَمُ بْنُ أَبِي الْأَرْقَمِ <sup>(٢)</sup> .

وَعِنْدَمَا صَدَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْدَّعْوَةِ ، وَجَهَرَ بِهَا ، وَقَفَتْ  
عَشِيرَةُ بَنِي مَخْزُومٍ بِرُؤُسَائِهَا ضِدَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ ، حَيْثُ خَافُوا  
عَلَى مَصَالِحِهِمْ ، وَرَأَوْا فِيهَا خَطَرًا عَلَى نَفُوسِهِمْ  
وَسَيِّطَرَتِهِمْ ، فَبَذَلُوا كُلَّ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَبْذُلُوهُ فِي سَبِيلِ إِبْعَادِ  
النَّاسِ عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَوَادِ الدَّعْوَةِ فِي مَهْدِهَا . وَبَسَبَبِ هَذَا  
الْعِنَادِ كَانَتِ الْآيَاتُ الَّتِي تَنَزَّلَتْ بِحَقِّ زُعَمَاءِ هَذِهِ الْقَبِيلَةِ  
أَكْثَرَ مِنَ الْآيَاتِ الْأُخْرَى الَّتِي تَنَزَّلَتْ بِحَقِّ زُعَمَاءِ بَقِيَّةِ

- 
- (١) أسلم قبل أبي سلمة: علي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وأبو بكر  
الصديق، وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن  
عبيد الله، وأبو عبيدة بن الجراح، وعبد الرحمن بن عوف .
- (٢) الأرقم بن أبي الأرقم: الأرقم بن عبد مناف بن أسد المخزومي،  
كانت داره مقر الدعوة للإسلام، شهد الأرقم المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ  
ولم يهاجر إلى الحبشة، توفي عام ٥٥ هـ في المدينة .

الْبُطُونِ الْقُرَشِيَّةِ الَّذِينَ عَادُوا الدَّعْوَةَ، وَوَهَبُوا وَقَتَهُمْ  
وَأَمْكَانَتِهِمْ كَافَّةً بَلْ وَحَيَاتَهُمْ فِي سَبِيلِ الْوُقُوفِ أَمَامَ الْحَقِّ  
الْمُبِينِ، فَكَانَتْ عَاقِبَتُهُمْ أَنَّهُمْ فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا، وَذَلِكَ  
جَزَاءُ الظَّالِمِينَ، فَضْلاً عَمَّا لَحِقَ بِهِمْ مِنْ خِزْيٍ وَعَارٍ وَقَتْلٍ  
بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا <sup>(١)</sup>.

لَكِنَّ هَذَا أَلْعَنَتْ مِنْ هَذِهِ الْعَشِيرَةِ، وَذَلِكَ الْإِضْطِهَادَ  
الَّذِينَ أَصَابَا الْمُسْتَضْعَفِينَ وَالْمَوَالِيَ فِيهَا عَلَى أَيْدِي كُبْرَائِهَا،

---

(١) من زعماء بني مخزوم: الوليد بن المغيرة، أبو خالد بن الوليد، وقد  
وقف في وجه الدعوة موقفاً عنيداً وقد نزل في حقه «ذري ومن خلقت وحيداً،  
وجعلت له مالا ممدوداً وبنين شهوداً، ومهدت له تمهيداً، ثم يطمع أن أزيد، كلا  
إنه كان لآياتنا عنيدا، سأرهقه صعوداً، إنه فكر وقدر، فقتل كيف قدر، ثم قتل  
كيف قدر؟ ثم نظر، ثم عبس وبسر، ثم أدبر واستكبر، فقال: إن هذا إلا سحر  
يؤثر، إن هذا إلا قول البشر، سأصليه سقر، وما أدراك ما سقر؟، لا تبقي ولا  
تذر، لواحة للبشر، عليها تسعة عشر» (المدثر). كما أن بعض الروايات تذكر أن  
الوليد هذا هو الذي نزلت في حقه «ولا تطع كل حلاف مهين، هماز مشاء بنميم،  
مناع للخير معتد أثيم، عتل بعد ذلك زنيم، أن كان ذا مال وبنين، إذا تتلى عليه  
آياتنا قال أساطير الاولين، سنسمه على الخراطوم» (القلم).

ومن زعمائهم عمرو بن هشام (أبو جهل) وقد نزل في حقه «كلا لئن لم ينته  
لنسفن بالناصية ناصية كاذبة خاطئة، فليدع ناديه، سندع الزبانية، كلا لا تطعه  
واسجد واقرب» (العلق). وهذه الآيات كلها من أوائل التنزيل ومن أكثر ما فيه  
من أنواع التهديد والوعيد.

لَمْ يَمْنَعَا نَفَرًا غَيْرَ قَلِيلٍ مِنْ أُنْبَائِهَا مِنْ أَعْتِنَاكِ الْإِسْلَامَ ،  
وَفِيهِمُ الْمُقَرَّبُونَ إِلَى أُولَئِكَ الزَّعَمَاءِ الْمُتَعَطِّسِينَ وَالْقَادَةَ  
الْمُتَكَبِّرِينَ الْمُتَعَنِّينَ .

وَفِي لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي دَخَلَ أَبُو جَهْلٍ حَيَّ عَشِيرَتِهِ بَنِي  
مَخْزُومٍ ، فَإِذَا بِهِ صَامِتٌ عَلَى غَيْرِ عَادَةٍ ، هَادِيٌّ عَلَى غَيْرِ  
الْمَأْلُوفِ ، وَإِذَا بِهِذَا الصَّمْتِ يُخْفِي تَحْتَهُ جَوَانِبَ الْعَارِ ، عَلَى  
حَدِّ زَعَمِ الْجَاهِلِيِّينَ ، الْعَارِ الَّذِي لَحِقَ بِالْعَشِيرَةِ مِنْ جَرَاءِ  
إِيمَانِ أَفْرَادٍ مِنْهُمْ ، وَكَانَ هَذَا قَدْ أَصَابَ الْعَشِيرَةَ فِي الصَّمِيمِ ،  
فَأَوْهَنَ جَانِبًا كَبِيرًا مِنْ عُنُقُونِهَا وَكِبَرِيَّاتِهَا وَعَعْنَتِهَا ، وَرَأَى  
كِبَرَاؤُهَا وَسَادَاتُهَا أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِمْ رَحِمًا يَعْتَنِقُونَ الْإِسْلَامَ .  
وَلَيْسَ أَعْتِنَاكِ الْإِسْلَامَ - وَحْدَهُ - هُوَ الْمُهْمَّ وَإِنَّمَا مُغَادَرَةُ  
هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمِينَ الْبِلَادَ مُتَّجِهِينَ نَحْوَ الْحَبَشَةِ فِرَارًا بِدِينِهِمْ  
خَوْفًا مِنْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ قَوْمُهُمْ . فَرُّوا لَا يَهْتَمُّونَ بِالْعَشِيرَةِ وَلَا  
بِأَهْلِهَا ، فَلَيْسَ لِهَذَا قِيمَةٌ أَمَامَ الْعَقِيدَةِ . فَقَدْ أَصْبَحَ لَهُمْ أَهْلٌ  
غَيْرُ أَهْلِيهِمْ وَعَشِيرَةٌ غَيْرُ عَشِيرَتِهِمْ . لَقَدْ أَصْبَحَ الْمُسْلِمُونَ لَهُمْ  
أَهْلًا مِنْ أَيْتَةِ عَشِيرَةٍ وَمِنْ أَيْتَةِ طَبَقَةٍ هُمْ . وَأَصْبَحَ الْإِسْلَامُ هُوَ  
الرَّابِطَةُ الَّتِي تَجْمَعُ بَيْنَ الْقُلُوبِ ، وَقَدْ كَانَ أَقْوَى مِنْ كُلِّ  
وَسَائِلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَرَوَابِطِ الْأَرْضِ الَّتِي كَانَتْ مَعْرُوفَةً آنَ ذَاكَ ،

وَالَّتِي لَا تَزَالُ مَعْرُوفَةً، وَسَتَبْقَى كَذَلِكَ.

لَقَدْ هَاجَرَ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ أَبُو سَلَمَةَ وَمَعَهُ زَوْجُهُ أُمُّ  
سَلَمَةَ، وَشَمَّاسُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ الشَّرِيدِ <sup>(١)</sup>، وَهَبَّارُ <sup>(٢)</sup> بْنُ  
سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ، وَأَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ <sup>(٣)</sup> بْنُ سُفْيَانَ، وَهَشَامُ <sup>(٤)</sup>  
ابْنُ أَبِي حُذَيْفَةَ بْنِ الْمَغِيرَةِ، وَسَلَمَةُ <sup>(٥)</sup> بْنُ هِشَامٍ، وَعِيَّاشُ <sup>(٦)</sup>  
ابْنُ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْمَغِيرَةِ.

لَقَدْ كَانَتْ الْهَجْرَةُ صَفْعَةً لَوَجْهِ كُلِّ جَاهِلِيٍّ، وَهَزَّةً قَوِيَّةً  
لِفِكْرِ كُلِّ مُتَعَنٍّ، إِنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ، أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ  
شَهِيدٌ، وَإِذَا بِهِمْ يُدْرِكُونَ أَنَّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ غَيْرُ مَا كَانُوا  
يَتَصَوَّرُونَ.

---

(١) شماس: واسمه عثمان بن عثمان، وهو إضافة إلى كونه من بني مخزوم  
هو ابن أخت عتبة بن ربيعة أحد رؤوس الشرك.

(٢) هَبَّار: هو ابن أخي أبي سلمة.

(٣) عبد الله: هو أخو هَبَّار وابن أخي أبي سلمة أيضاً.

(٤) هشام بن أبي حذيفة: هو ابن أخي الوليد بن المغيرة أحد رؤوس  
الكفر، وأكبر زعيم في بني مخزوم.

(٥) سلمة: هو أخو أبي جهل أحد زعماء بني مخزوم، وواحد من الذين  
آذوا رسول الله ﷺ من قبل.

(٦) عيَّاش: ابن أخي الوليد بن المغيرة، وأخو أبي جهل لأمه.

هَاجَرُوا هَؤُلَاءِ جَمِيعًا لَا يَلُومُونَ عَلَى شَيْءٍ، وَلَا يُفَكِّرُونَ إِلَّا فِي الَّذِي هَاجَرُوا مِنْ أَجْلِهِ. لَقَدْ هَاجَرُوا فِي أَرْضٍ مَوْحِشَةٍ، فَكَانَتْ أَمَامَهُمْ ذُلُولًا، وَكَانَتْ مُقْفِرَةً، وَلَكِنَّ نَفْسَهُمْ أَيْنَعَتْ فِيهَا، لَقَدْ شَعَرُوا بِأَنَّ رِعَايَةَ اللَّهِ كَانَتْ تَكْلُؤُهُمْ، فَقَدْ كَانُوا يُحْسِنُونَ بِأَنَّ الْعِنَايَةَ الْإِلَهِيَّةَ تُحِيطُ بِهِمْ حَيْثُ اتَّجَّهُوا، وَكَانَهَا ظِلَّةٌ فَوْقَهُمْ.

وَصَلَ هَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرُونَ إِلَى الْحَبَشَةِ، وَقَضَوْا فِيهَا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، لَمْ تَطِبْ لَهُمُ الْحَيَاةُ فِيهَا، فَعَادُوا، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا أَنْ رَجَعُوا بَعْدَ أَنْ أَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَمَا أَجْبَرَتْ قُرَيْشٌ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ عَلَى الْحَيَاةِ فِي شُعْبِ أَبِي طَالِبٍ، حَتَّى يُسَلِّمُوا مُحَمَّدًا ﷺ، عَادُوا وَقَدْ اسْتَسْهَلُوا الطَّرِيقَ، وَاسْتَعَذَّبُوا الْمَرَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَكَانَ السَّيْرُ فِي الطَّرِيقِ يَحُلُو لَهُمْ حَيْثُ يَرَوْنَ رِعَايَةَ اللَّهِ وَعِنَايَتَهُ تَرْفِرَانِ فَوْقَهُمْ، وَكَانَتْهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا بِأَعْيُنِهِمْ، وَيَلْمَسُونَهَا بِأَيْدِيهِمْ، وَبَقِيَتْ هَذِهِ الذِّكْرَى مَائِلَةً أَمَامَهُمْ طَوَالَ حَيَاتِهِمْ، وَتَحْمِلُ أَجْمَلَ الْمَعَانِي.

وَبَعْدَ حَيَاةٍ قَصِيرَةٍ قَضَوْهَا فِي الْحَبَشَةِ، وَصَلَتْهُمْ أَخْبَارٌ طَيِّبَةٌ عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَكَّةَ، فَعَادَ مِنْهُمْ مَنْ عَادَ، وَبَقِيَ عَدَدٌ آخَرُ مَعَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَكَانَ أَبُو سَلَمَةَ

مِنَ الَّذِينَ عَادُوا إِلَىٰ مَكَّةَ، وَلَكِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مُهَاجِرٌ أَنْ يَدْخُلَهَا  
إِلَّا مُسْتَخْفِيًّا أَوْ فِي جَوَارٍ أَحَدٍ، وَلَقَدْ دَخَلَ أَبُو سَلَمَةَ فِي  
جَوَارٍ خَالِهِ أَبِي طَالِبٍ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: أَمَّا أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ  
الْأَسَدِ، فَحَدَّثَنِي أَبِي إِسْحَاقُ بْنُ يَسَارٍ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ  
ابْنِ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّهُ حَدَّثَهُ: أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ لَمَّا اسْتَجَارَ  
بِأَبِي طَالِبٍ، مَشَىٰ إِلَيْهِ رِجَالٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ، فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا  
طَالِبٍ، لَقَدْ مَنَعْتَ مِنَّا ابْنَ أَخِيكَ مُحَمَّدًا، فَمَا لَكَ وَلِصَاحِبِنَا  
تَمْنَعُهُ مِنَّا؟ قَالَ: إِنَّهُ اسْتَجَارَ بِي، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِي، وَإِنَّا لَمْ  
أَمْنَعِ ابْنَ أُخْتِي لَمْ أَمْنَعِ ابْنَ أَخِي، فَقَامَ أَبُو لَهَبٍ فَقَالَ: يَا  
مَعشَرَ قُرَيْشٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَكْثَرْتُمْ عَلَىٰ هَذَا الشَّيْخِ، مَا تَزَالُونَ  
تُوثِبُونَ عَلَيْهِ فِي جَوَارِهِ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ، وَاللَّهِ لَتَنْتَهَنَّ عَنْهُ أَوْ  
لَتَقُومَنَّ مَعَهُ فِي كُلِّ مَا قَامَ فِيهِ، حَتَّىٰ يَبْلُغَ مَا أَرَادَ. قَالَ: قَالُوا:  
بَلْ نَنْصَرِفُ عَمَّا تَكْرَهُ يَا أَبَا عُبَيْتَةَ <sup>(١)</sup>، وَكَانَ لَهُمْ وَلِيًّا وَنَاصِرًا  
عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَبْقَوْا عَلَىٰ ذَلِكَ، فَطَمَعَ فِيهِ أَبُو طَالِبٍ  
حِينَ سَمِعَهُ يَقُولُ مَا يَقُولُ، وَرَجَا أَنْ يَقُومَ مَعَهُ فِي شَأْنِ رَسُولِ  
اللَّهِ ﷺ <sup>(٢)</sup> وَلَكِنْ «مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ

(١) أبو عتبة كنية أبي لهب، وقد سمي أبو لهب لاشراقة في وجهه، وهو  
أخو أبي طالب لأبيه.

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٠ - ١١.

تَجَدَّ لَهُ وَلِيًّا مُرَشِدًا» (١) .

بَدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْزِضُ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ ، فَالْتَقَى بَعْضُ أَهْلِ يَثْرِبَ فِي أَحَدِ الْمَوَاسِمِ فَأَسْلَمُوا . وَلَمَّا أَشَدَّ أَذَى قُرَيْشٍ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ ، وَبَلَغَهُ إِسْلَامُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْأَنْصَارِ ، خَرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ مُهَاجِرًا ، وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ بِعَامٍ ، وَبِهَذَا يَكُونُ أَبُو سَلَمَةَ أَوَّلَ مَنْ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ . وَقَدْ رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : « لَمَّا أَجْمَعَ أَبُو سَلَمَةَ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، رَحَلَ لِي بِعِيرِهِ ، ثُمَّ حَمَلَنِي عَلَيْهِ ، وَجَعَلَ مَعِيَ ابْنِي سَلَمَةَ بَنَ أَبِي سَلَمَةَ فِي حِجْرِي ، ثُمَّ خَرَجَ يَقُودُ بِعِيرِهِ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ رِجَالُ بَنِي الْمُغِيرَةِ ، قَامُوا إِلَيْهِ ، فَقَالُوا : هَذِهِ نَفْسُكَ غَلَبَتَنَا عَلَيْهَا ، أَرَأَيْتَ صَاحِبَتَنَا هَذِهِ عَلَامَ نَتْرُكَكَ تَسِيرُ بِهَا فِي الْبِلَادِ ؟ قَالَتْ : فَزَعُوا خِطَامَ الْبَعِيرِ مِنْ يَدِهِ وَأَخَذُونِي مِنْهُ ، قَالَتْ : وَغَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ رَهْطُ أَبِي سَلَمَةَ ، وَقَالُوا : وَاللَّهِ لَا نَتْرُكُ أَبْنَانَنَا عِنْدَهَا إِذْ نَزَعْتُمُوهَا مِنْ صَاحِبِنَا ، قَالَتْ : فَتَجَادَبُوا ابْنِي سَلَمَةَ بَيْنَهُمْ ، حَتَّى خَلَعُوا يَدَهُ ، وَأَنْطَلَقَ بِهِ بَنُو عَبْدِ



الْأَسَدِ، وَحَبَسَنِي بَنُو الْمُغِيرَةِ عِنْدَهُمْ، وَأَنْطَلَقَ زَوْجِي أَبُو سَلَمَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، قَالَتْ: فَفَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِي وَبَيْنَ زَوْجِي. قَالَتْ: فَكُنْتُ أُخْرِجُ كُلَّ غَدَاةٍ، فَأَجْلِسُ فِي الْأَبْطَحِ فَمَا أَزَالُ أَبْكِي حَتَّى أُمْسِي - سَنَةً أَوْ قَرِيباً مِنْهَا - حَتَّى مَرَّ بِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمِّي أَحَدُ بَنِي الْمُغِيرَةِ، فَرَأَى مَا بِي، فَرَحَمَنِي، فَقَالَ لِبَنِي الْمُغِيرَةِ: لِمَ لَا تُخْرِجُونَ هَذِهِ الْمُسْكِينَةَ؟ فَفَرَّقْتُمْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا وَبَيْنَ وَلَدِهَا؟ قَالَتْ: فَقَالُوا لِي: الْحَقِّي بِزَوْجِكَ إِنْ شِئْتَ. قَالَتْ: فَرَدَّ بَنُو الْأَسَدِ إِلَيَّ عِنْدَ ذَلِكَ ابْنِي، قَالَتْ: فَارْتَحَلْتُ بَعِيرِي، ثُمَّ أَخَذْتُ ابْنِي فَوَضَعْتُهُ فِي حِجْرِي، ثُمَّ خَرَجْتُ أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ، قَالَتْ وَمَا مَعِيَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ. حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِالتَّنْعِيمِ لَقِيتُ عُثْمَانَ <sup>(١)</sup> بَنَ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَخَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ فَقَالَ: إِلَيَّ أَيْنَ يَا ابْنَةَ أَبِي أُمَيَّةَ؟ قُلْتُ: أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ، قَالَ: أَوْ مَا مَعَكَ أَحَدٌ؟ قُلْتُ: مَا مَعِيَ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ وَبُنَيَّ هَذَا، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا لَكَ مِنْ مَتْرَكٍ، فَأَخَذَ بِخِطَامِ الْبَعِيرِ، فَأَنْطَلَقَ مَعِيَ يَهْوِي بِي، فَوَاللَّهِ مَا

---

(١) اسم عثمان بن طلحة بعد الحديبية، وهاجر هو وخالد ابن الوليد معاً، وقتل يوم أحد أبوه وإخوته، ودفع إليه رسول الله ﷺ يوم الفتح وإلى ابن عمه شيبة والد بني شيبة مفاتيح الكعبة، أقرها عليهم في الاسلام ولا تزال بأيديهم.

صَحِبْتُ رَجُلًا مِّنَ الْعَرَبِ قَطُّ أَرَى أَنَّهُ كَانَ أَكْرَمَ مِنْهُ، كَانَ إِذَا بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَنَاخَ بِي، ثُمَّ أَسْتَخَرَعَنِي، حَتَّى إِذَا نَزَلْتُ أَسْتَخَرُ بَعِيرِي، فَحَطَّ عَنْهُ، ثُمَّ قَيَّدَهُ فِي الشَّجَرِ، ثُمَّ تَنَحَّى إِلَى شَجَرَةٍ، فَأَصْطَجَعَ تَحْتَهَا، فَإِذَا دَنَا الرِّوَا حُ، قَامَ إِلَى بَعِيرِي فَقَدَّمَهُ، فَرَحَّلَهُ، ثُمَّ أَسْتَخَرَعَنِي، وَقَالَ: أَرْكَبِي، فَإِذَا رَكَبْتُ، فَاسْتَوَيْتُ عَلَى بَعِيرِي، أَتَى فَأَخَذَ بِخِطَامِهِ فَقَادَنِي حَتَّى يَنْزِلَ بِي، فَلَمْ يَزَلْ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِي، حَتَّى أَقْدَمَنِي الْمَدِينَةَ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى قَرْيَةِ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِقُبَاءَ قَالَ: زَوْجُكِ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ - وَكَانَ أَبُو سَلَمَةَ نَازِلًا بِهَا - فَأَدْخُلِيهَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى مَكَّةَ، فَكَانَتْ تَقُولُ: مَا أَعْلَمُ أَهْلَ بَيْتٍ فِي الْإِسْلَامِ، أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَ آلَ أَبِي سَلَمَةَ، وَمَا رَأَيْتُ صَاحِبًا قَطُّ كَانَ أَكْرَمَ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ.

ثُمَّ كَانَتْ بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْأَنْصَارِ، وَفِيهَا تَعَهَّدَ الْأَنْصَارُ أَنْ يَمْنَعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِمَّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ أَهْلِيهِمْ. إِذْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ، فَأَخَذَ الْبَرَاءُ ابْنُ مَعْرُورٍ <sup>(١)</sup> بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ:

(١) البراء بن معرور بن صخر الانصاري الخزرجي: صحابي من العقلاء

المقدمين. شهد العقبة وكان أحد النقباء الاثني عشر من الانصار وهو أول من تكلم

نَعَمْ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا، لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ أُرْرُنَا<sup>(١)</sup>،  
فَبَايَعْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَنَحْنُ وَاللَّهِ أَبْنَاءُ الْحُرُوبِ، وَأَهْلُ  
الْحَلَقَةِ<sup>(٢)</sup>، وَرَثَتُهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ<sup>(٣)</sup>.

وَبَعْدَ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ، أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْحَابَهُ مِنْ  
الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ عَادُوا مِنَ الْحَبَشَةِ، وَمَنْ مَعَهُ بِمَكَّةَ مِنَ  
الْمُسْلِمِينَ، بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَالْهَجْرَةِ إِلَيْهَا، وَاللَّحَاقِ  
بِإِخْوَانِهِمْ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ  
إِخْوَانًا وَدَارًا تَأْمِنُونَ بِهَا، فَخَرَجُوا أَرْسَالًا. ثُمَّ أُذِنَ لِرَسُولِ اللَّهِ  
بِالْخُرُوجِ وَالْهَجْرَةِ، وَلَمْ يَبْقَ بِمَكَّةَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا مَفْتُونٌ أَوْ  
مَحْبُوسٌ.

وَلَقَدْ وَقَفَتْ بَنُو مَخْزُومٍ مَوْفِقًا عَنِيدًا مِنْ أَبْنَائِهَا الَّذِينَ  
أَسْلَمُوا، فَمَنَعَتْ مَنْ اسْتَطَاعَتْ مِنَ الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَقَدْ  
حُبِسَ سَلَمَةُ بْنُ هِشَامٍ أَخُو أَبِي جَهْلٍ، وَبَقِيَ فِي مَكَّةَ حَتَّى  
بَعْدَ غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ، وَكَذَا عِيَّاشُ بْنُ أَبِي رِبِيعَةَ، وَكَانَ بَعْضُ

---

== منهم، وأول من مات منهم. توفي قبل الهجرة بشهر واحد.

(١) أُرْرُنَا: أي نساءنا. فقد يكنى عن المرأة بالإزار.

(٢) الحلقة: أي السلاح.

(٣) سيرة ابن هشام: ج ٢ ص ٨٤ - ٨٥.

أَفْرَادِهِمْ قَدْ بَقُوا فِي الْحَبَشَةِ مَعَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حَتَّى بَعْدَ غَزْوَةِ خَيْبَرَ.

وَكَانَ قَدْ أُذِنَ بِالْقِتَالِ ، فَبَثَّ الْمُسْلِمُونَ سَرَايَهُمْ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَأَنْطَلَقَتِ الْغَزَوَاتُ فِي أَنْحَاءِ الْأَرْضِ ، تُبْدِي الْقُوَّةَ ، وَتُعْلِنُ الْأَعْتَزَازَ بِاللَّهِ ... وَلَقَدْ وَجَدَ الْمُسْلِمُونَ قَوَائِلَ أَعْدَائِهِمْ غَادِيَةً وَرَائِحَةً إِلَى الشَّامِ بِالْقُرْبِ مِنْ مَدِينَتِهِمْ ، وَفِيهَا أَمْوَالُ زُعْمَاءِ قُرَيْشٍ وَكِبَرَائِهَا الَّذِينَ أُجْبِرُوا الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، تَارِكِينَ بُيُوتَهُمْ وَأَهْلَهُمْ لَهُمْ ، فَأَرَادُوا اعْتِرَاضَ سَبِيلِهَا ، وَقَطَعَ الطَّرِيقَ عَلَيْهَا ، وَأَخَذَهَا غَنِيمَةً . وَكَانَتْ غَزَوَاتٌ وَسَرَايَا ، وَمِنْهَا غَزْوَةُ الْعَشِيرَةِ الَّتِي اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهَا أَبَا سَلَمَةَ عَلَى الْمَدِينَةِ .

وَحَظَّطَ الْمُسْلِمُونَ لِأَخْذِ بَعْضِ هَذِهِ الْقَوَائِلِ الَّتِي هِيَ بِأَمْرِ أَبِي سُفْيَانَ ، وَأَنْطَلَقُوا فِي سَبِيلِ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَرَادَ غَيْرَ ذَلِكَ ، إِذْ أَرَادَ لَهُمُ النَّصْرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، « كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ . يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّهُ يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ، وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ، وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ

الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ  
الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ» (١) وَكَانَتْ مَعْرَكَةُ بَدْرٍ  
الْكُبْرَى، مَعْرَكَةُ الْفَرَقَانِ، وَفِيهَا نَصَرَ اللَّهُ جُنْدَهُ، وَأَيَّدَ عِبَادَهُ  
الْمُؤْمِنِينَ، وَهَزَمَ أَعْدَاءَهُ، وَتَمَّتْ كَلِمَةُ اللَّهِ... وَكَانَ لِأَهْلِ  
بَدْرٍ مَنْزِلَةٌ خَاصَّةٌ. وَأَعْطِيَتْ خَاصَّةً «لَعَلَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ إِلَى  
أَصْحَابِ بَدْرٍ، فَقَالَ: أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» (٢)

وَكَانَ أَبُو سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ. كَمَا  
حَضَرَهَا مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ الْأَرْقَمُ بْنُ أَبِي الْأَرْقَمِ وَشَمَّاسُ بْنُ  
عُثْمَانَ، وَمِنْ حُلَفَائِهِمْ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ (٣) وَمُعْتَبُ بْنُ عَوْفٍ (٤).

(١) سورة الانفال.

(٢) قول رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين استأذن في  
قتل حاطب بن أبي بلتعة الذي أخطأ وبعث بكتاب إلى قريش يخبرهم بسير رسول  
الله اليهم لفتح مكة.

(٣) عمار بن ياسر بن عامر الكنايني المذحجي ولد قبل رسول الله ﷺ بأربعة  
أعوام، هاجر إلى المدينة وشهد بدرًا وأحدًا والخندق ولاء عمر بن الخطاب رضي  
الله عنه الكوفة ثم عزله عنها. وشهد الجمل وصفين مع علي، وقتل في صفين وعمره  
ثلاث وتسعون سنة عام ٣٧ هـ.

(٤) معتب بن عوف بن عامر الخزاعي السلولي كان حليف بني مخزوم،  
صحابي، هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة وكان عمره أثناء هجرته إلى المدينة ٢١  
عاماً، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وتوفي عام ٥٧ هـ في خلافة معاوية  
ابن أبي سفيان.

وَكَانَتْ بَنُو مَخْزُومٍ قَدْ جَمَعَتْ حَشْدَهَا ، وَأَرْسَلَتْ فَلذَاتِ  
أَكْبَادِهَا ، لِتَقْضِيَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِزَعْمِهَا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ قَدْ رَدَّ  
كَيْدَهَا ، فَتَرَكَتْ فِي سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ عَشْرَةَ مِنْ أَعَزِّ أَبْنَائِهَا وَعَلَى  
رَأْسِهِمْ أَبُو جَهْلٍ عَمْرُو بْنُ هِشَامٍ عَدُوُّ اللَّهِ ، وَأَخُوهُ الْعَاصُ  
ابْنُ هِشَامٍ ، كَمَا أَسِرَ أَخُوهُ الثَّانِي أَيْضًا خَالِدُ بْنُ هِشَامٍ . وَقُتِلَ  
قَيْسُ بْنُ الْوَلِيدِ أَخُو خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَابْنُ عَمِّهِ أَبُو قَيْسٍ بْنُ  
الْفَاكِهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، وَابْنُ عَمِّهِ الْآخَرُ مَسْعُودُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ أَخُو  
أُمِّ سَلَمَةَ . إِضَافَةً إِلَى عَدَدٍ آخَرَ... كَانَ لَهُمْ كُلُّهُمْ دَوْرٌ فِي إِذْيَاءِ  
الرَّسُولِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ مِنْ  
أَقْرَبَائِهِمْ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ الَّذِينَ كَانُوا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ .

وَأَسْتَدَارَ الْعَامُ عَلَى مَعْرَكَةِ بَدْرٍ ، وَلَمْ يَمُضِ أَكْثَرُ مِنْ شَهْرٍ  
عَلَى ذَلِكَ حَتَّى كَانَتْ مَعْرَكَةُ أُحُدٍ <sup>(١)</sup> ، وَفِيهَا أُصِيبَ  
الْمُسْلِمُونَ ، وَلَقِنُوا دَرْسًا وَآمَتْحَنَهُمُ اللَّهُ ، وَاخْتَارَ مِنْهُمْ شُهَدَاءَ ،  
وَفَوْقَ كُلِّ هَذَا فَقَدْ جُرَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . وَفِي بَدْءِ السَّنَةِ  
الرَّابِعَةِ بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ طُلَيْحَةَ وَسَلَمَةَ ابْنَيْ خُوَيْلِدٍ  
الْأَسَدِيِّينِ يَدْعُونَ قَوْمَهُمَا بَنِي أَسَدٍ لِحَرْبِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

---

(١) كانت غزوة بدر في ١٧ رمضان السنة الثانية للهجرة ، وكانت أحد في  
شوال السنة الثالثة من هجرة رسول الله ﷺ في أول نهار الحادي عشر منه .

وَالسَّلَامُ، فَدَعَا أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِيَّ، وَعَقَدَ لَهُ لِيَوَاءً وَقَالَ لَهُ: سِرْ حَتَّى تَنْزِلَ أَرْضَ بَنِي أَسَدٍ بْنِ خُزَيْمَةَ، فَأَغِرْ عَلَيْهِمْ، وَأَرْسِلْ مَعَهُ رِجَالًا، فَسَارَ فِي هِلَالِ الْمُحَرَّمِ، حَتَّى بَلَغَ قَطْنًا<sup>(١)</sup>، فَأَغَارَ عَلَيْهِمْ، فَهَرَبُوا مِنْ مَنَازِلِهِمْ، وَوَجَدَ أَبُو سَلَمَةَ إِبْنًا وَشَاءً فَأَخَذَهَا، وَلَمْ يَلْقَ حَرْبًا، وَرَجَعَ بَعْدَ عَشْرَةِ أَيَّامٍ مِنْ خُرُوجِهِ<sup>(٢)</sup>.

وَكَانَ أَبُو سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِمَّنْ جُرِحَ فِي أَحَدٍ، إِلَّا أَنْ جُرِحَ قَدِ انْدَمَلَ، وَعُوفِيَ، ثُمَّ انْتَقَصَ عَلَيْهِ، فَمَاتَ مِنْهُ فِي بَدَايَةِ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ. وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ، وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ، فَأَغْمَضَهُ، وَقَالَ: إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ، فَصَاحَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ فَقَالَ: لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُؤْمِنُ عَلَى مَا تَقُولُونَ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَأَخْلِفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ وَآغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ. اللَّهُمَّ أَفْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ قَبْرَهُ<sup>(٣)</sup>.

(١) قطن: جبل لبني أسد بناحية (فيد) شرق المدينة ويشرف على (عقلة

الصقور) من الشمال.

(٢) نور اليقين للشيخ محمد الخضري ص ١٤٥.

(٣) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى تأليف محب الدين أحمد بن عبد =

نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى هَذِهِ الْأُسْرَةِ الَّتِي خَلَفَهَا صَاحِبُهُ  
وَأَبْنُ عَمَّتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا مِنْ مُعِيلٍ غَيْرُ اللَّهِ، وَهِيَ زَوْجَةٌ لَمْ  
تَتَجَاوَزِ الثَّامِنَةَ وَالْعِشْرِينَ عَامًا وَغُلَامَانِ هُمَا سَلَمَةُ<sup>(١)</sup>  
وَعُمَرُ<sup>(٢)</sup> وَأَبْنَةُ وَاحِدَةٍ هِيَ زَيْنَبُ<sup>(٣)</sup>، وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ لَهَا أَيْضًا  
رُقِيَّةً. وَرَأَى أَنَّ يَتَعَهَّدَهَا مِنْ بَعْدِهِ، وَيَرْعَاهَا بَعْدَ مَوْتِهِ، وَلَيْسَ  
أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يَضُمَّهَا إِلَى أُسْرَتِهِ، فَلَيْسَ أَكْرَمَ مِنَ الْأُسْرَةِ وَلَا  
أَكْثَرَ أَحْتِرَامًا مِنْ مُسَاوَاتِهَا بِمَنْ يُعِيلُ وَيُكْرِمُ، وَكَانَ زَوَاجُ  
رَسُولِ اللَّهِ بِأَمِّ سَلَمَةَ وَرَفَعَهَا إِلَى مَنْزِلَةِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ.

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا أَنْقَضَتْ عِدَّتِي،  
اسْتَأْذَنَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا أَدْبَعُ إِهَابًا فَسَلَّتُ يَدَيَّ مِنْهُ  
وَأَذِنْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ وَوَضَعْتُ لَهُ وَسَادَةً مِنْ أَدَمٍ، حَشَوُهَا  
لَيْفٌ، فَقَعَدَ عَلَيْهَا، فَخَطَبَنِي إِلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا فَرَغَ قُلْتُ: يَا

== الله الطبري المتوفى ٦٩٤ هـ.

(١) سلمة بن أبي سلمة: أكبر إخوته، ربي في حجر رسول الله، وزوجه

أمامة بنت حزة بن عبد المطلب، وتوفي في خلافة عبد الملك بن مروان.

(٢) عمر بن أبي سلمة: ولد في الحبشة وتوفي في المدينة عام ٨٣ هـ.

(٣) زينب بنت أبي سلمة: ولدت في الحبشة، وكان اسمها برة وسماها

الرسول ﷺ زينب، وكانت أفقه نساء عصرها وتزوجها عبد الله بن زمعة بن  
الاسود.



رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَمْرَاءٌ فِي غَيْرَةِ شَدِيدَةٍ، وَأَخَافُ أَنْ تَرَى مِنِّي شَيْئًا تَكْرَهُهُ يُعَذِّبُنِي اللَّهُ بِهِ، وَأَنَا أَمْرَاءٌ قَدْ دَخَلْتُ فِي أَلْسِنَ ذَاتِ عِيَالٍ، قَالَ: أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنَ الْغَيْرَةِ، فَسَوْفَ يُذْهِبُهَا اللَّهُ عَنْكَ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنَ أَلْسِنَ فَقَدْ أَصَابَنِي مِثْلُ مَا أَصَابَكَ، وَأَمَّا عِيَالُكَ فَإِنَّهُمْ عِيَالِي. قَالَتْ: فَقُلْتُ: قَدْ سَلَّمْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَزَوَّجْنِي (١).

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أَللَّهُمَّ أَجْرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلَفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا» قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ. قَالَتْ: فَأَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ (٢).

وَتُوفِّيَتْ أُمُّ سَلَمَةَ فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ سَنَةَ سِتِّينَ لِلْهِجْرَةِ.

---

(١) السمت الثمين في مناقب أمهات المؤمنين تأليف محبة الدين أحمد بن عبد الله الطبري ص ١٠٤.

(٢) المصدر نفسه ص ١٠٢.

وَإِذَا كَانَ أَبُو سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَدْ عُرِفَ وَشُهِرَ بِسَبَبِ  
زَوْجِهِ أُمِّ سَلَمَةَ الَّتِي أَصْبَحَتْ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، فَطَغَتْ هَذِهِ  
الْحَادِثَةُ عَلَى غَيْرِهَا، إِلَّا أَنَّ لَهُ مِنَ الْإِيمَانِ الْقَوِيَّ مَا تَشْهَدُ  
عَلَيْهِ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الْحَبَشَةِ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ إِلَى  
الْمَدِينَةِ تَارِكًا وَرَاءَهُ كُلَّ مَا يُشَدُّهُ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلٍ وَمَالٍ  
وَبَنِينَ وَبَلَدٍ وَعَشِيرَةٍ وَأَقْرَبِينَ، وَلَهُ مِنَ الْبُطُولَةِ مَا تَعْرِفُهُ لَهُ  
الْحُرُوبُ الَّتِي خَاضَهَا وَالْمَعَارِكُ الَّتِي أَبْلَى فِيهَا، وَلَهُ مِنَ  
الْحِكْمَةِ مَا تَعْتَرِفُ بِهِ قِيَادَتُهُ لِمُصْحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ فِي سَرِيَّتِهِ،  
وَلَهُ مِنَ الرَّأْيِ مَا يُفْصَحُ عَنْ تَوَلِيَةِ رَسُولِ اللَّهِ لَهُ لِلْمَدِينَةِ، وَلَهُ  
مِنْ حُبِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا يُنْبِئُهُ دُعَاؤُهُ لَهُ، وَتَعَهُدُهُ أَهْلُهُ مِنْ  
بَعْدِهِ، وَتَوَلِيَّتُهُ لَهُ. وَأَخِيرًا يَكْفِيهِ أَنَّهُ الْمُهَاجِرُ الْأَوَّلُ وَمِنْ أَهْلِ  
بَدْرِ وَمَوْتُهُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْهُ رَاضٍ. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
وَأَرْضَاهُ.

بُيُوتَةُ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ

٣

ابْنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا  
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ سَارَ عَلَى دَرْبِهِ وَبَعْدُ: فَقَدْ عَاشَ  
الْعَرَبُ فِي جَزِيرَتِهِمُ الَّتِي قَلَّ فِيهَا الْخَيْرُ، وَكَثُرَ الْجَدْبُ،  
عَاشُوا قَبَائِلَ مُتَنَقِّلَةً، تَرْتَادُ مَوَاطِنَ الْكَلَا، وَتَسْعَى وَرَاءَ  
مَوَاضِعِ الْمَاءِ، لِكُلِّ قَبِيلَةٍ حِمَى مَعْرُوفَةٌ وَمَنَازِلُ لَا تَتَعَدَّاهَا،  
إِذَا أَتَتْ سَنَوَاتُ عِجَافٍ عَلَى أَمَاكِنِ قَبِيلَةٍ، تَجَاوَزَتْ  
حُدُودَهَا، وَدَخَلَتْ فِي حِمَى غَيْرِهَا، وَكَثِيرًا مَا حَدَّثَتْ  
الْحُرُوبُ بَيْنَ الْقَبَائِلِ نَتِيجَةَ هَذِهِ التَّعَدِّيَاتِ، وَقَامَتِ  
الْخِلَافَاتُ بِسَبَبِ هَذِهِ التَّجَاوُزَاتِ، فَكَانَتِ الْقُوَّةُ أَمَلًا،  
وَالصَّبْرُ فِي سَاحَاتِ الْقِتَالِ بُغْيَةً، وَالثَّبَاتُ فِي مَوَاقِفِ الشَّدَائِدِ  
غَايَةً، وَكُلُّ شَيْءٍ يَدُلُّ عَلَى الْقُوَّةِ أَوْ الصَّبْرِ يَسْعَى النَّاسُ إِلَيْهِ،  
وَلَوْ كَانَ مُجَرَّدَ أَسْمَاءٍ يَتَغَنَّوْنَ بِهَا، أَوْ يَتَفَاءَلُونَ بِهَا، وَمِنْ هُنَا

أُطْلِقَتْ عَلَى أَشْخَاصٍ أَسْمَاءُ حَيَوَانَاتٍ عُرِفَتْ بِالقُوَّةِ أَوْ  
الصَّبْرِ، فَكَانَتْ التَّسْمِيَةُ أَسَدًا وَجَحْشًا، وَكَانَتْ تَسْمِيَةُ  
الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَوْ كَانَ  
أَسْمَ وَالِدِهِ (بُرَّة) أَوْ لَقَبَهُ الَّذِي عُرِفَ بِهِ لِقَوْتِهِ وَجَلَادَتِهِ.

وَكَذَٰلِكَ كَانَ يُبْدِي بَيْنَ أَفْرَادِ قَبِيلَتِهِ شَجَاعَةً فِي حُرُوبِهَا وَقُوَّةً  
عَلَى خُصُومِهَا، يَعْدُونَهُ قَذَى فِي أَعْيُنِ الْأَعْدَاءِ وَشَجَى فِي  
حُلُوقِهِمْ، عَضْبًا عَلَيْهِمْ وَقَاسِيًا فِي مُلَاقَاتِهِمْ، يُذِيقُهُمُ الْمَرَّ،  
وَيَسْقِيهِمْ كَأْسَ الرَّدَى، لِهَذَا أُطْلِقُوا أَسْمَ الْأَشْيَاءِ الْمُرَّةِ أَوْ  
الْقَاسِيَةِ عَلَى أَبْنَائِهِمْ أَمَلًا فِي أَنْ يَكُونُوا كَذَٰلِكَ عَلَى خُصُومِهِمْ  
وَرَجَاءً أَنْ يَنْشُؤُوا أَصْحَابَ قُوَّةٍ وَشَجَاعَةٍ وَنَخْوَةٍ وَشَهَامَةٍ،  
فَكَانَتْ عِنْدَهُمْ أَسْمَاءُ «شَوْكَةٍ» وَ«طَلْحَةٍ» وَ«قِتَادَةٍ»  
وَ«عَرْفَجَةٍ» <sup>(١)</sup> وَ«عَوْسَجٍ» <sup>(٢)</sup>.

وَتَتَقَاتَلُ الْقَبَائِلُ بَعْضُهَا مَعَ بَعْضٍ، وَيَنْضُمُّ قِسْمٌ مِنْهَا إِلَى  
جَانِبٍ آخَرَ، فَكَانَتْ الْأَحْلَافُ، وَكَانَ الْوَلَاءُ، وَكَانَتْ  
الْمَوَاقِفُ الَّتِي لَا تُنْقَضُ، لِذَا كَانَ الْوَفَاءُ مِنْ أَجْمَلِ الصِّفَاتِ  
الَّتِي أَمْتَارَ بِهَا الْفَتَى الْعَرَبِيُّ. وَلَمَّا عُرِفَ الْكَلْبُ بِوَفَائِهِ

(١) العَرْفَجَةُ: واحدة العرفج وهو شجر

(٢) الْعَوْسَجُ: معدن للفضة - شوك، والمقصود به هنا النبات الشوكي.

لِصَاحِبِهِ شَاعَتْ عِنْدَ الْعَرَبِ أَسْمَاءُ تَحْمِلُ هَذَا الْإِسْمَ، أَوْ تَرَادُفُهُ، وَمِنْهَا «كَلْبُ بْنُ وَائِلٍ» سَيِّدُ تَغْلِبٍ، وَكَانَ «قُصَيُّ بْنُ كِلَابٍ» جَدَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْأَعْلَى، وَسَيِّدَ قُرَيْشٍ، وَكَانَتْ قَبِيلَةُ «كَلْبٍ» الَّتِي انْتَشَرَتْ عِنْدَ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ فِي شِمَالِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ.

وَهَذَا الْأَمْرُ مَعْرُوفٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَنَاطِقِ حَيْثُ تُؤْخَذُ الْأَسْمَاءُ مِنَ الْبَيْتَاتِ الَّتِي تَحْيَا فِيهَا الْجَمَاعَاتُ. فَالْبِلَادُ الَّتِي عُرِفَتْ بِوَرْدِهَا الْمُتَنَوِّعِ وَأَزْهَارِهَا الْفَوَاحِةِ أَعْطَتْ بَنَاتِهَا أَسْمَاءَ تِلْكَ الْوُرُودِ فَكَانَتْ عِنْدَهُمْ «عَطِرَةٌ» وَ«رَيْحَانَةٌ» وَ«فُلَّةٌ» وَ«زَهْرَةٌ» وَ«وَرْدَةٌ»، وَكَانَتْ فِي فَيَافِيهَا أَسْمَاءُ «ظَبْيَةٍ» وَ«مَهَا» وَ«لَيْنَةٍ»، وَفِي بِلَادِ السَّوَاخِلِ «مَرْجَانَةٌ»، وَقَدْ تَكُونُ الْأَسْمَاءُ مِنْ بَابِ الْأَضْدَادِ أَوْ التَّفَاوُلِ، فَتَكُونُ أَسْمَاءُ الْوَرْدِ فِي الصَّحَارَى، وَأَسْمَاءُ الْبَيَاضِ فِي الْمَنَاطِقِ الْحَارَةِ ذَاتِ السَّكَّانِ أَصْحَابِ الْبَشَرَةِ السَّوْدَاءِ.

لَمْ يَكُنْ «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ» - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مِنْ قَبِيلَةِ قُرَيْشٍ وَبَطُونِهَا الْإِثْنِي عَشَرَ، وَإِنَّمَا كَانَ يَجْتَمِعُ مَعَ هَذِهِ الْبُطُونِ فِي الْجَدِّ الْعَاشِرِ وَهُوَ «خُزَيْمَةُ بْنُ مُدْرِكَةَ»، وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْقَرَابَةُ لِتَجْعَلَهُ فِي مَنَزِلَةِ قُرَيْشٍ الَّتِي لَهَا مَرَكُزُ الصَّدَارَةِ

بَيْنَ الْعَرَبِ جَمِيعِهِمْ لِمَكَانِهَا مِنَ الْبَيْتِ، وَإِنَّمَا كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ حَلِيفًا لِبَعْضِ الْبُطُونِ أَوْ الْأَفْخَاذِ، وَقَدْ كَانَ حَلِيفَ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ بَطْنِ عَبْدِ مَنَافٍ الثَّانِي.

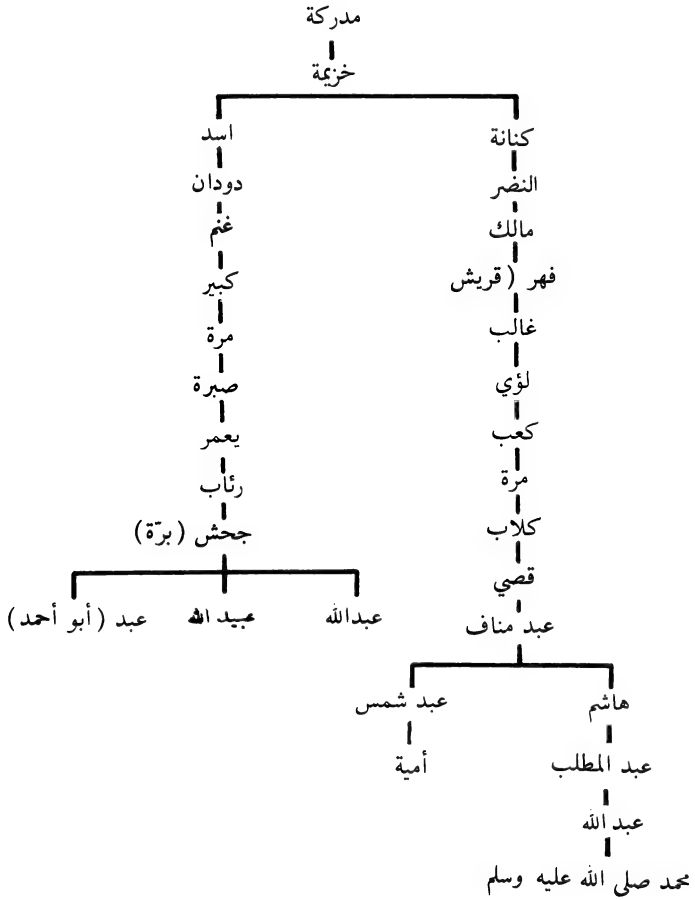
كَانَ «بُرَّةُ» وَالِدُ «عَبْدِ اللَّهِ» عَلَى دَرَجَةٍ مِنَ الْقُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ، جَعَلَتْهُ يُلقَّبُ بِجَحْشٍ، حَتَّى غَلَبَ عَلَيْهِ، وَكَانَ عَلَى مَكَانَةٍ مِنَ الصَّدَارَةِ، جَعَلَتْهُ أَهْلًا لِأَنْ يَتَزَوَّجَ «أُمَيْمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»، وَقَدْ كَانَ وَالِدُهَا «عَبْدُ الْمُطَّلِبِ» آنَذَاكَ سَيِّدَ مَكَّةَ وَرَزِيمَ قُرَيْشٍ كُلِّهَا. وَقَدْ أَوْلَدَهَا «عَبْدُ اللَّهِ» وَ«عُبَيْدُ اللَّهِ» وَ«عَبْدُ» مِنَ الذُّكُورِ وَ«زَيْنَبُ» وَ«حَمْنَةُ» وَ«أُمُّ حَبِيبٍ» مِنَ الْإِنَاثِ، وَوَرِثَ هَؤُلَاءِ الْأَوْلَادُ مِنْ أَبِيهِمْ «جَحْشُ» الْقُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَمِنْ أُمِّهِمْ «أُمَيْمَةُ» الْمَجْدَ وَالْوَجَاهَةَ إِلَى جَانِبِ الْقُوَّةِ وَالشَّهَامَةِ.

كَانَتْ «أُمَيْمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» شَقِيقَةَ «عَبْدِ اللَّهِ» وَالِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ كَانَتْ أُمُّهَا «فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَائِدٍ الْمَخْزُومِيَّةِ» لِذَا كَانَتْ الصَّلَةُ قُوَّةً بَيْنَ الْبَيْتَيْنِ وَالْعِلَاقَةُ قَائِمَةً.

بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنْطَلَقَتِ الدَّعْوَةُ، وَوَصَلَتْ إِلَى



بَيَّتِ « أُمَيْمَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ » فَأَمَنَ أَفْرَادُهُ كُلُّهُمْ، وَإِنْ  
كَانَ يُشَكُّ فِي إِسْلَامِ الْأُمِّ، حَيْثُ تَخْتَلِفُ الرِّوَايَاتُ، إِلَّا أَنَّ  
الْأَبْنََاءَ جَمِيعًا قَدْ اعْتَنَقُوا الدِّينَ الْجَدِيدَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ مَنْ يَعْرِفُ  
حَقِيقَةَ الْمَرْءِ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهِ وَأَكْثَرُهُمُ اتِّصَافًا بِهِ وَاتِّصَالًا  
مَعَهُ، وَقَدْ عَرَفَتْ هَذِهِ الْأُسْرَةُ صِدْقَ مُحَمَّدٍ ﷺ لِمَا كَانَ  
بَيْنَهُمَا مِنْ صِلَةٍ، وَعَلِمُوا مِنْ أَحْتِكَائِهِمْ بِهِ، أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ  
يَكْذِبَ عَلَى أَحَدٍ، وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ لَا يُمَكِّنُهُ أَبَدًا أَنْ  
يَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ كَمَا كَانُوا يَعْلَمُونَ هُمْ وَأَهْلُ مَكَّةَ جَمِيعًا، أَنَّ  
صِفَاتِ مُحَمَّدٍ ﷺ، تُؤْهِلُهُ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا، وَإِذَا كَانَتْ  
الزَّعَامَةُ قَدْ أَعْمَتْ أَصْحَابَهَا، فَوَقَفُوا فِي وَجْهِ الدَّعْوَةِ، إِلَّا أَنَّ  
الْعُقُولَ السَّلِيمَةَ قَدْ اسْتَجَابَتْ لَهَا، وَأَنْخَرَطَتْ فِي صُفُوفِ  
حَمَلَتِهَا. كَمَا أَنَّ « عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ » أَحَدَ أَفْرَادِ هَذِهِ  
الْأُسْرَةِ كَانَ مِنَ الَّذِينَ يَنْتَقِدُونَ دِينَ قَوْمِهِمْ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ  
الشِّرْكِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَقَدْ أَلْتَقَى هَؤُلَاءِ النَّاقِدُونَ وَهُمْ:  
« وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ » وَ« عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ » وَ« عُثْمَانُ بْنُ  
الْحُوَيْرِثِ » وَ« زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ »، وَقَالَ بَعْضُهُمْ  
لِبَعْضٍ: تَعْلَمُوا وَاللَّهِ مَا قَوْمُكُمْ عَلَى شَيْءٍ! لَقَدْ أَخْطَأُوا دِينَ  
أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ! مَا حَجَرَ نُطِيفُ بِهِ، لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ، وَلَا



يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ؟! يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا لِنَفْسِكُمْ دِينًا، فَإِنَّكُمْ وَاللَّهِ  
 مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ. فَتَفَرَّقُوا فِي الْبُلْدَانِ يَلْتَمِسُونَ الْحَنِيفِيَّةَ،  
 دِينَ إِبْرَاهِيمَ. وَأَقَامَ «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ» عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ  
 مِنَ الْإِلْتِبَاسِ حَتَّى أَسْلَمَ، ثُمَّ هَاجَرَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَبَشَةِ،  
 وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ «أُمُّ حَبِيبَةَ رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ» مُسْلِمَةً، فَلَمَّا  
 قَدِمَهَا تَنَصَّرَ، وَفَارَقَ الْإِسْلَامَ، وَانْقَطَعَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ  
 مِنْ صِلَاتٍ، ثُمَّ هَلَكَ هُنَالِكَ نَصْرَانِيًّا، وَأَمَّا امْرَأَتُهُ فَقَدْ فَارَقَتْهُ  
 بَعْدَ أَنْ ارْتَدَّتْ، وَخَطَبَهَا النَّجَاشِيُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَزَوَّجَهَا،  
 وَكَانَتْ فِي عِدَادِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

كَانَ «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ» مِنْ أَوَائِلِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا، إِذِ  
 اعْتَنَقَ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَارَ «الْأَرْقَمِ  
 ابْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ»، وَلَمْ يَزِدْ عَدَدُ الْمُسْلِمِينَ آنَذَاكَ عَلَى  
 الْأَرْبَعِينَ مُسْلِمًا.

أَشَدَّتْ قُرَيْشٌ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ رِجَالِهَا وَمَوَالِيهَا. وَلَمَّا  
 رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا يُصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنَ الْبَلَاءِ، وَمَا هُوَ  
 فِيهِ مِنَ الْعَاقِبَةِ بِمَكَانِهِ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ عَمِّهِ «أَبِي طَالِبٍ»، وَأَنَّهُ لَا  
 يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَمْنَعَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ، قَالَ لَهُمْ: لَوْ  
 خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ؛ فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ،

وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ ، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ ،  
فَخَرَجَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى  
أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، مَخَافَةَ الْفِتْنَةِ ، وَفِرَارًا إِلَى اللَّهِ بِدِينِهِمْ ، فَكَانَتْ  
أَوَّلَ هِجْرَةٍ فِي الْإِسْلَامِ . وَهَكَذَا فَإِنَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ  
يُهَاجِرُوا إِلَى آيَةِ بُقْعَةٍ تَتَوَقَّرُ لَهُمْ فِيهَا سُبُلُ الدَّعْوَةِ وَالْعَمَلِ  
بِشَرِيعَةِ اللَّهِ بَعْضُ النَّظَرِ عَنْ مَوْعِيعِهَا مِنَ الْأَرْضِ وَجَنَسِيَّةِ  
أَبْنَائِهَا ، وَلَا تَكُونُ الْهِجْرَةُ إِلَّا إِذَا صَعِبَتْ عَلَيْهِمُ الْحَيَاةُ فِي  
الْمَكَانِ الَّذِي يَعِيشُونَ فِيهِ ، وَامْتَنَعَتْ عَلَيْهِمْ إِمْكَانِيَّةُ مُمَارَسَةِ  
شَعَائِرِهِمْ وَالْقِيَامِ بِالْدَّعْوَةِ إِلَى دِينِهِمْ . وَبَلَغَ عَدَدُ الْمُسْلِمِينَ  
الَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَى هُنَاكَ ثَلَاثَةَ وَثَمَانِينَ مُسْلِمًا سِوَى أَبْنَائِهِمْ  
الَّذِينَ خَرَجُوا بِهِمْ مَعَهُمْ صِغَارًا .

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مِنْ  
الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، وَمَعَهُ أَخُوهُ  
آنَذَاكَ «عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ» ، وَبَعْدَ حَيَاتِهِمْ هُنَاكَ مُدَّةٌ مِنَ  
الزَّمَنِ ، تَنَصَّرَ «عُبَيْدُ اللَّهِ» ، وَانْتَهَتْ الْأَخُوَّةُ بَيْنَ الشَّقِيقَيْنِ ،  
وَوَصَلَ خَبْرُ إِلَى الْمُهَاجِرِينَ ، مَفَادُهُ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ قَدْ أَسْلَمُوا ،  
وَأَنَّ بِلَدَهُمُ الَّتِي أَخْرَجَتْهُمْ قَدْ غَدَتْ دَارَ أَمَانٍ وَطُمَأْنِينَةٍ  
لِإِخْوَانِهِمْ ، وَأَنَّ الْعَوْدَةَ قَدْ أَصْبَحَتْ وَاجِبَةً عَلَيْهِمْ ، لِيَنْهَلُوا مِنْ

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانُوا قَدْ عَانُوا مِنْ هِجْرَتِهِمْ مَا عَانُوا لِقَلَّةِ  
عَدَدِهِمْ، فَمَا إِنْ وَصَلَ إِلَيْهِمْ خَبَرُ إِسْلَامِ أَهْلِ مَكَّةَ حَتَّى رَجَعَ  
بَعْضُهُمْ، وَلَا يَزِيدُ عَدَدُ أَوْلِيكَ الَّذِينَ رَجَعُوا عَلَى الثَّلَاثَةِ  
وَالثَّلَاثِينَ مُسْلِمًا، كَانَ بَيْنَهُمْ «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ» رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ، وَبَقِيَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ خَمْسُونَ مُسْلِمًا.

وَصَلَ الْمُسْلِمُونَ الْعَائِدُونَ إِلَى مَكَّةَ، فَوَجَدُوا أَنَّ الْخَبَرَ  
الَّذِي بَلَغَهُمْ غَيْرُ صَحِيحٍ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ بَعْضُهُمْ دُخُولَ بَلَدِهِ إِلَّا  
بَعْدَ أَنْ دَخَلَ فِي جِوَارِ بَعْضِ الزُّعَمَاءِ وَالْمُتَفَذِّذِينَ مِنْ أَهْلِ  
مَكَّةَ.

عَاشَ «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ» فِي مَكَّةَ بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ  
الْحَبَشَةِ، مُؤْمِنًا بِمَا يَأْتِي مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ  
بِكُلِّ مَا يَقُولُ، وَلَمْ يَكُنْ يُرِيدُ عَرَضًا مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا، بَلْ  
كَانَ زَاهِدًا بِكُلِّ مَا فِيهَا، يُرِيدُ أَنْ يَعِيشَ فِي زَاوِيَةٍ مِنْهَا، يَطْلُبُ  
الْآخِرَةَ وَيَعْمَلُ لَهَا.

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَطْلُبُ نُصْرَةَ «ثَقِيفٍ» فِي الطَّائِفِ،  
وَيَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ، وَيَجِدُ الرَّدَّ وَالتَّهْكُمَ وَالصَّدَّ  
وَالسُّخْرِيَّةَ، وَكَانَ الصَّحَابَةُ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَمِنْ بَيْنِهِمْ  
«عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ» - لَا يَتْنِيهِمْ صَدُّ الْعَرَبِ وَقِلَّةُ الْعَدَدِ

وَضَعْفُ الْإِمْكَانَاتِ وَثِقُلُ الْحَيَاةِ، وَإِنَّمَا يَقْوَىٰ إِيمَانُهُمْ، كُلَّمَا  
وَجَدُوا الصُّعُوبَاتِ تَعْتَرِضُ سَبِيلَهُمْ، فَقَدْ سَمِعُوا قَوْلَ نَبِيِّهِمْ  
ﷺ: «حُقَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُقَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»،  
فَالْمُسْلِمُ يَصْبِرُ فِي الشَّدَّةِ، وَتَقْوَىٰ عَزِيمَتُهُ فِي الْمِحْنِ. وَأَخِيرًا  
عَرَضَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ نَفْسَهُ فِي أَحَدِ الْمَوَاسِمِ عَلَى الْأَوْسِ  
وَالْخَزَرَجِ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ، فَوَجَدَ آذَانًا صَاغِيَةً وَقُلُوبًا مُفْتَحَةً  
لِلْإِيمَانِ، وَآمَنَ النَّفَرُ الَّذِينَ أَلْتَقَىٰ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ، وَبَدَأَ  
الْإِسْلَامُ يَنْتَشِرُ فِي يَثْرِبَ، وَاتَّجَهَتْ أَنْظَارُ الْمُسْلِمِينَ نَحْوَ تِلْكَ  
الْمَدِينَةِ، فَهَاجَرَ أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهَا «أَبُو سَلَمَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ  
عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِيُّ» ابْنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبْنُ  
خَالَتِهِ «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ»، إِذْ أَشْتَدَّتْ عَلَيْهِ قُرَيْشٌ بَعْدَ  
عَوْدَتِهِ مِنَ الْحَبَشَةِ، وَبَلَغَهُ إِسْلَامُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَخَرَجَ  
مُهَاجِرًا، وَذَلِكَ قَبْلَ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ بِحَوَالِي الْعَامِ. ثُمَّ انْطَلَقَ  
بَعْدَهُ مُهَاجِرًا «عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ» ثُمَّ «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ»  
وَمَعَهُ أَخُوهُ «أَبُو أَحْمَدَ عَبْدُ»، وَكَانَ ضَرِيرًا وَشَاعِرًا،  
وَأَخَوَاتُهُ «زَيْنَبُ» وَ«حَمْنَةُ» وَ«أُمُّ حَبِيبٍ» وَمَعَهُمْ «فَارِعَةُ  
بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ» وَكَانَتْ زَوْجَ «عَبْدِ بْنِ جَحْشٍ»، وَغَلَّقَتْ  
دَارَ بَنِي جَحْشٍ، فَمَرَّ بِهَا «عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ» وَ«الْعَبَّاسُ بْنُ

عَبْدِ الْمُطَّلِبِ « وَ « أَبُو جَهْلٍ عَمْرُو بْنُ هِشَامٍ » فَنَظَرَ « عُتْبَةُ »  
إِلَى الدَّارِ تَخْفُقُ أَبْوَابُهَا يَبَابًا، لَيْسَ فِيهَا سَاكِنٌ، فَلَمَّا رَأَاهَا  
كَذَلِكَ، تَنَفَّسَ الصَّعْدَاءُ ثُمَّ قَالَ:

وَكُلُّ دَارٍ - وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهَا -

يَوْمًا سَتُدْرِكُهَا النَّكْبَاءُ وَالْحَوْبُ<sup>(١)</sup>

أَصْبَحَتْ دَارُ بَنِي جَحْشٍ خَلَاءً مِنْ أَهْلِهَا، فَقَالَ أَبُو  
جَهْلٍ: وَمَا تَبْكِي عَلَيْهِ مِنْ قُلٍّ<sup>(٢)</sup> بَنٍ قُلٍّ، قَالَ لَبِيدُ بْنُ رَيْبَعَةَ:  
كُلُّ بَنِي حُرَّةٍ مَصِيرُهُمْ  
قُلٌّ وَإِنْ أَكْثَرَتْ مِنَ الْعَدَدِ

ثُمَّ قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَذَا عَمَلُ ابْنِ أَخِي هَذَا، فَرَّقَ  
جَمَاعَتَنَا، وَشَتَّتْ أَمْرَنَا، وَقَطَعَ بَيْنَنَا، وَكَانَ مَنْزِلَ هَؤُلَاءِ  
الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَائِلِ قُبَاءً.

وَأَسْتَدَارَ الْعَامُ، وَآتَى الْمَوْسِمَ مِنَ الْأَنْصَارِ اثْنَا عَشَرَ  
رَجُلًا، فَالْتَقَوْا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْعَقَبَةِ، فَبَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ

(١) الْحَوْبُ: بفتح الحاء وضمها: الوجع - الوحشة - الحزن.

(٢) الْقُلُّ: القليل. وهو قُلٌّ بَنٌ قُلٌّ: لَا يُعْرَفُ هُوَ وَلَا أَبُوهُ - رَجُلٌ قُلٌّ  
قُرْدٌ لَا أَحَدَ لَهُ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ الْأُولَى عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ<sup>(١)</sup>، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَفْتَرَضَ عَلَيْهِمُ الْحَرْبُ، وَلَمَّا أَنْصَرَفَ الْقَوْمُ أَرْسَلَ مَعَهُمْ «مُصْعَبَ بْنِ عُمَيْرٍ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقْرِئَهُمُ الْقُرْآنَ، وَيُعَلِّمَهُمُ الْإِسْلَامَ، وَيُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ.

وَأَسْتَدَارَ الْعَامُ الثَّانِي وَآتَى الْمَوْسِمَ الْأَنْصَارُ مَعَ حُجَّاجِ قَوْمِهِمْ مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ حَتَّى إِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ، وَأَعَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْعَقَبَةَ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ حِينَ أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ مَا أَرَادَ مِنْ كَرَامَتِهِ، وَالنَّصْرِ لِنَبِيِّهِ، وَإِعْزَازِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ وَإِذْلالِ الشَّرْكِ وَأَهْلِهِ.

لَمْ يُؤَذِّنْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ فِي الْحَرْبِ، وَلَمْ تُحَلَّ لَهُ الدِّمَاءُ، إِنَّمَا يُؤَمَّرُ بِالدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْأَذَى، وَالصَّفْحِ عَنِ الْجَاهِلِ. وَكَانَتْ قُرَيْشٌ قَدْ أَضْطَهَدَتْ

---

(١) بَيْعَةُ النِّسَاءِ: يَقْصَدُ بِهَا بَيْعَةُ لَا قِتَالَ فِيهَا، إِذْ كَانَتْ مَبَايِعَةُ الرَّسُولِ ﷺ لِلنِّسَاءِ إِنْ يَأْخُذَ عَلَيْهِنَ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ فَإِذَا أَقْرَنَ بِالسُّنْتَيْنِ قَالَ: قَدْ بَايَعْتَكُنَّ، وَقَدْ وَرَدَتْ بَيْعَةُ النِّسَاءِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرُكَنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبَهْتَانٍ يَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيْهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيْنَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعْنَهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ».



مَنْ اتَّبَعَهُ حَتَّىٰ فَتَنُوهُمْ عَن دِينِهِمْ، وَتَفَوُّهُمْ مِّنْ بِلَادِهِمْ، فَهُمْ  
بَيْنَ مَفْتُونٍ فِي دِينِهِ، وَمُعَذِّبٍ فِي أَيْدِيهِمْ، وَبَيْنَ هَارِبٍ فِي الْبِلَادِ  
فِرَارًا مِنْهُمْ: فَبَعْضُهُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَبَعْضُهُمْ بِالْمَدِينَةِ، وَفِي  
كُلِّ وَجْهِ، فَلَمَّا فَعَلَتْ قُرَيْشٌ هَذَا الْفِعْلَ، وَعَتَتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا  
أَذِنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ فِي الْقِتَالِ، وَالْإِنْتِصَارِ مِمَّنْ ظَلَمَهُمْ  
وَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ، وَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: «أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْنَهُمْ  
ظُلْمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ  
دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ  
بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهَدَمْتُ صَوَامِعُ وَبَيْعَ وَصَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ  
فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ  
عَزِيزٌ، الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا  
الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَ لِلَّهِ عَاقِبَةُ  
الْأُمُورِ»<sup>(١)</sup>.

وَكَانَتْ بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ بَيْعَةَ الْحَرْبِ، فَقَدْ قَالَ عُبَادَةُ  
ابْنُ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ أَحَدَ الَّذِينَ بَايَعُوا بَيْعَةَ  
الْعَقَبَةِ الْأُولَى - بَيْعَةَ النِّسَاءِ - وَبَيْعَةَ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ - بَيْعَةَ

الْحَرْبِ - « بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْعَةَ الْحَرْبِ عَلَى السَّمْعِ  
وَالطَّاعَةِ، فِي عُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَمَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا،  
وَأَلَّا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُولَ الْحَقَّ أَيْنَمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ  
فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً » .

وَأُذِنَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْهَجْرَةِ إِلَى يَثْرِبَ الَّتِي عُرِفَتْ  
فِيمَا بَعْدُ بِاسْمِ « الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ » .

## عَبْدُ اللَّهِ يَطْلُبُ الْجَنَّةَ

لَمَّا خَرَجَ بَنُو جَحْشٍ بْنِ رَبَّابٍ مِنْ دَارِهِمْ فِي مَكَّةَ مُهَاجِرِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ، عَدَا عَلَيْهَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ حَيْثُ كَانَتْ ابْنَتُهُ فَارِعَةُ عِنْدَ أَبِي أَحْمَدَ عَبْدِ بْنِ جَحْشٍ، كَمَا كَانَتْ ابْنَتُهُ الثَّانِيَةُ (أُمُّ حَبِيبَةَ رَمْلَةٌ) عِنْدَ (عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ) وَهُوَ فِي بِلَادِ الْحَبَشَةِ مُتَنَصِّرٌ، وَبَاعَ أَبُو سُفْيَانَ الدَّارَ لِعَمْرِو بْنِ عَلْقَمَةَ، فَلَمَّا وَصَلَ الْخَبْرُ إِلَى بَنِي جَحْشٍ فِي الْمَدِينَةِ بِمَا صَنَعَ أَبُو سُفْيَانَ بِدَارِهِمْ، ذَكَرَ ذَلِكَ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ) لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلَا تَرْضَى يَا عَبْدَ اللَّهِ أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ بِهَا دَارًا خَيْرًا مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ فَذَلِكَ لَكَ.

وَأَسْتَشْهَدَ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ طَالِبًا الْجَنَّةَ رَاغِبًا بِدَارٍ فِيهَا بَدَلٍ مِنْ دَارِهِ فِي مَكَّةَ وَآلَتِي بِاعَهَا أَبُو سُفْيَانَ.

وَعِنْدَمَا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ، كَلَّمَهُ أَبُو أَحْمَدَ فِي دَارِهِمْ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ النَّاسُ لِأَبِي أَحْمَدَ:

يَا أَبَا أَحْمَدَ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَكْرَهُ أَنْ تَرْجِعُوا فِي شَيْءٍ مِنْ  
أَمْوَالِكُمْ أَصِيبَ مِنْكُمْ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَمْسَكَ عَنْ كَلَامِ  
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَفَّ، وَقَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ:

أَبْلَغَ أَبَا سُفْيَانَ عَنْ أَمْرِ عَوَاقِبِهِ نَدَامَهُ  
دَارَ ابْنِ عَمِّكَ بَعَثَهَا تَقْضِي بِهَا عَنْكَ الْغَرَامَةَ  
وَحَلِيفُكُمْ بِاللَّهِ رَبِّ النَّاسِ مُجْتَهِدُ الْقَسَامَةِ<sup>(١)</sup>  
إِذْهَبَ بِهَا إِذْهَبَ بِهَا طَوَّقَتَهَا طَوْقَ الْحَمَامَةِ

وَهَكَذَا فَإِنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي يَطْلُبُ الْجَنَّةَ لَنْ يَبْحَثَ فِي مَتَاعِ  
هَذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، وَلَوْ أَنَّهُ مَلَكَ الْأَرْضَ كُلَّهَا، وَأَسْمَعَ  
مُقَابِلَهَا بِالْجَنَّةِ، لَتَنَازَلَ عَنْ كُلِّ مَا يَمْلِكُ دُونَ تَرَدُّدٍ وَفِي سَبِيلِ  
اللَّهِ عَلَى أَنْ يَنَالَ شَيْئًا فِي الْجَنَّةِ، أَوْ يَحْصُلَ عَلَى أَجْرٍ، أَوْ  
تُمْحَى عَنْهُ سَيِّئَةٌ، وَيُوضَعَ عَنْهُ وَزْرٌ، وَلِهَذَا عِنْدَمَا كَلَّمَ رَسُولُ  
اللَّهِ ﷺ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي شَأْنِ الدَّارِ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ  
جَوَابٌ سِوَى بَلَى دُونَ تَرَدُّدٍ أَوْ تَأْخِيرٍ.

---

(١) الْقَسَامَةُ: الهدنة بين العدو والمسلمين.

## العقيدة رباط الحياة

لَمَّا ارْتَدَّ (عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ) فِي الْحَبَشَةِ، وَتَنَصَّرَ، وَعَادَ شَقِيقَهُ (عَبْدُ اللَّهِ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى مَكَّةَ، وَثَبَّتَ عَلَى الْإِيمَانِ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، انْقَطَعَ مَا كَانَ بَيْنَ الشَّقِيقَيْنِ مِنْ صِلَةٍ وَمَا كَانَ بَيْنَهُمَا مِنْ أُخُوَّةٍ، وَعَدَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَسِيرُ فِي طَرِيقِهِ الَّذِي تَقْتَضِيهِ عَقِيدَتُهُ لَيْسَ بَيْنَهُمَا أَيْةٌ رَابِطَةٌ، فَعَبَدَ اللَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ نَسِيَ (عُبَيْدُ اللَّهِ) تَمَامًا، وَلَمْ يَعُدْ يَذْكُرُهُ أَبَدًا، وَأَصْبَحَ إِخْوَتُهُ هُمُ الَّذِينَ يَعِيشُ مَعَهُمْ فِي الْمَدِينَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ صِلَةٌ نَسَبٍ أَوْ قَرَابَةٍ رَحِمٍ أَوْ رَابِطَةٍ جِنْسٍ؛ فَالْعَقِيدَةُ هِيَ رِبَاطُ الْحَيَاةِ وَالصَّلَاةِ بَيْنَ الْأَفْرَادِ «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ، أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ، وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ

حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»<sup>(١)</sup>.

---

(١) المجادلة: آية: ٢٢.

## عَبْدُ اللَّهِ يَطْلُبُ الشَّهَادَةَ

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُدَّةَ إِسْلَامِهِ كُلَّهَا هَادِئًا لَا يُظْهِرُ شَجَاعَةً عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ أُعْطِيَهَا، وَلَمْ يُبْدِ قُوَّةَ مَعَ امْتِلَاكِهَ لَهَا، وَلَا يُرِيدُ زَعَامَةً عَلَى الرَّغْمِ مِنْ مُوَهَّلَاتِهِ، وَلَا يَبْغِي قِيَادَةً مَعَ امْكَانَاتِهِ الْفَدَّةَ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَحْصُلَ عَلَى الْأَجْرِ، وَيَتَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ وَتَنْفِذِ أَوْامِرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَلَمَّا اسْتَقَرَّ الْمُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ، بَدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرْسِلُ السَّرَايَا، وَيُجَهِّزُ الْغَزَوَاتِ، وَيَخْتَارُ لَهَا الْأَبْطَالَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ؛ لِيُثَبَّتَ مَرْكَزَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَسْتَعِيزَ بَعْضَ مَا تَرَكَهُ الْمُهَاجِرُونَ مِنْ مَكَّةَ، وَلِيُجْبِرَ قُرَيْشَ عَلَى الْمُهَادَنَةِ وَالْاعْتِرَافِ بِالْإِسْلَامِ، وَهِيَ فِي حَالَةِ حَرْبٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَدِينَةِ.

وَفِي شَهْرِ رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْمُهْجَرَةِ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَمَاعَةً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، لَيْسَ فِيهِمْ مِنَ الْأَنْصَارِ أَحَدٌ،

وَكَانَ عَدَدُهُمْ ثَمَانِيَّةً وَهُمْ: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ، أَبُو حُدَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصَنٍ، عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، سُهَيْلُ بْنُ بَيْضَاءَ، خَالِدُ بْنُ الْبُكَيْرِ، وَجَعَلَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ وَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا، وَأَمَرَهُ أَلَّا يَنْظُرَ فِيهِ حَتَّى يَسِيرَ يَوْمَيْنِ ثُمَّ يَنْظُرَ فِيهِ، فَيَمْضِيَ لِمَا أَمَرَهُ بِهِ، وَلَا يَسْتَكْرِهَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَدًا. فَلَمَّا سَارَ الْقَائِدُ يَوْمَيْنِ فَتَحَ الْكِتَابَ، فَنَظَرَ فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ: إِذَا نَظَرْتَ فِي كِتَابِي هَذَا فَأَمْضِ حَتَّى تَنْزِلَ (نَخْلَةَ) بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ، فَتَرَصَّدْ بِهَا قُرَيْشًا وَتَعَلَّمْ لَنَا مِنْ أَخْبَارِهِمْ. فَلَمَّا نَظَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ فِي الْكِتَابِ قَالَ: سَمِعًا وَطَاعَةً، ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: قَدْ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَمْضِيَ إِلَى (نَخْلَةَ)، أَرْصُدُ بِهَا قُرَيْشًا، حَتَّى آتِيَهُ مِنْهُمْ بِخَبَرٍ، وَقَدْ نَهَانِي أَنْ أَسْتَكْرِهَ أَحَدًا مِنْكُمْ. فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُرِيدُ الشَّهَادَةَ وَيَرْغُبُ فِيهَا فَلْيَنْطَلِقْ، وَمَنْ كَرِهَ ذَلِكَ فَلْيَرْجِعْ، فَأَمَّا أَنَا فَمَاضٍ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَضَى وَمَضَى مَعَهُ أَصْحَابُهُ، لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

وَفِي الطَّرِيقِ أَضَلَّ (سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ) وَ(عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ) بَعِيرًا لَهُمَا، كَانَا يَتَعَاقَبَانِيهِ، فَتَخَلَّفَا عَنْهُ فِي طَلَبِهِ، وَمَضَى (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ) وَبَقِيَّةُ أَصْحَابِهِ حَتَّى نَزَلَ



(نَخْلَةٌ)، فَمَرَّتْ بِهِ عِيرٌ لِقُرَيْشٍ تَحْمِلُ زَيْبًا وَأُدْمًا<sup>(١)</sup>،  
وَتِجَارَةً مِنْ تِجَارَةِ قُرَيْشٍ، فِيهَا عَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيِّ وَمَعَهُ  
جَمَاعَةٌ، فَلَمَّا رَأَوْهُمُ الْقَوْمَ هَابُوهُمْ وَقَدُ نَزَلُوا قَرِيبًا مِنْهُمْ،  
وَتَشَاوَرَ الصَّحَابَةُ فِي الْعِيرِ، وَكَانَ آخِرَ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ،  
وَقَالُوا: وَاللَّهِ لَئِنْ تَرَكْتُمُ الْقَوْمَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ لَيَدْخُلَنَّ الْحَرَمَ،  
فَلَيَمْتَنَنَّ مِنْكُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قَتَلْتُمُوهُمْ لَتَقْتُلُنَّهُمْ فِي الشَّهْرِ  
الْحَرَامِ، فَتَرَدَّدُوا، وَهَابُوا الْأَقْدَامَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ شَجَعُوا أَنْفُسَهُمْ  
عَلَيْهِمْ، وَأَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِ مَنْ قَدَرُوا عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ وَأَخَذَ مَا  
مَعَهُمْ. فَشَدُّوا عَلَيْهِمْ، وَقَدْ اسْتَطَاعُوا قَتْلَ (عَمْرُو بْنِ  
الْحَضْرَمِيِّ)، وَأَسَرَ (الْحَكَمَ بْنَ كَيْسَانَ) وَ(عُثْمَانَ بْنَ عَبْدِ  
اللَّهِ) وَأَخَذَ الْعِيرَ، وَأَقْبَلُوا بِمَا حَصَلُوا عَلَيْهِ إِلَى الْمَدِينَةِ. وَكَانَ  
أَبْنُ الْحَضْرَمِيِّ أَوَّلَ قَتِيلٍ قَتَلَهُ الْمُسْلِمُونَ، وَالْأَسِيرَانِ أَوَّلَ  
الَّذِينَ (أَسْرُوا).

---

(١) الْأُدْمُ: مفردا الإلدامُ: ما يُسْتَمَرُّ به الخُبْزُ.

## القَاتِلُ الْخَائِفُ

وَصَلَ الْقَوْمُ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَقَدَّمُوا مَا حَصَلُوا عَلَيْهِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ لَهُمْ: مَا أَمَرْتُكُمْ بِقِتَالٍ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ. فَوَقَفَ الْعَبِيرَ وَالْأَسِيرِينَ، وَأَبَى أَنْ يَأْخُذَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ سَقَطَ فِي أَيْدِي الْقَوْمِ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا، وَعَتَفَهُمْ إِخْوَانُهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيمَا صَنَعُوا. وَقَالَتْ قُرَيْشٌ: قَدْ اسْتَحَلَّ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ الشَّهْرَ الْحَرَامَ، وَسَفَكُوا فِيهِ الدَّمَ، وَأَخَذُوا فِيهِ الْأَمْوَالَ، وَأَسْرَوْا فِيهِ الرِّجَالَ، فَقَالَ مَنْ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ كَانَ بِمَكَّةَ: إِنَّمَا أَصَابُوا مَا أَصَابُوا فِي شَعْبَانَ. وَخَافَ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَصْحَابُهُ وَبِخَاصَّةٍ أَنَّ النَّاسَ قَدْ أَكْثَرُوا مِنْ الْحَدِيثِ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ، قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ، وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ، وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ، وَلَا يَزَالُونَ

يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا»<sup>(١)</sup>. فَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ بِهَذَا الْأَمْرِ وَفَرَّجَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْخَوْفِ قَبَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْغِيْرَ وَالْأَسِيرِينَ .

أَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ تَطْلُبُ فِدَاءَ أُسْرِيْهَا ، فَرَفَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَقَالَ : لَا نَفْدِيكُمْوهُمَْا حَتَّى يَقْدَمَ صَاحِبَانَا سَعْدٌ وَعُتْبَةُ ، فَلَمَّا قَدِمَا فِدَاهُمَا . فَأَمَّا (الْحَكَمُ بْنُ كَيْسَانَ) أَحَدُ الْأَسِيرِينَ فَقَدْ أَسْلَمَ وَحَسَنَ إِسْلَامُهُ ، وَقُتِلَ شَهِيداً فِي غَزْوَةِ بَثْرِ مَعُونَةَ فِي آلْسَنَةِ الثَّالِثَةِ لِلْهَجْرَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأَمَّا (عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) فَقَدْ لَحِقَ بِمَكَّةَ وَمَاتَ كَافِراً .

## القَائِدُ الْمَلْهُمُ

وَفِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ - طَرِيقِ الْعُودَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ - قَالَ  
 (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَصْحَابِهِ: إِنَّ لِرَسُولِ  
 اللَّهِ ﷺ مِمَّا غَنِمْنَا الْخُمْسَ. وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَفْرِضَ اللَّهُ تَعَالَى  
 الْخُمْسَ مِنَ الْمَغَانِمِ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَقَبَضَ ذَلِكَ  
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - بَعْدَ أَنْفِرَاجِ الْغَمَّةِ - عَزَلَ خُمْسَ الْعِيرِ،  
 وَقَسَمَ سَائِرَهَا بَيْنَ أَصْحَابِ (عَبْدِ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ) رِضْوَانُ  
 اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ نَزَلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِهَذَا بَعْدَ غَزْوَةِ بَدْرٍ  
 الْكُبْرَى بَعْدَ التَّسَاوُلِ عَنِ الْغَنَائِمِ (الْأَنْفَالِ) «وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا  
 غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى  
 وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا  
 أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ، وَاللَّهُ عَلَى  
 كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»<sup>(١)</sup>.

---

(١) الْأَنْفَالُ: ٤٠.

## عَبْدُ اللَّهِ يَطْلُبُ الْآخِرَ

لَمَّا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِهَذِهِ الْحَادِثَةِ مَا أُنْزِلَ،  
وَتَجَلَّى عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ) وَأَصْحَابِهِ مَا كَانُوا فِيهِ،  
طَمِعُوا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ أَجْرُ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَنْ  
تَكُونَ أَعْمَالُهُمْ أَعْمَالِ الْغَزْوِ وَالْجِهَادِ، فَقَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ  
ﷺ: أَنْطَمِعُ أَنْ تَكُونَ لَنَا غَزْوَةٌ نُعْطَى فِيهَا أَجْرَ الْمُجَاهِدِينَ؟  
فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا  
فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»<sup>(١)</sup>.  
فَأَعْطَاهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ الْآجَرَ، وَوَضَعَهُمْ عَلَى أَحْسَنِ الرَّجَاءِ.

وَكَانَتْ غَنِيمَتُهُمْ هَذِهِ أَوَّلَ غَنِيمَةٍ غَنِمَهَا الْمُسْلِمُونَ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ بِذَلِكَ:

تُعَدُّونَ قِتْلًا فِي الْحَرَامِ عَظِيمَةً  
وَأَعْظَمُ مِنْهُ لَوْ يَرَى الرُّشْدَ رَاشِدٌ

(١) البقرة: ٢١٨.

صُدُّودُكُمْ عَمَّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ  
 وَكُفْرٌ بِهِ وَاللَّهُ رَأَى وَشَاهِدُ  
 وَإِخْرَاجُكُمْ مِنْ مَسْجِدِ اللَّهِ أَهْلَهُ  
 لئَلَّا يُرَى لِلَّهِ فِي الْبَيْتِ سَاجِدُ  
 فَإِنَّا وَإِنْ عَيَّرْتُمُونَا بِقَتْلِهِ  
 وَأَرْجَفَ بِالْإِسْلَامِ بَاغٍ وَحَاسِدُ  
 سَقَيْنَا مِنْ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ رِمَاحَنَا  
 بِنَخْلَةٍ لَمَّا أَوْقَدَ الْحَرْبَ وَأَقْدُ<sup>(١)</sup>  
 دَمًا، وَابْنُ عَبْدِ اللَّهِ عُثْمَانُ<sup>(٢)</sup> بَيْنَنَا  
 يُنَازِعُهُ غُلٌّ مِنَ الْقَدِّ عَانِدُ

---

(١) واقد بن عبد الله هو الذي أوقد الحرب وقتل ابن الحضرمي بسهم.

(٢) عثمان بن عبد الله الذي أخذ أسيراً، ويبدو أن الشاعر لم يذكر (الحكم

بن كيسان) حيث دخل في الاسلام وحسن إسلامه.

## عَبْدُ اللَّهِ فِي بَدْرِ

وَخَرَجَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَهَا يَعْتَرِضُونَ عِيراً لِقُرَيْشٍ فِي  
طَرِيقِهَا إِلَى الشَّامِ، وَلَكِنَّهَا أَفْلَتَتْ مِنْهُمْ، فَعَادُوا إِلَى الْمَدِينَةِ  
يَنْتَظِرُونَ رُجُوعَهَا، وَمَا إِنْ بَلَغَهُمْ خَبَرُهَا حَتَّى خَرَجُوا  
يُرِيدُونَهَا؛ إِلَّا أَنَّ خَبَرَ خُرُوجِهِمْ قَدْ وَصَلَ إِلَى مَكَّةَ، وَخَرَجَ  
الْمُشْرِكُونَ، وَالتَّقَى الْجَمْعَانِ أَحَدُهُمَا يُرِيدُ الْقِتَالَ وَمُتَأَهِّبٌ  
لَهُ، وَالْأُخَرُ يُرِيدُ الْعِيرَ وَغَيْرُ مُسْتَعِدٍّ لِلْحَرْبِ، وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ  
يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ، وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ، لِيُحِقَّ الْحَقَّ  
وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ. وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً،  
وَالْتَقَى الْجَمْعَانِ، فَفَصَّرَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَذَلَّ أَعْدَاءَهُ  
الْمُشْرِكِينَ

وَكَانَ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي جُمْلَةِ  
الَّذِينَ خَرَجُوا، وَأَبْلَى بَلَاءً حَسَنًا، وَخَاضَ الْقِتَالَ بِكُلِّ بَسَالَةٍ،  
الْأَمْرُ الَّذِي جَعَلَ قُرَيْشًا تَحْقِدُ عَلَيْهِ حِقْدًا عَظِيمًا، وَتُرِيدُ

الْإِنْتِقَامَ مِنْهُ، وَهُوَ فِي قِتَالِهِ لَا يُرِيدُ أَنْ يَرْتَفِعَ اسْمُهُ، وَلَا  
يَعْلُو شَأْنُهُ، وَإِنَّمَا كَانَ يُقَاتِلُ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا،  
وَيَرْجُو لَوْ يَظْفَرُ بِالشَّهَادَةِ، وَلَكِنَّ إِرَادَةَ اللَّهِ فَوْقَ كُلِّ إِرَادَةٍ.



## شَهِيدُ أَحَدٍ

وَأَنْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ فِي بَدْرٍ، وَعَادُوا إِلَى مَدِينَتِهِمْ مَعَ رَسُولِهِمُ الْكَرِيمِ ، وَقَدْ أَرْتَفَعَتْ رَأْيَةُ الْإِسْلَامِ وَعَلَتْ مَكَانَتُهُ وَأَنْحَطَّتْ كَلِمَةُ قُرَيْشٍ وَقَلَّ شَأْنُهَا... وَأَرَادَتْ قُرَيْشُ النَّارِ وَإِعَادَةَ مَكَانَتِهَا إِلَيْهَا، فَخَرَجَتْ بِقُوَّتِهَا وَجَبَرَوْتَهَا، وَخَرَجَ الْمُسْلِمُونَ لِمُلَاقَاتِهَا ظَاهِرَ الْمَدِينَةِ، وَالتَّقَى الْجَمْعَانِ فِي سُفُوحِ جَبَلِ أَحَدٍ الْجَنُوبِيَّةِ... وَأَرَادَ اللَّهُ ابْتِلَاءَ الْمُسْلِمِينَ... وَكَانَتْ إِرَادَةُ اللَّهِ.

كَانَ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي طَلِيعَةِ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا كَانَ لَهُ أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنْهُ بَعْدَ أَنْ أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، وَمَا كَانَ لِيُفْضَلَ نَفْسُهُ عَلَى نَفْسِ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا».

وَأَنْطَلَقَ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُقَاتِلُ فِي كُلِّ مَيْدَانٍ ،

وَيَنْتَقِلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ حَتَّى مَلَأَ قُلُوبَ أَعْدَائِهِ اللَّهُ حِقْدًا عَلَيْهِ، وَأَخِيرًا اسْتَشْهَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَوَقَعَتْ جُثَّتُهُ بِأَيْدِي قُرَيْشٍ فَمَثَلَتْ بِهَا، وَلَمْ تُمَثَّلْ إِلَّا بِهَا وَبِجُثَّةِ الْحَمْزَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَكِنْ لَمْ يُبْقَرَ كَبِدُهُ.

وَارَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شُهَدَاءَ الْمُسْلِمِينَ، وَدَفَنَ عَمَّهُ الْحَمْزَةَ وَأَبْنَ أُخْتِهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ... وَهَكَذَا أَنْتَهَتْ حَيَاةُ هَذَا الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ شَهِيداً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

بُيُوتَةُ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ

- ٤ -

ابْنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الرَّبِيعُ بْنُ الْعَوَّامِ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ  
 الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ  
 وَبَعْدُ: فَإِنَّهُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ  
 عَنْهُ أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ، وَأَبْنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ  
 ﷺ، وَأَحَدُ رِجَالَاتِ قُرَيْشٍ الْمَعْرُوفِينَ وَفُرْسَانِهَا  
 الْمَعْدُودِينَ؛ فَإِنَّ حَيَاتَهُ غَيْرَ مَعْرُوفَةٍ تَمَامًا؛ حَيْثُ كَانَ يَعِيشُ  
 فِي ظِلِّ الصَّحَابَةِ الْأَخْرَيْنِ. يُعْرَفُ اسْمُ الْقَائِدِ فِي الْمَعَارِكِ،  
 وَيُغْفَلُ اسْمُ الْجُنُودِ الْأَبْطَالِ مَهْمَا كَانَتْ شَجَاعَتُهُمْ، وَمَهْمَا  
 وَصَلَتْ إِلَيْهِ بُطُولَاتُهُمْ، وَلَمْ يَكُنِ الزُّبَيْرُ يَرْغَبُ فِي الْقِيَادَةِ؛  
 لِيَبْقَى فِي عِدَادِ الْمَغْمُومِينَ، يَطْلُبُ الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ، لَا يُرِيدُ أَنْ  
 يَأْخُذَ ثَمَنَ أَعْمَالِهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ شُهْرَةً أَوْ جَاهًا أَوْ مَالًا  
 أَوْ مَنْصِبًا، بَلْ يَرْجُو كَمَا يَرْجُو بَقِيَّةُ الصَّحَابَةِ أَنْ تَبْقَى حَيَاتُهُ  
 هَكَذَا يُجَاهِدُ وَيَطْلُبُ الشَّهَادَةَ لِيُظْفَرَ بِالْآخِرَةِ، وَيَغْزُو وَيَرْغَبُ  
 فِي الْجَنَّةِ جَزَاءَ عَمَلِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسَمَعَ ذِكْرُهُ أَوْ يُعْرَفَ  
 وَضَعُهُ.

وَمِنْ الْمُؤَسِّفِ أَنْ يَكُونَ الْجُزْءُ الْمَعْرُوفُ مِنْ حَيَاةِ الزُّبَيْرِ  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّمَا هُوَ وَقْتُ الْفِتْنَةِ، وَفِي أَوَاخِرِ حَيَاتِهِ،  
 وَكَأَنَّمَا نُسِيتُ حَيَاتُهُ الْأُولَى وَأَعْمَالُهُ الْعَظِيمَةُ، حَيْثُ سُلِّطَتْ  
 الْأَضْوَاءُ عَلَى هَذِهِ الْمَرَحَلَةِ مِنْ تَارِيخِ الْإِسْلَامِ، وَكَثُرَ فِيهَا  
 الْحَدِيثُ، وَتَشَعَّبَتِ الْأَهْوَاءُ، وَزَادَ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ فِي الْطَّعْنِ  
 بِإِفْتِرَائِهِمْ بِذِكْرِ مَوَاقِفَ لِلصَّحَابَةِ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ النَّظَرِ أَوْ  
 يَبْدُو فِيهَا التَّرَدُّدُ أَوْ التَّنَاقُضُ وَ - حَسْبَ زَعْمِهِمْ - يَظُنُّونَ  
 أَنَّ قِيَمَةَ الْإِسْلَامِ تَخَفُّ مِنَ النُّفُوسِ بِوَصْفِ رِجَالَاتِهِ  
 الْبَارِزِينَ وَصِفًا فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ التَّجَنِّي، وَيَجْهَلُونَ أَنَّ تَقْوِيمَ  
 الْمَرْءِ عِنْدَنَا لَا يَكُونُ إِلَّا بِمَقْدَارِ تَمَسُّكِهِ بِالْإِسْلَامِ وَتَطْبِيقِهِ  
 لَهُ. وَرَبَّمَا كَانَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِينَ يَنْطَبِقُ عَلَيْهِمْ هَذَا الْوَصْفُ  
 هُوَ سَيِّدُنَا الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

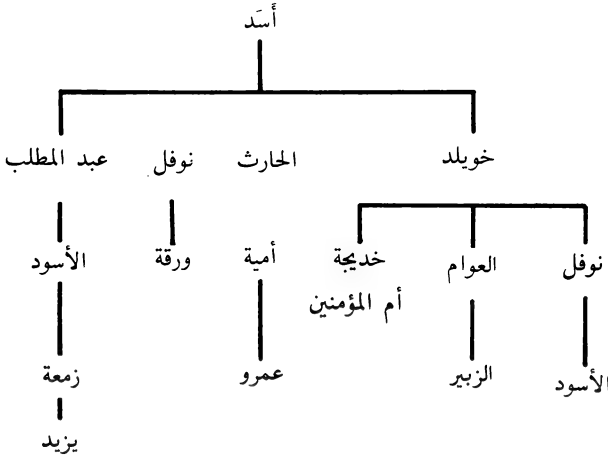
وَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ يَعْجُزُ عَنْ أَنْ يُعْطِيَ صُورَةً صَادِقَةً لِأَحَدِ  
 الصَّحَابَةِ لِمَا فِيهَا مِنْ أَيَّامٍ نَاصِعَةٍ وَأَعْمَالٍ جَلِيلَةٍ وَمَوَاقِفَ  
 بُطُولِيَّةٍ رَائِعَةٍ وَارْتِفَاعٍ بِالْإِنْسَانِ وَسُمُوٍّ يَصِلُ فِيهِ إِلَى فَوْقِ  
 مُسْتَوَى الرِّجَالِ فَإِنَّهُ مِنَ الصَّعُوبَةِ بِمَكَانٍ أَنْ يُقَدَّمَ تَعْرِيفًا  
 لِصَحَابِيٍّ كَبِيرٍ فِي كُتَيْبٍ صَغِيرٍ، إِلَّا أَنَّ الْضَّرُورَةَ تَقْضِي أَنْ  
 يَكُونَ التَّعْرِيفُ مُوجِزًا فَالَوْفُتُ الضِّيقُ، وَحِرْصُ مُجْتَمَعَاتِ  
 الْيَوْمِ عَلَى طَلَبِ الْإِخْتِصَارِ، وَأَخَذِ الْمَعْلُومَاتِ عَنْ طَرِيقِ

جُرْعَاتٍ صَغِيرَةٍ فِي أَوْقَاتٍ قَلِيلَةٍ وَهَذَا عُذْرِي فِي الْإِخْتِصَارِ  
وَتَكْثِيفِ الْمَعْلُومَاتِ وَعَدَمِ الْقَاءِ الْأَضْوَاءِ عَلَى بَعْضِ  
الْمَوَاقِفِ الْمَجِيدَةِ بِصُورَةٍ مُعَيَّنَةٍ .

فَارْجُو أَنْ يُوفِّقَنِي اللَّهُ إِلَى إِعْطَاءِ صُورَةٍ مُشْرِقَةٍ عَنْ هَذَا  
الْعِلْمِ وَالْقِمَّةِ الشَّامِحَةِ وَاللَّهُ مِنْ وَرَاءِ الْقَصْدِ .

## أُسْرَةُ الزُّبَيْرِ

يَنْتَمِي الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى بَنِي أَسَدٍ أَحَدِ  
بُطُونِ قُرَيْشٍ ، وَإِذَا كَانَ بَنُو أَسَدٍ قَلِيلِي الْعَدَدِ فِي الْأَفْرَادِ إِلَّا  
أَنَّهُمْ أَمْتَّازُوا بِالْفُرُوسِيَّةِ وَالشَّجَاعَةِ .



لَقَدْ كَانَتْ بُطُونُ قُرَيْشٍ تَتَزَاوَجُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ،  
وَيَحْرَصُ الْأَبَاءُ أَنْ يُزَوِّجُوا أَبْنَاءَهُمْ مِنْ بَنَاتِ الْأَسْرِ  
الْمَعْرُوفَةِ ، وَيَخْتَارُوا لِبَنَاتِهِمْ مِنَ الرِّجَالِ الْمَشْهُورِينَ بِالْقُوَّةِ  
حَتَّى يَجِدُوا لَهُمْ السَّنَدَ فِي الشَّدَائِدِ .



اخْتَارَ خُوَيْلِدُ بْنُ أَسَدٍ لَوْلَدِهِ الْعَوَّامَ ابْنَةَ سَيِّدِ قُرَيْشٍ  
 آنَذَاكَ وَهِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ شَقِيقَةُ الْحَمْزَةِ عَمِّ  
 رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأُمُّهُمَا هَالَةُ بِنْتُ أَهْيَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ  
 الزُّهْرِيَّةُ، وَكَانَ الْعَوَّامُ أَهْلًا لِهَذَا الزَّوْاجِ وَكُفْنًا لَهُ. وَبِهَذَا  
 اجْتَمَعَ لَوْلَدِ الْعَوَّامِ شَرَفُ الْأَرْوَمَةِ وَطِيبُ الْمُنْبِتِ. فَأَخَذَ  
 الزُّبَيْرُ مِنْ أُسْرَتِهِ (بَنِي أَسَدٍ) الْفُرُوسِيَّةَ، وَمِنْ أُسْرَةِ أُمِّهِ (بَنِي  
 هَاشِمٍ) الْقُوَّةَ وَالسِّيَادَةَ، كَمَا اكْتَسَبَ مِنْ بَنِي زُهْرَةَ صَفَاءَ  
 الْفِكْرِ وَسَعَةَ الْأَفُقِ.

قُتِلَ الْعَوَّامُ فِي حَرْبِ الْفِجَارِ، وَكَانَتْ زَوْجُهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ  
 عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حَامِلًا بِوَلَدِهِ الزُّبَيْرِ الَّذِي وُلِدَ وَلَمْ يَعْرِفْ أَبَاهُ،  
 فَنَشَأَ يَتِيمًا فَقِيرًا.

وَكَانَتْ عَمَّتُهُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،  
 وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ فَهُوَ ابْنُ عَمَّتِهِ صَفِيَّةَ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

## صِفَاتُ الزُّبَيْرِ

كَانَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طَوِيلًا إِذَا رَكِبَ تَخَطَّى رِجْلَاهُ الْأَرْضَ، وَكَانَ قَوِيًّا، تَرَبَّى مُنْذُ طُفُولَتِهِ تَرْبِيَةً قَاسِيَةً، وَحَرَصَتْ أُمُّهُ صَفِيَّةٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَلَى ذَلِكَ؛ إِذْ عُرِفَتْ هِيَ بِقُوَّتِهَا كَمَا عُرِفَ إِخْوَتُهَا وَبِخَاصَّةِ الْحَمْرَةِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - الَّذِي ضَرَبَ أَبَا جَهْلٍ عَمْرَوْ بْنَ هِشَامٍ ضَرْبَةً شَجَّهَ بِهَا شَجَّةً مُنْكَرَةً عِنْدَمَا بَلَغَهُ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَدْ شَتَمَ ابْنَ أَخِيهِ مُحَمَّدًا ﷺ، وَأَبُو جَهْلٍ مِنْ أَشْدَاءِ قُرَيْشٍ الْمَعْرُوفِينَ. أَمَّا صَفِيَّةٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَدْ نَزَلَتْ مِنْ حِصْنِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ - فَارِعٍ - أَثْنَاءَ غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ، وَقَتَلَتْ يَهُودِيًّا بَعْمُودٍ، وَكَانَ هَذَا الْيَهُودِيُّ يَطُوفُ بِالْحِصْنِ. وَقَدْ حَارَبَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ، وَقَطَعَتْ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَيْسَ بَيْنَ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَصِبْيَانِهِمْ أَحَدٌ يَدْفَعُ عَنْهُمْ ضِدَّ يَهُودٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ فِي نُحُورِ عَدُوِّهِمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَنْصَرِفُوا عَنْهُمْ إِنْ أَتَى أَحَدٌ إِلَى أَهْلِهِمْ.

رَبَّتْ صَفِيَّةُ ابْنَهَا تَرْبِيَةً خَشِنَةً، فَكَانَتْ تَضْرِبُهُ ضَرْباً شَدِيداً؛ لِيَتَعَوَّدَ الْحَيَاةَ الْقَاسِيَةَ، فَيُلَبِّيَ دَاعِيَ الْحَرْبِ، وَلَا يَقْبَعَ فِي بَيْتِهِ كَالنِّسَاءِ. وَقَدْ عُرِفَ مِنَ الصَّغَرِ بِقُوَّتِهِ، فَكَسَرَ يَدَ غُلَامٍ، وَقَاتَلَ وَهُوَ غُلَامٌ رَجُلًا، فَكَسَرَ يَدَهُ، وَضْرَبَهُ ضَرْباً شَدِيداً، وَكَانَ ذَلِكَ مَدْعَاةً لِفَخْرِ أُمِّهِ بَوْلَدِهَا وَشَجَاعَتِهِ. وَجَاءَ رَجُلٌ مَرَّةً إِلَى صَفِيَّةَ فَقَالَ لَهَا: أَيْنَ الزُّبَيْرُ؟ قَالَتْ: وَمَا تُرِيدُ إِلَيْهِ، قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَبَاطِشَهُ، فَقَالَتْ هَا هُوَ ذَاكَ، فَصَارَ إِلَى الزُّبَيْرِ، فَبَاطِشَهُ، فغَلَبَهُ الزُّبَيْرُ، فَمَرَّ الرَّجُلُ بِصَفِيَّةَ مَغْلُولًا، فَقَالَتْ صَفِيَّةُ: كَيْفَ رَأَيْتَ زَبْرًا أَأَقِطًا وَتَمْرًا أَمْ قُرْشِيًّا صَقْرًا. وَعِنْدَمَا شَبَّ أَصْبَحَ مِنْ رِجَالِ الْإِسْلَامِ الْمَعْدُودِينَ، وَقَدْ شَهِدَتْ لَهُ بِذَلِكَ الْأَيَّامُ وَالْمَعَارِكُ الَّتِي خَاضَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَأَنْجَبَ أَوْلَادًا أَشْتَهَرُوا بِقُوَّتِهِمْ وَشَجَاعَتِهِمْ، مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ وَلَدُهُ الْأَكْبَرُ الَّذِي كُنِيَ بِهِ، وَمُصْعَبٌ وَعُرْوَةُ وَمُنْذِرٌ وَعَمْرُو وَعَبِيدَةُ وَجَعْفَرٌ وَعَامِرٌ وَعُمَيْرٌ وَحَمْرَةُ.

## إسلام الزبير

كَانَ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَتَرَدَّدُ إِلَى دَارِ عَمَّتِهِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، كَمَا كَانَ يَغْشَى مَجْلِسَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَفِي كُلِّ مِنْهَا قَدْ انْتَشَرَ الْإِسْلَامُ، إِضَافَةً إِلَى أَنَّ أُمَّهُ فِي بَيْتِهِ كَانَتْ تُحِبُّ ابْنَ أَخِيهَا مُحَمَّدًا ﷺ حُبًّا عَظِيمًا وَتَتَحَدَّثُ دَائِمًا عَمَّا أَمَّازَ بِهِ مِنْ صِفَاتٍ، وَلَمْ تَكُنْ قَدْ اعْتَنَقَتْ الْإِسْلَامَ بَعْدُ، وَهَذَا مَا جَعَلَ مُحَمَّدًا يَكْبُرُ فِي عَيْنِ وَلَدِهَا الزُّبَيْرِ، وَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا مِنْهُ، يَكْتَسِبُ مِنْ صِفَاتِهِ، وَيَتَعَلَّمُ مِنْ أَخْلَاقِهِ .

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - رَجُلًا يَأْلَفُهُ قَوْمُهُ مُحَبَّبًا سَهْلًا، وَكَانَ أَنْسَبَ قُرَيْشٍ لِقُرَيْشٍ، وَأَعْلَمَ قُرَيْشٍ بِهَا، وَبِهَا كَانَ فِيهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَكَانَ رَجُلًا تَاجِرًا، ذَا خُلُقٍ وَمَعْرُوفٍ، وَكَانَ رِجَالُ قَوْمِهِ يَأْتُونَهُ وَيَأْلَفُونَهُ لِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ، لِعِلْمِهِ، وَتِجَارَتِهِ، وَحُسْنِ مُجَالَسَتِهِ، فَجَعَلَ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ مَنْ وَثِقَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ مِمَّنْ يَغْشَاهُ، وَيَجْلِسُ

إِلَيْهِ . وَكَانَ مِمَّنْ دَعَاهُمْ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَاسْتَجَابَ ، وَأَسْلَمَ ، وَلَمْ يَتَجَاوَزِ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ . وَعَلَى هَذَا يَكُونُ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَوَائِلِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ، بَلْ يُعَدُّ خَامِسَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْأَحْرَارِ . وَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِخَمْسَةِ وَعِشْرِينَ عَامًا .

عَدْتُ قُرَيْشٌ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ رِجَالِهَا وَمَوَالِيهَا ، وَأَذَاقَتْهُمْ مَرَّ الْعَذَابِ ، وَكَانَ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ جُمْلَةٍ مَنْ أَصَابَهُمُ الْأَذَى إِذْ حَاوَلَ أَحَدُ عُمُومَتِهِ أَنْ يَنْتَحِيهِ عَنِ الْإِيمَانِ فَعَجَزَ ، عِنْدَئِذٍ قَيْدُهُ بِالْحَبَالِ وَلَقَّهُ فِي حَصِيرٍ ، وَعَلَّقَهُ عَلَى حَائِطٍ ، وَأَوْقَدَ تَحْتَهُ نَارًا ، وَأَنْدَلَعَتْ أَلْسِنَةُ الدُّخَانِ إِلَى الْحَصِيرِ ، وَوَصَلَتْ إِلَى الزُّبَيْرِ ، فَاحْتَرَقَتْ أَنْفُهُ ، وَسَالَتْ الدَّمُوعُ مِنْ عَيْنَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الدُّخَانِ ، وَأَيَّقَنَ أَنَّهُ هَالِكٌ لَا مَحَالَةَ إِلَّا أَنَّهُ صَبَرَ وَتَجَلَّدَ فِي سَبِيلِ عَقِيدَتِهِ . وَأَنْتَهَى وَقُودُ النَّارِ فَانْطَفَأَتْ ، وَبَقِيَ الزُّبَيْرُ مُعَلَّقًا عَلَى الْحَائِطِ حَتَّى أَنْتَهَى النَّهَارُ ، فَجَاءَ عَمَّهُ ، فَأَنْزَلَهُ ، فَوَجَدَهُ قَدْ أَسْوَدَ لَوْنُهُ ، وَاحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ مِنْ شِدَّةِ مَا أَصَابَهُ ، وَطَلَبَ مِنْهُ عَمَّهُ أَنْ يَعُودَ إِلَى دِينِ قَوْمِهِ ، وَظَنَّ أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ أَنْتَهَى ، إِلَّا أَنَّ الزُّبَيْرَ قَدْ رَدَّهُ رَدًّا جَمِيلًا ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَعُودَ إِلَى الْكُفْرِ أَبَدًا بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ ،

وَهَلْ يُحِبُّ أَحَدٌ أَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ.. وَلَكِنَّ أَلْعَمَّ الْكَافِرَ كَانَ  
 غَلِيظَ الْقَلْبِ، فَلَمْ يَلْنُ، وَإِنَّمَا عَادَ إِلَىٰ تَعْذِيهِ ثَانِيَةً وَثَالِثَةً،  
 وَلَكِنَّ الزُّبَيْرَ بَقِيَ رَاسِخَ الْإِيمَانِ ثَابِتًا عَلَى الْإِسْلَامِ. وَعِنْدَهَا  
 أَتَقَنَ أَلْعَمُّ أَنَّ الْعَذَابَ وَسِيلَةٌ غَيْرُ مُفِيدَةٍ، وَلَنْ يَصِلَ إِلَىٰ غَايَتِهِ  
 بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ لِذَا تَرَكَهُ وَشَأْنُهُ. فَالْإِيمَانُ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُبْعَدَهُ  
 الْعَذَابُ، مَهْمَا عَظُمَ، عَنِ الْنُفُوسِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَسْتَصْغِرُ  
 الدُّنْيَا الْفَانِيَةَ وَتَسْتَعِذُّ الْمَصَائِبَ فِي سَبِيلِ عَقِيدَتِهَا.

## الهجرة إلى الحبشة

أَشْتَدَّتْ وَطْأَةُ قُرَيْشٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا يُصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنَ الْأَذَى، وَهُوَ فِي مَأْمَنٍ مِنْهُ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرُدَّ عَنْهُمْ شَيْئًا، فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُمْ فَرَجًا، فَإِنَّ فِيهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، فَيُمْكِنُهُمْ أَنْ يَعِيشُوا هُنَاكَ بِأَمَانٍ وَطُمَأْنِينَةٍ، فَرَحَلَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهَا، وَمِنْهُمْ الزَّبِيرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَمَا اسْتَقَرَّتِ الْحَيَاةُ بِهِمْ مُدَّةً حَتَّى خَرَجَ بَعْضُ الْأَحْبَاشِ يُنَازِعُونَ النَّجَاشِيَّ عَلَى الْحُكْمِ، فَحَزَنَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى ذَلِكَ أَشَدَّ الْحُزَنِ، وَخَافُوا أَنْ يَظْهَرَ الْخَارِجُونَ عَلَى النَّجَاشِيِّ فَلَا يَعْرِفُونَ لِلْمُسْلِمِينَ حَقًّا كَانَ يَعْرِفُهُ لَهُمُ النَّجَاشِيُّ. وَسَارَ النَّجَاشِيُّ إِلَى الْخَارِجِينَ وَكَانَ بَيْنَهُمَا عَرَضُ النَّيْلِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَتَّى يَحْضُرَ وَقِيعَةَ الْقَوْمِ، ثُمَّ يَأْتِينَا بِالْخَبَرِ؟ قَالَ الزَّبِيرُ بْنُ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، وَكَانَ أَحَدَثَ الْقَوْمِ سِنًا، قَالُوا: فَأَنْتَ، فَنَفَخُوا لَهُ قِرْبَةً، فَجَعَلَهَا فِي

صَدْرِهِ، ثُمَّ سَبَحَ عَلَيْهَا، حَتَّى حَضَرَهُمْ، ثُمَّ عَادَ الزُّبَيْرُ مِنْ  
حَيْثُ أَتَى وَهُوَ يَقُولُ: أَلَا أَبْشُرُوا، فَقَدْ ظَفِرَ النَّجَاشِيُّ، وَأَهْلَكَ  
اللَّهُ عَدُوَّهُ، وَمَكَّنَ لَهُ فِي بِلَادِهِ .

سَمِعَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْحَبَشَةِ أَنَّ الْإِسْلَامَ فِي مَكَّةَ قَدْ تَمَكَّنَ،  
وَأَنَّ أَهْلَهَا قَدْ أَقْبَلُوا عَلَيْهِ، فَأَسْرَعَ بَعْضُهُمْ بِالْعُودَةِ، وَمِنْهُمْ  
الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ تَأَقَّتْ نَفْسُهُ لِرُؤْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
وَالنَّهْلِ مِنْهُ . وَلَكِنَّ الْعَائِدِينَ وَجَدُوا أَنَّ الْأَمْرَ فِي مَكَّةَ لَا  
يَزَالُ عَلَى مَا تَرَكُوهُ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ بَعْضُهُمْ دُخُولَ بَلَدِهِمْ إِلَّا  
بِجَوَارٍ، وَدَخَلَ بَعْضُهُمْ الْآخِرَ مُسْتَخْفِيًا وَمِنْهُمْ الزُّبَيْرُ رَضِيَ  
اللَّهُ عَنْهُ .

وَمَكَثَ الزُّبَيْرُ فِي مَكَّةَ عِدَّةَ شُهُورٍ ثُمَّ اضْطُرَّ إِلَى الْعُودَةِ  
إِلَى الْحَبَشَةِ، وَلَكِنَّهُ إِنْ عَادَ بِجِسْمِهِ إِلَّا أَنَّ قَلْبَهُ بَقِيَ مُتَعَلِّقًا  
بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَكَّةَ، وَيُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِاسْتِمْرَارٍ: أَنْعِشْ  
هُنَا فِي سَلَامَةٍ وَعَافِيَةٍ وَرَسُولُ اللَّهِ فِي مَكَّةَ يُعَانِي مِنْ سَادَاتِهَا مَا  
يُعَانِيهِ مِنَ الضَّرِّ وَالْأَذَى، فَلَا بُدَّ لَنَا مِنَ الْعُودَةِ إِلَى بَلَدِنَا نَشَارِكُ  
رَسُولَ اللَّهِ فِي حَيَاتِهِ كُلِّهَا، حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا،  
فَإِنْ نَصَرْنَا اللَّهَ عَلَى عَدُوِّنَا فَذَلِكَ مَا نَبْغِي، وَإِنْ كَانَتِ الثَّانِيَةُ  
فَهِيَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . لِذَلِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَعِيشَ طَوِيلًا فِي  
الْحَبَشَةِ، فَعَادَ إِلَى مَكَّةَ لِيَعِيشَ بِجَانِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .



## الزُّبَيْرُ فِي مَكَّةَ

رَجَعَ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى مَكَّةَ، وَلَا زَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَنْهَلُ مِنْ عِلْمِهِ، وَيَتَأَدَّبُ مِنْ آدَبِهِ، وَفِي أَلَوْقَتِ نَفْسِهِ كَانَ كَثِيرَ التَّرَدُّدِ عَلَى مَجْلِسِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَازْدَادَتْ الْأَوَاصِرُ قُوَّةً بَيْنَ هَذَيْنِ الصَّحَابَتَيْنِ الْجَلِيلَيْنِ، وَأَرَادَ الزُّبَيْرُ أَنْ تَكُونَ الْقُرْبَى بَيْنَهُمَا إِضَافَةً إِلَى رَوَابِطِ الْأُخُوَّةِ فِي الْإِيمَانِ، فَطَلَبَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ أَنْ يُزَوِّجَهُ ابْنَتَهُ أَسْمَاءَ... إِلَّا أَنَّ الزُّبَيْرَ كَانَ فَقِيرًا وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ مُوسِرًا، لَكِنَّ الْفَقْرَ لَمْ يَكُنْ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ مُقْلَلًا مِنْ أَهْلِيَّةِ الزَّوْاجِ عِنْدَ أَصْحَابِ الْفِكْرِ وَالرَّأْيِ السَّدِيدِ، وَبِخَاصَّةٍ عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ فَالْكَفَاءَةُ فِي الدِّينِ. وَنَظَرَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى الزُّبَيْرِ فَرَأَى فِيهِ أُخُوَّةً بِالْإِسْلَامِ وَكَفَى بِهَا رَابِطًا وَكَفَى بِهَا كُفْئًا لِمَصَاهِرَتِهِ، فَلَمْ يَتَرَدَّدْ فِي طَلَبِهِ، وَكَانَ الزَّوْاجُ الَّذِي بَارَكَ اللَّهُ فِيهِ، إِنَّهُ قَامَ عَلَى أُسُسِ الْإِيمَانِ وَلَمْ يَكُنْ عَلَى أُسُسِ أَلْهَالٍ أَوْ الْجَمَالِ أَوْ الْمَصْلَحَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ، فَمَا أَقْبَلَ الزُّبَيْرُ عَلَيْهِ إِلَّا لِتَقْدِيرِهِ لِأَبِي بَكْرٍ وَمَعْرِفَةِ صِدْقِهِ وَإِيمَانِهِ وَصُحْبَتِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَثِقَتِهِ بِهِ، وَأَنْطَلَقًا مِنْ هَذَا رَغْبَ فِي الْمَصَاهِرَةِ، وَمَا قَبْلَ أَبُو بَكْرٍ هَذَا النَّسَبَ إِلَّا احْتِرَامًا لِهَذَا الشَّابِّ الْمُؤْمِنِ الَّذِي عَرَفَ إِيمَانَهُ وَخَبَرَ حَقِيقَةَ رَغْبَتِهِ الَّتِي تَنْبَعُ مِنَ الْعَقِيدَةِ... وَتَمَّ الزَّوْاجُ.

وَأُشِيعَ خَبْرٌ فِي مَكَّةَ أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَمَا إِنْ وَصَلَ الْخَبْرُ إِلَى الزُّبَيْرِ حَتَّى هَبَّ مِنْ مَكَانِهِ وَأَمْتَشَقَ حُسَامَهُ، وَأَنْطَلَقَ دُونَ أَنْ يَعِيَ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى لِبَاسِهِ، وَخَرَجَ يَدُورُ فِي طُرُقَاتِ مَكَّةَ، وَالتَقَى عَرَضًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَعْرَبَ مِنْهُ الرَّسُولُ الْحَالَةَ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا، وَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ يَا زُبَيْرُ؟

أَجَابَ الزُّبَيْرُ: مَعْدِرَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَدْ بَلَغَنِي خَبْرٌ - أَحْمَدُ اللَّهِ عَلَى عَدَمِ صِحَّتِهِ - .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: وَمَا هُوَ؟

قَالَ الزُّبَيْرُ: سَمِعْتُ أَنَّ الْفَاجِعَةَ الْكُبْرَى قَدْ حَلَّتْ بِنَا، فَإِنَّكَ قَدْ قُتِلْتَ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: وَمَا كُنْتَ فَاعِلًا لَوْ صَحَّ الْخَبْرُ؟

قَالَ الزُّبَيْرُ: سَأُهْوِي بِسَيْفِي عَلَى كُلِّ كَافِرٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ

حَتَّى لَا أَدَعَ وَاحِدًا مِنْهُمْ، وَلَتَجْرِ طُرُقَاتُ مَكَّةَ دَمًا. وَلِهَذَا يُقَالُ: إِنَّ سَيْفَ الزَّيْبِرِ أَوَّلُ سَيْفٍ سُلَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَهُ بِخَيْرٍ.

وَأَسْتَمَرَّتْ حَالُ الزَّيْبِرِ فِي مَكَّةَ مُصَاحِبًا لِرَسُولِ اللَّهِ، وَمُتَرَدِّدًا عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَبَقِيَّةِ إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنَافِحًا عَنْ دَعْوَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهَا حَتَّى أَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْهَجْرَةِ إِلَى يَثْرِبَ.

## الزُبَيْرُ فِي يَثْرِبَ

بَدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْزِضُ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ فِي  
 الْمَوْسِمِ ، يَرْجُو إِسْلَامَهَا ، وَيَطْلُبُ حِمَايَتَهَا ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ  
 تُنْفِرُهَا مِنْهُ ، وَتُرَوِّجُ عَنْهُ الشَّائِعَاتِ ، وَأَخِيرًا أَلْتَقَى بِجَمَاعَةٍ  
 الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ سُكَّانِ يَثْرِبَ ، فَقَبِلُوا الدَّعْوَةَ ، وَبَدَأَ  
 الْإِسْلَامُ يَنْتَشِرُ بَيْنَ صُفُوفِهِمْ ، وَاشْتَدَّتْ وَطْأَةُ قُرَيْشٍ عَلَى  
 الْمُسْلِمِينَ ، فَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ بِالْهَجْرَةِ إِلَى  
 يَثْرِبَ . . فَبَدَأَ الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ -  
 بِالْهَجْرَةِ إِلَى يَثْرِبَ وَمِنْهُمْ الزُّبَيْرُ . وَنَزَلَ هُوَ وَابْنُ خَالَتِهِ أَبُو  
 سَبْرَةَ بْنُ أَبِي رَهْمٍ عَلَى مُنْذِرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُقْبَةَ  
 بِالْعُصْبَةِ . وَأُذِنَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْهَجْرَةِ ، وَانْتَقَلَ إِلَى  
 يَثْرِبَ الَّتِي غَدَتْ تُعْرَفُ بِاسْمِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، وَآخَى  
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، الْمُهَاجِرِينَ  
 وَالْأَنْصَارِ ، وَقَالَ: تَاخَوْا فِي اللَّهِ أَخَوَيْنِ أَخَوَيْنِ ، وَكَانَ فِيمَا  
 أَخَى بَيْنَ الزُّبَيْرِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ .

وَهَاجَرَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ زَوْجُ الزُّبَيْرِ وَهِيَ

حَامِلٌ، فَوَضَعَتْ فِي الْمَدِينَةِ ابْنَهَا عَبْدَ اللَّهِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ  
فِي الْمَدِينَةِ لِلْمُسْلِمِينَ.

يَوْمَ بَدْرٍ: بَدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُجَهِّزُ السَّرَايَا لِيُؤْمِنَ  
الْوَضَعَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ، وَلِيَضْغَطَ عَلَى قُرَيْشٍ لِيَتَعَرَّفَ  
بِالْمُسْلِمِينَ، وَذَلِكَ بِاعْتِرَاضِ قَوَافِلِهَا الَّتِي تَمُرُّ بِالْقُرْبِ مِنَ  
الْمَدِينَةِ ذَاهِبَةً وَآيَةً إِلَى الشَّامِ، كَتَهْدِيدِ اقْتِصَادِيٍّ، وَذَلِكَ  
بَعْدَ أَنْ تَهَيَّأَ الْجَوُّ فِي الْمَدِينَةِ لِذَلِكَ بَعْدَ أَنْ آخَى بَيْنَ  
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَوَادَعَ يَهُودَ. وَفِي إِحْدَى هَذِهِ الْمَرَّاتِ  
أَسْتَنْجَدَتْ قَافِلَةُ قُرَيْشٍ بِأَهْلِ مَكَّةَ، فَاسْرَعُوا لِنَجْدَةِ عِيرِهِمْ،  
فَنَجَّتِ الْقَافِلَةُ بِتَغْيِيرِ دَرَبِهَا، وَلَكِنَّ أَهْلَ مَكَّةَ أَلْتَقَوْا  
بِالْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ خَرَجُوا لَا لِلْقِتَالِ ؛ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا  
كَانَ مَفْعُولًا، وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ وَسَعْدَ  
ابْنَ أَبِي وَقَّاصٍ وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى  
مَاءِ بَدْرٍ، يَلْتَمِسُونَ الْخَبَرَ لَهُ، فَاصْابُوا رَاوِيَةَ<sup>(١)</sup> قُرَيْشٍ، فَأَتَوْابَهُمْ  
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَجَوْبَهُمْ، وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَحْصَلَ مِنْهُمْ  
عَلَى مَعْلُومَاتٍ يُرِيدُهَا. وَكَانَتْ مَعْرَكَةُ بَدْرِ الْكُبْرَى، وَالتَّقَى  
فِيهَا الْمُهَاجِرُونَ وَبِجَانِبِهِمُ الْأَنْصَارُ مَعَ أَهْلِي الْمُهَاجِرِينَ فِي

(١) الرواية: الإبل التي يستقى عليها الماء، وكان فيها أسلم، غلام بني الحجاج،  
وعريض أبو يسار، غلام بني العاص بن سعيد.

مَكَّةَ الَّذِينَ لَا يَزَالُونَ عَلَىٰ شُرُكِهِمْ، وَحَرَصَ كُلُّ مَنْ أَلَّاهُ  
وَذَوِيهِمْ عَلَىٰ أَنْ يُبْرِهُنُوا عَلَىٰ أَلَّا لِقَاءَ إِلَّا مَعَ الْعَقِيدَةِ. وَقَدْ  
بَدَأَتِ الْمَعْرَكَةُ بِالْمُبَارَزَةِ كَعَادَتِهِمْ فِي الْقِتَالِ .. وَتَقَدَّمَ مِنَ  
الْمُشْرِكِينَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَأَخُوهُ شَيْبَةُ وَأَبْنُهُ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ  
فَنَزَلَ لَهُمْ فِتْيَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ عُتْبَةُ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: فِتْيَةٌ  
مِنَ الْأَنْصَارِ.

قَالَ عُتْبَةُ: لَا حَاجَةَ لَنَا بِكُمْ .. يَا مُحَمَّدُ! أَخْرِجْ لَنَا أَكْفَاءَنَا  
مِنْ قَوْمِنَا .

وَهُنَا نُلَاحِظُ أَنَّ أَهْلَ الشَّرْكِ قَدْ دَاسُوا رَوَابِطَ الدِّمِ وَكُلَّ  
صِلَاتِ الْقُرْبَى، وَوَضَعُوا رَابِطَةَ الْعَقِيدَةِ فَوْقَ كُلِّ رِبَاطٍ .

وَطَلَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَقْرَبَائِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَنْ  
يَخْرُجُوا فَقَالَ: تَقَدَّمَ يَا عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ، أَخْرُجْ يَا حَمْزَةُ،  
أَخْرُجْ يَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَخَرَجُوا ..

وَبَدَأَتِ الْمُبَارَزَةُ، وَنَصَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ أَعْدَائِهِمْ،  
فَقَتَلَ الْحَمْزَةُ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَقَتَلَ عَلِيُّ الْوَلِيدَ، وَتَبَادَلَ عُبَيْدَةُ  
وَعُتْبَةُ الضَّرْبَاتِ، وَحَمَلَ حَمْزَةُ وَعَلِيُّ عَلَىٰ عُتْبَةَ، فَقَتَلَاهُ،  
وَنَقَلَ عُبَيْدَةُ إِلَىٰ صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ، وَفَاضَتْ رُوحُهُ إِلَىٰ  
بَارِئِهَا فِي الصَّفَرَاءِ، أَثْنَاءَ عَوْدَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَدْرِ، وَقَدْ وَضَعَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسُهُ عَلَى فَخِذِهِ.. وَقَالَ عُبَيْدَةُ وَرَوْحُهُ  
تَفِيضُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَسَى أَنْ تَكُونَ قَدْ رَأَيْتَ مِنَّا مَا تَقَرَّبُ بِهِ  
عَيْنُكَ.

وَبَعْدَ الْمُبَارَزَةِ هَجَمَ كُلُّ فَرِيقٍ عَلَى الْآخَرِ، وَاحْتَدَمَ  
الْقِتَالُ، وَاشْتَدَّ الْمَوْقِفُ، وَالتَفَتَ كُلُّ رَجُلٍ يَفْتَشُ عَنْ أَقْرَبِ  
النَّاسِ إِلَيْهِ لِيَجْعَلَهُ تَحْتَ أَقْدَامِهِ، وَلِيُوكِّدَ لِلْمَلَأِ أَنَّ رَابِطَةَ  
الْقُرْبَى حَيْثُ وَضَعَهَا الْإِسْلَامُ تَحْتَ الْأَقْدَامِ، وَلَا مَجَالَ لَهَا  
أَمَامَ أَصِرَةِ الْعَقِيدَةِ. فَقَتَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَبَاهُ، وَنَازَلَ أَبُو بَكْرٍ ابْنَهُ  
عَبْدَ الرَّحْمَنِ يُرِيدُ مَصْرَعَهُ.. إِلَّا أَنَّ ابْنَهُ قَدْ تَغَيَّبَ عَنْهُ،  
وَكَانَ يَوْمَذَكَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، وَقَتَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ خَالَهَ  
الْعَاصَ بْنَ هِشَامٍ بْنَ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيَّ. وَالتَقَى الزُّبَيْرُ  
بِعَمِّهِ نَوْفَلِ بْنِ خُوَيْلِدٍ فَأَطَاحَ بِرَأْسِهِ مُسْتَهِينًا بِقُرْبَاهُ، وَطَالِبًا  
ثَوَابَ اللَّهِ بِقَتْلِهِ.

وَكَانَ الزُّبَيْرُ يَوْمَذَكَ مِنْ أَبْطَالِ الْمَعْرَكَةِ الْمَعْرُوفِينَ، وَلَمْ  
يَكُنْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَذَكَ سِوَى فَرَسَيْنِ إِحْدَاهُمَا لِلزُّبَيْرِ،  
وُسَمَّى يَعْسُوبَ، وَالْأُخْرَى لِلْمِقْدَادِ بْنِ عَمْرٍو، وَقَدْ لَفَّ  
الزُّبَيْرُ رَأْسَهُ بِعِمَامَةٍ صَفْرَاءَ تُمَيِّزُهُ عَنْ بَقِيَّةِ الصَّحَابَةِ، وَكَانَتْ  
عِمَائِمُ الْمَلَائِكَةِ بَيْضًا إِلَّا عِمَامَةَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَكَانَتْ

صَفَرَاءَ . وَكَانَ يَنْتَقِلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ ، يُجْنَدِلُ الْأَبْطَالَ ، وَيَصْرَعُ الْقَادَةَ ، فَقَدْ قَتَلَ عُبَيْدَةَ بْنَ سَعِيدٍ بْنَ الْعَاصِ ابْنَ أُمَيَّةَ ابْنَ عَبْدِ شَمْسٍ ، وَهُوَ مَشْهُورٌ بِقُوَّتِهِ ، مَعْرُوفٌ بِبُطُولَتِهِ ، تُقَدِّمُهُ قُرَيْشٌ وَقَتَ الشَّدَائِدِ ، وَالتَّقَى الرَّجُلَانِ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَكَانَ عُبَيْدَةُ مُدَجَّجًا بِالسَّلَاحِ ، عَلَيْهِ عِدَّةٌ أَدْرَعٌ لَا تَظْهَرُ مِنْهُ إِلَّا عَيْنَاهُ ، فَطَعَنَهُ الزُّبَيْرُ بِرُمَحِهِ الْقَصِيرِ الَّذِي أَتَى بِهِ مِنْ الْحَبَشَةِ يَوْمَ كَانَ مُهَاجِرًا إِلَيْهَا ، وَالْمَعْرُوفُ بِالْعَنْزَةِ ، طَعَنَهُ فِي عَيْنِهِ طَعْنَةً وَصَلَتْ إِلَى مُؤَخَّرَةِ رَأْسِهِ ، فَصَرَخَ عَدُوُّ اللَّهِ ، وَوَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ كَالثَّوْرِ الْمَذْبُوحِ يَدْفَعُ بِرِجْلَيْهِ التُّرَابَ ، فَانْحَنَى عَلَيْهِ الزُّبَيْرُ ، وَقَضَى عَلَيْهِ . وَقَتْلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَيْضًا السَّائِبَ بْنَ أَبِي السَّائِبِ .

وَأَنْتَهتِ الْمَعْرَكَةُ بِنَصْرِ الْمُؤْمِنِينَ نَصْرًا مُبِينًا ، وَهَزِيمَةً قُرَيْشٍ هَزِيمَةً مُنْكَرَةً ، وَعَادَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ يَحْمِلُونَ الْغَنَائِمَ ، وَيَسُوقُونَ أَمَامَهُمُ الْأَسْرَى مُصَقَّدِينَ ، وَرَجَعَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى مَكَّةَ يَحْمِلُونَ الْخِزْيَ وَالْعَارَ ، وَقَدْ تَرَكُوا قَادَتَهُمْ صَرَعى فِي مِيدَانِ الْمَعْرَكَةِ ، وَخَلَفُوا زُعَمَاءَهُمْ أُسَارَى بِيَدِ الْمُسْلِمِينَ .

يَوْمَ أَحَدٍ : وَاسْتَدَارَ الْعَامُ ، وَجَهَّزَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ أَنْفُسَهُمْ



لِلْأَخْذِ بِالثَّارِ، وَاسْتَعَانُوا عَلَى ذَلِكَ بِالْعِيرِ الَّتِي خَرَجَ  
الْمُسْلِمُونَ لِلِقَائِهَا يَوْمَ بَدْرٍ، وَسَارُوا نَحْوَ الْمَدِينَةِ، وَنَزَلُوا  
أَحْدَا، وَخَرَجَ الْمُسْلِمُونَ لِلِقَائِهِمْ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
الزُّبَيْرَ عَلَى الْخَيْلِ، وَمَعَهُ الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو، وَأَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ  
الْوَلِيدِ عَلَى خَيْلِ الْمُشْرِكِينَ، وَمَعَهُ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ،  
فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الزُّبَيْرَ، وَقَالَ: اسْتَقْبِلْ خَالِدَ بْنَ  
الْوَلِيدِ، فَكُنْ بِإِزَائِهِ حَتَّى أُؤْذِنَكَ، وَأَمَرَ بِخَيْلِ أُخْرَى،  
فَكَانُوا مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، فَقَالَ: لَا تَبْرَحَنَّ حَتَّى أُؤْذِنَكُمْ. وَأَقْبَلَ  
أَبُو سُفْيَانَ يَحْمِلُ آلَاتٍ وَالْعُرَى، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى  
الزُّبَيْرِ أَنْ يَحْمِلَ، فَحَمَلَ عَلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، فَهَزَمَ اللَّهُ  
خَالِدًا وَمَنْ مَعَهُ. ثُمَّ شَدَّ الزُّبَيْرُ وَالْمِقْدَادُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ  
فَهَزَمَهُمْ، وَحَمَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ فَهَزَمُوا أَبَا سُفْيَانَ،  
وَنَزَلَ رُمَاةُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي وَضَعَهُمْ فِيهِ الرَّسُولُ  
ﷺ عَلَى جَبَلِ الرُّمَاءِ وَظَنُّوا أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ أَنْتَهَى، وَأَنْتَصَرَ  
الْمُسْلِمُونَ، فَأَسْرَعَ خَالِدٌ، وَكَانَتْ مَهْزُومَةً خَيْلُهُ، فَأَرْتَقَى  
الْجَبَلَ، وَقَضَى عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنَ الرُّمَاءِ، وَدَاهَمَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ  
الْخَلْفِ، فَأَنْفَرَطَ عِقْدُهُمْ، وَأَصَابَهُمْ مِنَ الْغَمِّ مَا أَصَابَ،  
وَتَبَتَّ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَوْلَ رَسُولِهِمُ الْكَرِيمِ مِنْهُمْ  
الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا.

وَعَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَيْفًا فِي يَدِهِ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: مَنْ  
يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟ فَقَامَ الزُّبَيْرُ وَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ،  
فَاعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ قَالَ مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟ فَقَامَ الزُّبَيْرُ  
ثَانِيَةً وَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَاعْرَضَ عَنْهُ أَيْضًا، ثُمَّ قَالَ: مَنْ  
يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟ فَقَامَ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرْشَةَ،  
فَقَالَ: أَنَا أَخْذُهُ بِحَقِّهِ، وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: حَقُّهُ أَلَّا تَقْتُلَ بِهِ  
مُسْلِمًا، وَأَلَّا تَفِرَّ بِهِ عَنْ كَافِرٍ، وَأَنْ تَضْرِبَ بِهِ فِي الْعَدُوِّ حَتَّى  
يَنْحَنِي، وَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَكَانَ أَبُو دُجَانَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلًا  
شَجَاعًا يَخْتَالُ عِنْدَ الْحَرْبِ إِذَا كَانَتْ، وَوَجَدَ الزُّبَيْرُ رَضِيَ  
اللَّهُ عَنْهُ فِي نَفْسِهِ شَيْئًا وَقَالَ: أَنَا ابْنُ صَفِيَّةَ عَمَّتِهِ، وَمِنْ  
قُرَيْشٍ، وَقَدْ قُمْتُ إِلَيْهِ، وَسَأَلْتُهُ إِيَّاهُ قَبْلَهُ، فَأَعْطَاهُ أَبَا دُجَانَةَ  
وَتَرَكْنِي، وَاللَّهُ لَأَنْظُرَنَّ مَا يَصْنَعُ، فَاتَّبَعْتُهُ، فَأَخْرَجَ عِصَابَةً لَهُ  
حَمْرَاءَ فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: أَخْرَجَ أَبُو دُجَانَةَ  
عِصَابَةَ الْمَوْتِ. وَقَدْ أَهْلَى أَبُو دُجَانَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بَلَاءٌ  
لَا يَكَادُ يُوصَفُ. وَهَكَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ  
يَتَنَافَسُونَ لِلْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمُنَازَلَةِ الْأَعْدَاءِ ابْتِغَاءَ  
رِضْوَانِهِ وَأَمَلًا فِي جَنَّتِهِ.

بَعْدَ أُحُدٍ: حَضَرَ الزُّبَيْرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا

مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ غَزْوَةٍ وَاحِدَةٍ، وَكَانَ يُعَدُّ فِي كُلِّ قِتَالٍ مِنْ أُبْرَزِ الْمُقَاتِلِينَ فِي مُقَدِّمَةِ الْأَبْطَالِ. لَقَدْ شَهِدَ الْخَنْدَقَ بِجَانِبِ رَسُولِ اللَّهِ، وَأَبْلَى أَلْبَاءَ الْحَسَنِ. وَلَمَّا أَنْصَرَفَ الْأَحْزَابُ عَنِ الْمَدِينَةِ، عَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ إِلَيْهَا فِي الصَّبَاحِ، وَمَا أَنْتَصَفَ النَّهَارُ إِلَّا وَجَاءَ أَمْرُ اللَّهِ بِسَيْرِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا يَدًا وَاحِدَةً مَعَ أَعْدَاءِ اللَّهِ، وَكَانُوا مِنْ خَلْفِ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ. فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُ الرَّسُولِ قَائِلًا: مَنْ كَانَ سَامِعًا مُطِيعًا، فَلَا يُصَلِّينَ الْعَصْرَ إِلَّا بِبَنِي قُرَيْظَةَ.

وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَقَدَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ بِرَأْيِهِ، فَحَاصَرَ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَعِنْدَمَا تَمَّ الْحِصَارُ نَادَى: عَلِيَّ يَا كَتِيبَةَ الْإِيمَانِ، وَتَقَدَّمَ هُوَ وَالزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَعِنْدَمَا رَأَوْهَا لَمْ يَكُنْ لِيَهُودَ بُدٌّ مِنْ أَنْ يَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَكَانَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَّةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ مَكَّةَ، وَبِهَذَا تَوَقَّفَتِ الْجَبْهَةُ الْجَنُوبِيَّةُ، وَالتَّفَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْجَبْهَةِ الشَّمَالِيَّةِ حَيْثُ كَانَ الْيَهُودُ قَدْ تَجَمَّعُوا فِي وَادِي الْقُرَى وَقَدْكَ وَخَيْرَ وَغَيْرِهَا يُحَرِّضُونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَيَدْعَمُونَ كُلَّ خَصْمٍ لَهُمْ، وَمَا يَتْرَكُونَ فُرْصَةً يَكِيدُونَ فِيهَا

إِلَّا وَاسْتَفَادُوا مِنْهَا. فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ أَكْبَرَ قَاعِدَةٍ لِلْيَهُودِ، وَدَفَعَ الرَّايَةَ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَحَاصَرَ الْمُسْلِمُونَ يَهُودَ الَّذِينَ خَرَجَ بَعْضُهُمْ لِلْمُبَارَاةِ وَمِنْهُمْ مَرْحَبٌ الَّذِي قَتَلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، ثُمَّ خَرَجَ أَخُوهُ يَاسِرٌ وَكَانَ أَكْثَرَ يَهُودَ شَجَاعَةً وَخَبْرَةً فِي الْقِتَالِ وَأَقْوَاهُمْ، فَبَرَزَ لَهُ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَتَلَهُ بِإِذْنِ اللَّهِ.. وَفُتِحَتْ خَيْبَرُ.. وَقُسِمَتْ إِلَى ١٨٠٠ سَهْمٍ بَيْنَ ١٤٠٠ رَجُلٍ لِكُلِّ رَجُلٍ سَهْمٌ، وَ ٢٠٠ فَارِسٍ لِكُلِّ مِنْهُمْ سَهْمَانِ... وَكَانَ لِكُلِّ سَهْمٍ رَأْسٌ جُمِعَ إِلَيْهِ مِائَةُ رَجُلٍ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ الرَّؤُوسِ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ أَوَّلَ سَهْمٍ مِنْ خَيْبَرَ هُوَ سَهْمُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، وَهُوَ بِنِطَاةٍ وَهُوَ الْخَوْعُ<sup>(١)</sup>.

وَبَعْدَ فَتْحِ خَيْبَرَ قَذَفَ اللَّهُ الرُّعْبَ فِي نَفُوسِ أَهْلِ فَدَكٍ، فَصَالَحُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى النِّصْفِ، وَكَانَ السَّهْمُ مِنْهَا خَالِصًا لِرَسُولِ اللَّهِ. ثُمَّ قَاتَلَ الرُّومَ فِي مُؤْتَةِ مِنْ أَعْمَالِ الْأَرْدُنِّ، وَبِهَذَا تَوَقَّفَ خَطَرُ الْجَبَّةِ الشَّامِلِيَّةِ.

لَمْ تَلْبَثْ قُرَيْشٌ أَنْ نَقَضَتْ عَهْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَسَاعَدَتْ بَنِي بَكْرٍ حَلِيفَتَهَا عَلَى خِرَاعَةِ حَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ،

(١) بفتح الحاء، وهو موضع قريب من خيبر.

فَكَانَ لَا بُدَّ مِنْ فَتْحِ الْجَبْهَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْ جَدِيدٍ، وَتَأْدِيبِ قُرَيْشٍ وَدُخُولِ مَكَّةَ. وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يُحَدِّثِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ جِهَتِهِ الَّتِي يُرِيدُهَا، وَلَكِنْ طَلَبَ مِنْهُمْ الْأَسْتِعْدَادَ، فَلَمَّا أَجْمَعَ الْمَسِيرَ لَحَظَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ الْجِهَةَ هِيَ مَكَّةُ، فَكَتَبَ أَحَدُهُمْ إِلَى قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمْ بِذَلِكَ؛ لِيَكُونَ لَهُ عِنْدَهُمْ يَدٌ بَيَضَاءُ، وَأَرْسَلَهُ مَعَ أَمْرَأَةٍ جَعَلَ لَهَا أَجْرًا مُعَيَّنًا، فَجَعَلَتْهُ فِي رَأْسِهَا، وَلَفَّتْ عَلَيْهِ ضَفَائِرَهَا، وَسَارَعَتْ إِلَى مَكَّةَ. وَاتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا تَمَّ، فَبَعَثَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ فِي أَثَرِ الْمَرْأَةِ، فَأَدْرَكَاهَا فَأَخَذَا مِنْهَا الْكِتَابَ بَعْدَ تَهْدِيدِهَا عِنْدَمَا أَنْكَرَتْ، وَأَصْرَتْ.

سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْمُسْلِمِينَ إِلَى مَكَّةَ، وَلَمَّا نَزَلَ قَرِيبًا مِنْهَا، قَسَمَ جَيْشُهُ، فَكَانَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمَيْسَرَةِ، وَأَمَرَهُ الرَّسُولُ أَنْ يَدْخُلَ مَكَّةَ مِنْ كُدَى (أَسْفَلَ مَكَّةَ). وَجَاءَ نَصْرُ اللَّهِ، وَفُتِحَتْ مَكَّةُ، وَأُسْلِمَتْ قُرَيْشٌ، وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا.

وَسَمِعَتْ هَوَازِنُ بِدُخُولِ الْمُسْلِمِينَ مَكَّةَ فَاجْتَمَعَتْ لَهُمْ، وَأَنْضَمَّ إِلَيْهَا عَدَدٌ مِنَ الْقَبَائِلِ الْأُخْرَى وَتَقَيَّفُ كُلُّهَا، فَخَرَجَ

إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ سَارَ بِهِمْ مِنَ الْمَدِينَةِ،  
وَمَعَهُ الْفَانِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَالتَّقَى الْجَمْعَانِ فِي حُنَيْنٍ،  
وَأَعْجَبَ الْمُسْلِمُونَ بِكَثْرَتِهِمْ، فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ « وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ  
أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ  
الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ. ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ  
عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ».   
وَأَنْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَوَقَفَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ فِي  
الْثَّيَّةِ لِلْمُسْلِمِينَ، فَأَعْتَرَضَهُمُ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ، وَصَمَدَ لَهُمْ، فَلَمْ يَزَلْ يُطَاعُهُمْ حَتَّى أَزَاحَهُمْ عَنْ  
مَوَاقِعِهِمْ.

أَسْلَمَتْ ثَقِيفُ، وَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَدَّى الْعُمْرَةَ مِنَ  
الْجِعْرَانَةِ، وَمِنْ مَكَّةَ أَنْصَرَفَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَبِثَ فِيهَا سِتَّةَ  
أَشْهُرٍ، ثُمَّ أَمَرَ النَّاسَ بِالْأَسْتِعْدَادِ لِغَزْوِ الرُّومِ؛ إِذْ أَطْمَأَنَّ أَنَّ  
جَبْهَةَ الْجَنُوبِ قَدْ انْتَهَتْ، وَأَنَّ الْعَرَبَ سَتَدِينُ لَهُ بَعْدَ أَنْ  
خَضَعَتْ قُرَيْشُ، وَيَجِبُ نَقْلُ الْعَمَلِيَّاتِ كُلِّهَا إِلَى الشِّمَالِ،  
فَأَمَرَ النَّاسَ بِالْأَسْتِعْدَادِ لِغَزْوِ الرُّومِ، وَكَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ،  
وَحَجَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَجَّةَ الْوَدَاعِ، وَتَمَّتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى

خَلَقَهُ، وَاكْتَمَلَ الدِّينُ، وَأَنْتَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ،  
وَأَنْقَطَعَ وَحْيُ السَّمَاءِ .

**الرُّبَيْرُ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ:** بَايَعَ الْمُسْلِمُونَ أَبَا بَكْرٍ -  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - خَلِيفَةً لِرَسُولِ اللَّهِ، لَمْ يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ  
ذَلِكَ، إِلَّا مَا كَانَ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ حَيْثُ شُغِلَ بَعْضُهُمْ وَلَمْ  
يُخْبَرَ آخَرُونَ. وَقَدْ كَانَ الرُّبَيْرُ وَطْلَحَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -  
فِي بَيْتِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَيْثُ شُغِلَ  
بِمَرْضَى زَوْجِهِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَمِنْ هَذَا التَّأخِيرِ  
الْيَوْمِيِّ حِكْمٌ رَوَايَاتٌ لَا صِحَّةَ لَهَا عَنْ تَأْخِيرِ هَؤُلَاءِ  
الصَّحَابَةِ... إِذْ أَسْرَعَ هَؤُلَاءِ فَبَايَعُوا فِي الْيَوْمِ الثَّانِي، وَلَمْ  
يُنْكِرْ أَحَدٌ فَضْلَ أَبِي بَكْرٍ وَمَنْزِلَتَهُ وَبِخَاصَّةِ الرُّبَيْرِ الَّذِي هُوَ  
خَتَنُهُ وَأَدْرَى النَّاسِ بِهِ، صَاهِرَهُ لِفَضْلِهِ، وَنَاسَبَهُ لِيَمَانِهِ  
وَمَعْرِفَتِهِ، وَصَادَقَهُ لِمُحَبَّتِهِ، أَوْ يَتَخَلَّفُ عَنْهُ!

ارْتَدَّتِ الْعَرَبُ، وَأَمْضَى أَبُو بَكْرٍ بَعَثَ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ،  
وَطَمِعَتِ الْقَبَائِلُ فِي الْمَدِينَةِ، فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى أَنْقَابِ  
الْمَدِينَةِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَالرُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ وَطْلَحَةَ بْنَ  
عُبَيْدِ اللَّهِ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ. وَكَانَ الرُّبَيْرُ وَبَقِيَّةُ كِبَارِ  
الصَّحَابَةِ مِنْ هَيْئَةِ الشُّوْرَى لِأَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ الَّذِي أَشَارَ عَلَيْهِ

يَغْزُوا الشَّامَ ، وَسَارَ فِي عِدَادِ الْمُجَاهِدِينَ جُنْدِيًّا كَسَائِرِ  
الْجُنُودِ ، لَا يَبْغِي شُهْرَةً ، وَلَا يُرِيدُ ظُهُورًا ، وَهُوَ الْبَطْلُ  
الْهَمَامُ ، وَأَحَدُ سُيُوفِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَكَانَتْ مَعْرَكَةُ الْيَرْمُوكِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ  
أَلْفًا وَبَيْنَ الرُّومِ وَهُمْ فِي ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ، وَكَانَ  
الزُّبَيْرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَلَى رَأْسِ كَرْدُوسٍ فِي جَيْشِ يَزِيدَ  
ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى مَيْسَرَةِ قَوَاتِ الْمُسْلِمِينَ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ  
جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَبْطَالِ يَوْمَئِذٍ ، فَقَالُوا : أَلَا تَحْمِلُ فَتَحْمِلَ مَعَكَ ؟  
فَقَالَ : إِنَّكُمْ لَا تَنْتَبِهُونَ ، فَقَالُوا : بَلَى ! فَحَمَلَ وَحَمَلُوا ، فَلَمَّا  
وَاجَهُوا صُفُوفَ الرُّومِ أَحْجَمُوا ، وَأَقْدَمَ ، فَاخْتَرَقَ صُفُوفَ  
الرُّومِ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْأَجَانِبِ الْآخِرِ ، وَعَادَ إِلَى أَصْحَابِهِ . ثُمَّ  
جَاؤُوا إِلَيْهِ مَرَّةً ثَانِيَةً ، فَفَعَلَ كَمَا فَعَلَ فِي الْأُولَى وَجَرَحَ يَوْمَئِذٍ  
جُرْحَيْنِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ .

الزُّبَيْرُ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ : عَادَ الزُّبَيْرُ إِلَى الْمَدِينَةِ بِرَأْيِ  
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي كَانَ  
يَرْغَبُ أَنْ يَكُونَ الصَّحَابَةُ بِجَانِبِهِ يُشِيرُونَ عَلَيْهِ ، - وَقَدْ كَفَاهُمْ  
مِنَ الْجِهَادِ مَا غَزَوْا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ  
الصُّحْبَةِ .



وَأَسْتَمَرَ الْجِهَادَ عَلَى الْجَبْهَتَيْنِ الرُّومِيَّةِ وَالْفَارِسِيَّةِ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْعِرَاقِ قَدْ قَلَّ عَدَدُهُمْ بَعْدَ ذَهَابِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى الشَّامِ دَعْمًا لِلْمُسْلِمِينَ هُنَاكَ. فَجَرَتْ مَعْرَكَةُ الْجِسْرِ فَاسْتَشْهَدَ أَبُو عُبَيْدٍ الثَّقَفِيُّ، فَأَرَادَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَسِيرَ بِنَفْسِهِ إِلَى الْعِرَاقِ، فَاسْتَخْلَفَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَجَعَلَ عَلَى مُقَدِّمَةِ الْجَيْشِ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ وَعَلَى الْمُجَنَّبَتَيْنِ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ.. إِلَّا أَنَّ أَصْحَابَ الرَّأْيِ وَهُمْ هَؤُلَاءِ قَدْ أَشَارُوا عَلَيْهِ بِالْعُدُولِ عَنْ رَأْيِهِ فَفَعَلَ، وَأَرْسَلَ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ عَلَى رَأْسِ نَجْدَةِ الْعِرَاقِ.

وَحَاصَرَ الرُّومُ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ فِي حِمَصَ، فَطَلَبَ مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ النَّجْدَةَ، فَأَرْسَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنْ يَمُدَّ أَبَا عُبَيْدَةَ، وَسَارَ عُمَرُ بِنَفْسِهِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْجَبَابِيَةِ بِحَوْرَانَ، وَكَانَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ مَعَهُ، وَهُنَاكَ بَلَغَهُ أَنْتِصَارُ أَبِي عُبَيْدَةَ عَلَى الرُّومِ وَرَدَّ كَيْدِهِمْ.

وَعَادَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَأَسْتَكْمَلَ الْمُسْلِمُونَ فَتْحَ بِلَادِ الشَّامِ، فَبَعَثَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مِصْرَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَكَانَ الزُّبَيْرُ يُرِيدُ الْجِهَادَ وَالسَّيْرَ نَحْوَ

أَنْطَاكِيَّةَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ هَلْ لَكَ فِي وَلَايَةِ مِصْرَ؟ فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا، وَلَكِنْ أَخْرُجْ مُجَاهِدًا وَلِلْمُسْلِمِينَ مُعَاوَنًا، فَإِنْ وَجَدْتُ عَمْرًا قَدْ فَتَحَهَا لَمْ أُعْرِضْ لِعَمَلِهِ، وَقَصَدْتُ إِلَى بَعْضِ السَّوَاحِلِ، فَرَابَطْتُ بِهِ، وَإِنْ وَجَدْتُهُ فِي جِهَادٍ كُنْتُ مَعَهُ، فَسَارَ عَلَى ذَلِكَ، فَوَجَدَ عَمْرًا مُحَاصِرًا لِبَعْضِ حُصُونِهَا، وَقَدْ أَبْطَأَ الْفَتْحُ، فَقَالَ: إِنِّي أَهْبُ نَفْسِي لِلَّهِ، أَرْجُو أَنْ يَفْتَحَ اللَّهُ بِذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَارْتَقَى الزُّبَيْرُ سُورَ الْبَلَدِ، وَدَخَلَهَا عَلَيْهِمْ عَنُودٌ، فَلَمَّا أَحْسَوْا خَرَجُوا إِلَى عَمْرٍو مِنَ الْبَابِ الَّذِي عَلَيْهِ عَمْرٌو، فَأَمْضَوْا الصَّلْحَ، وَكَانَ الزُّبَيْرُ وَأَبْنَاهُ عَبْدُ اللَّهِ وَمُحَمَّدٌ شُهُودًا عَلَى ذَلِكَ.

عَادَ الزُّبَيْرُ بَعْدَ الْفَتْحِ إِلَى الْمَدِينَةِ حَيْثُ حَبَسَ عُمَرُ كِبَارَ الصَّحَابَةِ فِيهَا، لِيَكُونُوا مُسْتَشَارِينَ لَهُ. وَمَرَّتِ السَّنَوَاتُ، وَطُعِنَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَخْتَارَ سِتَّةَ مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ لِيَكُونَ الْأَمْرُ لَهُمْ، وَلِيَكُونَ الْخَلِيفَةُ مِنْ بَيْنِهِمْ، وَهُمْ مِمَّنْ بَقِيَ مِنَ الَّذِينَ مَاتَ عَنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ وَمِنْهُمْ الزُّبَيْرُ. وَلَكِنَّ الزُّبَيْرَ لَمْ يَرْغَبْ فِي الْأَمْرِ، فَأَعْطَى نَصِيبَهُ لغيره.

## الرَّبِيزُ أَيَّامَ عُثْمَانَ

بَايَعَ الْمُسْلِمُونَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ بَعْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَكَانَ  
الرَّبِيزُ نَاصِحًا وَمُشِيرًا كَمَا كَانَ فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ.  
وَسَارَتْ الْفُتُوحَاتُ فِي كُلِّ جِهَةٍ، وَجَاءَتْ الْغَنَائِمُ وَالْأَمْوَالُ  
مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، وَوَزَعَهَا عَلَيْهِمُ الْخَلِيفَةُ بِكُلِّ سَخَاءٍ عَلَى عَادَتِهِ  
بَلْ إِنْ لَمْ تَكْفِ كَانَ يُوزَعُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ مَالِهِ الْخَاصِّ.  
فَعَاشَ النَّاسُ فِي رَخَاءٍ وَبُحْبُوحَةٍ، وَأَنْصَرَفَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ  
إِلَى الْأَمْصَارِ، وَزَاوَلُوا الْأَعْمَالَ فَأَثَرُوا، وَتَعَلَّقَ بِبَعْضِهِمْ سَكَّانُ  
تِلْكَ الْأَقَالِيمِ، وَرَأَوْا فِيهِمُ الْقُدُوءَ الْحَسَنَةَ.

وَبَكَثُرُ الْحَدِيثِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَيَظْهَرُ الشَّرُّ مِنْ أَهْلِهِ،  
فَظَهَرَتْ فِتْنَةٌ أَضْرَمَهَا يَهُودِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ، وَتَنَقَّلَ  
فِي الْأَمْصَارِ، يُؤَلِّبُ النَّاسَ عَلَى الْخَلِيفَةِ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِأُمُورِ  
أَسْجَدَتْ فِي عَهْدِ عُثْمَانَ، فَزَادَ الْحَدِيثُ، وَوَصَلَ إِلَى  
الْخَلِيفَةِ، فَلَاكَتْهُ أَلْسِنَةُ أَهْلِ الشَّرِّ، ثُمَّ سَارُوا مِنْ مِصْرَ  
وَالْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ يُرِيدُونَ تَأْلِيبَ النَّاسِ عَلَى

خَلِيفَتِهِمْ وَالْخَلِيفَةُ الْمَظْلُومُ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ كَأَبْنَاءَ لَهُ، يَسْتَمِعُ  
إِلَيْهِمْ، وَيُنَاقِشُهُمْ مِمَّا أَطْمَعَهُمْ فِيهِ، فَفَرَرُوا الْغَدْرَ بِهِ .

وَأَنْجَدَ الصَّحَابَةُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَرْسَلُوا أَبْنَاءَهُمْ  
إِلَيْهِ يَدْفَعُونَ عَنْهُ، وَكَانَ فِي مُقَدِّمَتِهِمْ ابْنُ الزَّيْبِرِ عَبْدُ اللَّهِ،  
وَوَقَعَ قَدْرُ اللَّهِ، وَقُتِلَ خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ .

## الرَّزِيرُ أَيَّامَ عَلِيٍّ

لَمَّا قُتِلَ سَيِّدُنَا عُمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَاءَ أَصْحَابُ رَسُولِ  
 اللَّهِ ﷺ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالُوا: إِنَّ  
 الْخَلِيفَةَ قَدْ قُتِلَ، وَلَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ إِمَامٍ، وَلَا نَجِدُ الْيَوْمَ  
 أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْكَ، وَلَا أَقْدَمَ سَابِقَةً، وَلَا أَقْرَبَ مِنْ  
 رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: لَا تَفْعَلُوا، فَإِنِّي أَنْ أَكُونَ وَزِيرًا خَيْرٌ  
 مِنْ أَنْ أَكُونَ أَمِيرًا، فَقَالُوا: لَا، وَاللَّهِ مَا نَحْنُ بِفَاعِلِينَ حَتَّى  
 نُبَايَعَكَ، فَتَرَدَّدَ ثُمَّ وَجَدَ أَنَّهُ لَا مَحَالَةَ مِنَ الْمُوَافَقَةِ، فَوَاعَدَهُمْ  
 الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا دَخَلَهُ دَخَلَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، فَبَايَعُوهُ  
 وَمِنْهُمْ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ، ثُمَّ بَايَعَهُ النَّاسُ.

لَمْ يَتِمَّكَنْ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الْمَدِينَةِ؛ إِذْ أَنْ فِيهَا  
 الْغَوْغَاءُ وَأَصْحَابُ الْفِتْنَةِ وَالرَّعَاعَ، وَهُمْ الَّذِينَ يَتَصَرَّفُونَ  
 بِكَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ، فَأَرَادَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ أَنْ يَأْخُذَهُمْ حِينَ يَتِمَّكَنُ  
 مِنْهُمْ، وَيَسْتَتِبَ الْوَضْعُ، فَيَجْرِي عَلَيْهِمُ الْحَقُّ... فَضَاقَ

بَعْضُ النَّاسِ بِالْأَمْرِ ذُرْعًا، وَأَرَادُوا الْخُرُوجَ، إِلَّا أَنَّ عَلِيًّا لَمْ يَكُنْ لِيَسْمَحَ لِأَمثالِ الزُّبَيْرِ بِالْخُرُوجِ لِيَكُونَ بِجَانِبِهِ يَسْتَعِينُ بِهِ وَيَسْتَشِيرُهُ، وَلِذَلِكَ لَمْ يُوَافِقْ عَلَى تَوَلِيهِ الْكُوفَةَ وَتَوَلِيَةِ طَلْحَةَ الْبَصْرَةَ.

خَرَجَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ بَعْدَ بَيْعَةِ عَلِيٍّ بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ رَغْبَةً فِي الْهُدُوءِ وَالْأَسْتِقْرَارِ وَبُعْدًا عَنْ جَوِّ الْمَدِينَةِ. فَاسْتَأْذَنَّا عَلِيًّا بِالْعُمْرَةِ فَأَذِنَ لَهُمَا. وَكَانَتْ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَدْ خَرَجَتْ مِنْ قَبْلُ إِلَى مَكَّةَ.

كَثُرَ الْقَادِمُونَ إِلَى مَكَّةَ، وَزَادَ الْحَدِيثُ فِي الْفِتْنَةِ، وَمَنْ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ لِيَبْتَغِدَ تَبِعَهُ الْأَمْرُ، وَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنَ الْخُرُوجِ مِنْهَا، فَتَوَجَّهَ الزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ وَعَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ نَحْوَ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ، لَعَلَّهُمَا أَكْثَرُ هُدُوءًا وَأَبْعَدُ عَنِ الْحَدِيثِ فِي الْمَشْكَلاتِ وَخَرَجَ مَعَهُمْ مَا يَقْرُبُ مِنْ سَبْعِمِائَةِ رَجُلٍ ثُمَّ تَبِعَهُمْ آخَرُونَ، فَزَادَ الرَّاحِلُونَ عَلَى الثَّلَاثَةِ آلَافٍ.

أَرَادَ عَلِيٌّ اعْتِرَاضَهُمْ وَمَنْعَهُمْ مِنَ الْخُرُوجِ، وَلَكِنَّهُمْ فَاتَوْهُ، وَوَصَلُوا الْبَصْرَةَ، فَاخْتَلَفَ أَهْلُهَا بَيْنَ مُنْتَقِدِي لَهُمْ، وَرَاغِبِي فِي بَقَائِهِمْ لِفَضْلِهِمْ وَصُحْبَتِهِمْ، وَمُطَالِبِي بَدَمِ عُثْمَانَ،

وَتَضَارَبَتِ الآرَاءُ بَعْدَ أَنْ اخْتَلَفَتِ الرِّوَايَاتُ، وَاخْتَلَطَ  
الْوُضُوحُ، وَتَقَاتَلَ الْمُسْلِمُونَ هُنَاكَ .

وَجَاءَ إِلَى عَلِيٍّ أَهْلُ الْكُوفَةِ بِذِي قَارٍ، فَأَرْسَلَ الْقَعْقَاعَ بْنَ  
عَمْرِو التَّمِيمِيِّ إِلَى عَائِشَةَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ، وَبَدَأَ الصِّلَحَ  
وَشِيكَاً، فَالصَّحَابَةُ لَا يُرِيدُونَ فُرْقَةً وَلَا يَبْغُونَ مِنْ دُنْيَاهُمْ إِلَّا  
بِمِقْدَارٍ مَا يُطَبَّقُونَ فِيهَا حُكْمَ اللَّهِ . وَسَارَ عَلِيٌّ إِلَى الْبَصْرَةِ،  
وَهُنَاكَ أَصْحَابُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَمْرِ يُعَكِّرُ صَفَوَ  
الْأُخُوَّةِ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ حَتَّى أَثَارَ السَّفَهَاءُ وَالْعَبِيدُ الْقِتَالَ بَيْنَهُمْ  
فَامْتَدَّتْ نَارُهُ .. وَبِخَاصَّةٍ أَنَّ قَتْلَةَ عُثْمَانَ قَدْ عَرَفُوا أَنَّ الْإِتِّفَاقَ  
لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى دِمَائِهِمْ، فَالْجَمِيعُ مُتَّفِقُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَقَدْ  
أَثَارَ الْفَوْضَى بَيْنَ النَّاسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَبَّأٍ الْيَهُودِيُّ ...  
فَوَقَعَتِ الْحَرْبُ .. وَانْتَصَرَ أَصْحَابُ عَلِيٍّ، وَقُتِلَ طَلْحَةُ بْنُ  
عُبَيْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِسَهْمٍ أَصَابَهُ، وَعُقِرَ الْجَمَلُ الَّذِي  
تَرَكَبَهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .. فَأَمَّا الزُّبَيْرُ فَقَدْ مَضَى وَسَلَكَ  
وَادِي السَّبَاعِ . وَكَانَ عَلِيٌّ قَدْ اتَّقَى بِطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ قُبَيْلَ  
الْمَعْرَكَةِ، وَدَنَا مِنْهُمَا حَتَّى اخْتَلَفَتْ أَعْنَاقُ دَوَابِّهِمْ، فَقَالَ عَلِيٌّ:  
لَعَمْرِي لَقَدْ أَعْدَدْتُمَا سِلَاحاً وَخَيْلاً وَرِجَالاً، وَإِنْ كُنْتُمَا  
أَعْدَدْتُمَا عِنْدَ اللَّهِ عُذْراً فَاتَّقِيَا اللَّهَ سُبْحَانَهُ، وَلَا تَكُونَا كَالَّتِي

نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا . أَلَمْ أَكُنْ أَخَاكُمَا فِي دِينِكُمَا ، تُحَرِّمَانِ دَمِي وَأَحَرِّمُ دِمَاءَكُمَا ! فَهَلْ مِنْ حَدَثٍ أَحَلَّ لَكُمَا دَمِي ؟ قَالَ طَلْحَةُ : أَلَبَّتِ النَّاسَ عَلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ عَلِيٌّ : « يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ » <sup>(١)</sup> ، يَا طَلْحَةُ ، تُطَالِبُ بَدَمِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ! فَلَعَنَ اللَّهُ قَتْلَةَ عُثْمَانَ . يَا زُبَيْرُ ، أَتَذْكُرُ يَوْمَ مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَنِي غَنَمٍ ، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَضَحِكَ وَضَحِكْتُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : لَا يَدْعُ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ زَهْوَهُ ، فَقَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « صَهْ ، إِنَّهُ لَيْسَ بِهِ زَهْوٌ ، وَلِتَقَاتِلَنَّهُ وَأَنْتَ لَهُ ظَالِمٌ » ؟ فَقَالَ : أَلَلَّهِمَّ نَعَمْ ، وَلَوْ ذَكَرْتُ مَا سِرْتُ مَسِيرِي هَذَا ، وَاللَّهِ لَا أَقَاتِلُكَ أَبَدًا .

فَانْصَرَفَ عَلَيٌّ إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : أَمَّا الزُّبَيْرُ فَقَدْ أُعْطِيَ اللَّهَ عَهْدًا إِلَّا يُقَاتِلُكُمْ ، وَرَجَعَ الزُّبَيْرُ إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَ لَهَا : مَا كُنْتُ فِي مَوْطِنٍ مُنْذُ عَقَلْتُ إِلَّا وَأَنَا أَعْرِفُ فِيهِ أَمْرِي غَيْرَ مَوْطِنِي هَذَا ، قَالَتْ : فَمَاذَا تُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ ؟ قَالَ : أُرِيدُ أَنْ أَدْعَهُمْ وَأَذْهَبَ ، فَقَالَ لَهُ أَبْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ : جَمَعْتَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْغَارَيْنِ ، حَتَّى إِذَا حَدَدَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَرَدْتَ أَنْ تَتْرُكَهُمْ

(١) النور: ٢٥ .



وَتَذَهَبَ! أَحْسَسْتَ رَايَاتِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَعَلِمْتَ أَنَّهَا تَحْمِلُهَا فِتْيَةُ أَنْجَادٍ، قَالَ: إِنِّي حَلَفْتُ أَلَّا أَقَاتِلَهُ، وَأَحْفَظُهُ مَا قَالَ لَهُ، فَقَالَ: كَفَرُ عَنْ يَمِينِكَ وَقَاتِلْهُ، فَدَعَا بَغْلَامٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ مَكْحُولٌ، فَأَعْتَقَهُ، وَقَاتَلَ، فَلَمَّا أَنْصَرَفَ مِنَ الْقِتَالِ وَمَرَّ بِوَادِي السَّبَاعِ تَبِعَهُ عَمْرُو بْنُ جُرْمُوزٍ، فَلَمَّا لَحِقَهُ نَظَرَ إِلَيْهِ الزُّبَيْرُ - وَكَانَ شَدِيدَ الْغَضَبِ - قَالَ: مَا وَرَاءَكَ؟ قَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلَكَ، فَقَالَ غُلَامٌ لِلزُّبَيْرِ يُدْعَى عَطِيَّةَ كَانَ مَعَهُ: إِنَّهُ مُعِدٌّ، قَالَ: مَا يَهْوُلُكَ مِنْ رَجُلٍ! وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَقَالَ ابْنُ جُرْمُوزٍ: الصَّلَاةُ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: الصَّلَاةُ، فَزَلَا، وَاسْتَدْبَرَهُ ابْنُ جُرْمُوزٍ فَطَعَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ فِي جُرْبَانٍ دِرْعِهِ فَقَتَلَهُ، وَأَخَذَ فَرَسَهُ وَخَاتَمَهُ وَسِلَاحَهُ، وَخَلَّى عَنِ الْغُلَامِ، فَدَفَنَهُ بِوَادِي السَّبَاعِ، وَرَجَعَ إِلَى النَّاسِ بِالْخَبَرِ.

وَجَاءَ ابْنُ جُرْمُوزٍ إِلَى سَيِّدِنَا عَلِيٍِّّ بِالْخَبَرِ وَبِسَيْفِ الزُّبَيْرِ... فَاسْتَأْذَنَ فَقَالَ عَلِيٌُّّ: لَا تَأْذِنُوا لَهُ وَبَشِّرُوهُ بِالنَّارِ فَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «بَشِّرُوا قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةَ بِالنَّارِ». وَدَعَا بِالسَّيْفِ الَّذِي حَمَلَهُ إِلَيْهِ ابْنُ جُرْمُوزٍ، فَقَالَ: «سَيْفٌ طَالَمَا جَلَى الْكُرْبَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، وَبَعَثَ بِذَلِكَ إِلَى عَائِشَةَ.

هَكَذَا كَانَتْ نِهَايَةُ هَذَا الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ ، فَقَدْ تُوْفِّيَ  
وَهُوَ فِي الرَّابِعَةِ وَالسَّتِينَ مِنْ عُمُرِهِ ، وَقُتِلَ مَظْلُومًا ، وَكَانَ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ ، وَمِمَّنْ حَمَلُوا عِبْنًا كَبِيرًا  
فِي الدَّعْوَةِ ، وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ :  
« الزُّبَيْرُ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الدِّينِ » وَيَقُولُ عَنْهُ أَيْضًا « الزُّبَيْرُ  
عَمُودٌ مِنْ عَمَدِ الْإِسْلَامِ » وَذَلِكَ لِمَا أَبْلَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَقَدْ  
أَرَادَ الزُّبَيْرُ مَرَّةً أَنْ يَغْتَسِلَ ، وَكَانَ بِأَرْضِ قَفْرَاءَ ، فَقَالَ  
لِصَاحِبِهِ : اسْتُرْنِي حَتَّى أَغْتَسِلَ ، فَسَتَرَهُ صَاحِبُهُ ، وَلَكِنْ حَانَتْ  
مِنْهُ الْتِفَاتُهُ ، فَرَأَى جَسَدَ الزُّبَيْرِ مُجَدَّعًا بِالسَّيُوفِ ، وَفِيهِ أَمْثَالُ  
الْعُيُونِ مِنَ الطَّعْنِ ، فَتَعَجَّبَ الرَّجُلُ ، وَعِنْدَمَا أَنْتَهَى الزُّبَيْرُ  
مِنْ غُسْلِهِ ، سَأَلَهُ صَاحِبُهُ قَائِلًا : لَقَدْ رَأَيْتُ فِي جَسَدِكَ مَا رَأَيْتُ  
مِنْ الْعَجَائِبِ . فَقَالَ الزُّبَيْرُ : أَمَا وَاللَّهِ مَا فِيهَا مِنْ جِرَاحَةٍ إِلَّا  
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ .

بُيُوتَةُ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ

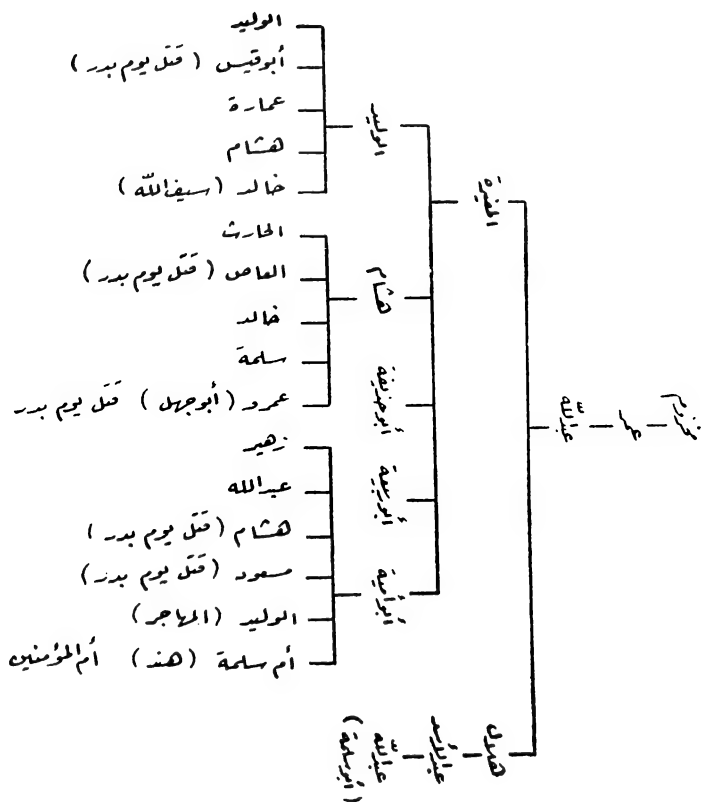
- ٥ -

ابْنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

زُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ







# بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَعَلَى آلِهِ  
وَصَحْبِهِ وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَبَعْدُ: تُعَدُّ بَنُو  
مَخْزُومٍ أَشْهَرَ بَطُونٍ قُرَيْشٍ الْاِثْنَيْنِ عَشَرَ بَعْدَ بَنِي عَبْدِ مَنَاةٍ،  
وَكَانَ الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَخْزُومِيُّ أَجَلَ رَجُلٍ فِيهَا، وَلَهُ  
عَدَدٌ مِنَ الْأَوْلَادِ، أَكْبَرُهُمْ أَبُو أُمَيَّةَ الَّذِي وَرَثَ الزَّرْعَامَةَ عَنْ  
أَبِيهِ، وَكَانَ عَلَى دَرَجَةٍ مِنَ الْكَرَمِ لِدَرَجَةِ أَنَّهُ إِذَا كَانَ فِي  
مَوْكِبٍ لَا يَقْبَلُ أَنْ يَحْمِلَ أَحَدٌ مِنْهُمْ زَادًا أَوْ طَعَامًا، بَلْ  
يَكْفِيهِمْ جَمِيعًا، لِذَا عُرِفَ بِاسْمِ «زَادِ الرِّكَبِ»، وَكَانَ أَكْبَرَ  
رَجُلٍ فِي قُرَيْشٍ عَامَ إِعَادَةِ بِنَاءِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ إِثْرَ سَيْلِ  
جَارِفٍ هَدَمَهُ وَذَلِكَ حَوَالِي الْعَامِ الْخَامِسِ وَالْثَلَاثِينَ مِنْ  
مَوْلِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْ فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ قَبْلَ الْبُعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ،  
وَهُوَ الَّذِي أَشَارَ عَلَى قُرَيْشٍ بَعْدَ اخْتِلَافِهَا عَلَى وَضْعِ الْحَجَرِ  
الْأَسْوَدِ بِنَحْكِيمٍ أَوَّلِ دَاخِلٍ، وَكَانَ أَنْ دَخَلَ الْأَمِينُ مُحَمَّدُ بْنُ  
عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ:

قَبِلْنَا بِالْأَمِينِ حَكَمًا، فَمَا كَانَ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا أَنْ بَسَطَ رِدَاءَهُ،  
وَحَمَلَ الْحَجَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ الشَّرِيفَتَيْنِ، وَوَضَعَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ طَلَبَ  
مِنْ رَئِيسِ كُلِّ قَبِيلَةٍ أَنْ يَأْخُذَ بِطَرَفٍ مِنْهُ، حَتَّى إِذَا وَصَلُوا  
إِلَى الْمَكَانِ الْمَطْلُوبِ، أَخَذَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَجَرَ بِكِلْتَا يَدَيْهِ،  
وَوَضَعَهُ فِي مَكَانِهِ.

وَكَانَ هَذَا أَلَسَيْدُ الْمُطَاعُ أَبُو أُمَيَّةَ بْنُ أَلْمُعِيرَةِ قَدْ تَزَوَّجَ  
عَاتِكَةَ بِنْتَ عَبْدِ أَلْمُطَلِّبِ فَوَلَدَتْ لَهُ زُهَيْرًا وَعَبْدَ اللَّهِ، وَهِيَ  
عَمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا تَزَوَّجَ أَيْضًا عَاتِكَةَ بِنْتَ عَامِرِ بْنِ  
رَبِيعَةَ بْنِ مَالِكِ أَلْكِنَانِيَّةَ فَأَنْجَبَتْ لَهُ هِشَامًا، وَمَسْعُودًا،  
وَأَلْوَلِيدَ أَلَّذِي سَمَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْمُهَاجِرَ، وَهِنْدَ (أُمُّ  
سَلَمَةَ) أُمُّ أَلْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَتُوفِّيَ أَبُو أُمَيَّةَ، وَوَرِثَ عَنْهُ أَلْبَنُّ زُهَيْرُ أَلْبَنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْمَجْدُ وَأَلْسُودُ، وَنَشَأَ سَيِّدًا مِنْ سَادَاتِ بَنِي مَخْزُومٍ،  
وَأَشْرَافِ قُرَيْشٍ، وَلَكِنَّهُ مَعَ وُجُودِ أَعْمَامِهِ وَخَاصَّةِ أَلْوَلِيدِ أَلْبَنِ  
أَلْمُعِيرَةِ كَانَ يُعَدُّ شَرِيفًا مِنْ أَلدَّرَجَةِ أَلثَّانِيَةِ فِي بَنِي مَخْزُومٍ  
أَحْتِرَامًا لِأَعْمَامِهِ وَتَوْقِيرًا لَهُمْ.

وَبُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمِنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ



مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّادَاتِ وَأَبْنَائِهِمْ، وَمِنْهُمْ أَصْحَابُ الْفِكْرِ  
السَّلِيمِ وَالرَّأْيِ السَّدِيدِ، وَمِنْهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ، أَمَّا  
الرُّعَمَاءُ وَكِبَارُ الْقَوْمِ فَقَدْ رَأَوْا فِي اتِّبَاعِهِمْ مُحَمَّدًا ضِيَاعًا  
لِزَعَامَتِهِمْ، وَخَسَارَةً لِمَرْكَزِهِمْ، فَوَقَفُوا فِي وَجْهِ الدَّعْوَةِ،  
وَعَمِلُوا جُهْدَهُمْ فِي مُحَارَبَتِهَا، إِذْ أَنَّ الْوُجَاهَةَ كَثِيرًا مَا تُعْمِي  
وَتُصِمُّ عَنِ الْحَقِّ، وَإِنَّ طَلَبَ الدُّنْيَا كَثِيرًا مَا يُودِي بِالْمَرْءِ إِلَى  
الْهَلَاكِ، فَلَمْ يَرْ هَؤُلَاءِ الْوُجُهَاءَ أَمَامَهُمْ إِلَّا الزَّعَامَةَ، وَلَمْ  
يَشْعُرُوا إِلَّا بِالْغَطْرَسَةِ وَالتَّكَبُّرِ، وَظَنُّوا بِأَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ أَكْبَرُ مِنْ  
آيَةِ قُوَّةٍ مَهْمَا عُلَتْ، وَأَنَّهُمْ أَكْبَرُ مِنَ الْحَقِّ مَهْمَا ارْتَفَعَ، وَلَكِنْ  
خَابَ ظَنُّهُمْ، وَضَاعَ تَفَكِيرُهُمْ، فَإِذَا الْبَاطِلُ يَسْقُطُ صَرِيعًا،  
وَيَعْلُو الْحَقُّ عَلَيْهِ، وَيَظْهَرُ كُلُّ شَيْءٍ عَلَى حَقِيقَتِهِ، فَمَنْ أَدْرَكَ  
نَفْسَهُ وَاتَّبَعَ الْحَقَّ نَجَا: وَمَنْ اسْتَمَرَّ عَلَى بَاطِلِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةَ وَذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ.

وَكَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ ابْنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ زُهَيْرُ بْنُ  
أَبِي أُمَيَّةٍ إِذْ أَرَادَ أَنْ يَحْتَفِظَ لِنَفْسِهِ بِمَوْعِدِهِ مَعَ كِبَارِ قُرَيْشٍ،  
وَهُوَ مِنْهُمْ، وَأَلَّا يَضِيعَ مَرْكَزُهُ بَيْنَهُمْ، وَهُوَ أَحَدُهُمْ، إِذْ  
حَجَبَتِ الزَّعَامَةُ النُّورَ عَنْ عَيْنَيْهِ، وَحَالَتْ دُونَ تَفَكِيرِهِ، وَوَقَفَ  
طَلَبُ الدُّنْيَا دُونَ وَصُولِهِ إِلَى الْحَقِيقَةِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ فِي الْوَقْتِ

نَفْسِهِ قَلِيلَ الْحَرْبِ لِلدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَمُهادِنًا لَهَا أَشَدَّ  
الْمُهادِنَةِ، بَلْ كَثِيرًا مَا كَانَ يَمِيلُ نَحْوَ صَاحِبِهَا ﷺ، لَا  
لِقُرْبِهِ مِنْهُ، وَإِنَّمَا لِمَا يَجِدُ فِي الْإِسْلَامِ مِمَّا يَتَّفِقُ مَعَ الْعَقْلِ  
السَّلِيمِ وَالْفِطْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ.

وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ يَمْدَحُ النَّفَرَ الَّذِينَ يُسَانِدُونَهُ فِي دَعْوِهِ  
لِابْنِ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَخَاصَّةً السَّادَةَ مِنْهُمْ، لِيَسْتَمِيلَهُمْ  
إِلَيْهِ، وَيَبْقُوا بِجَانِبِهِ، وَفِي إِحْدَى قِصَائِهِ ذَكَرَ ابْنُ أَخْتِهِ  
زُهَيْرًا هَذَا بِقَوْلِهِ:

وَنِعَمَ ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ غَيْرِ مُكَذِّبٍ  
زُهَيْرًا حُسَامًا مُفْرَدًا مِنْ حَمَائِلِ  
أَشَمٍّ مِنْ الشَّمِّ الْبَهَائِلِ يَنْتَمِي

إِلَى حَسَبٍ فِي حَوْمَةِ الْمَجْدِ فَاضِلٍ  
وَأَشْتَدَّ أَذَى قُرَيْشٍ، وَوَقَفَ أَبُو طَالِبٍ يَحْمِي رَسُولَ اللَّهِ  
ﷺ، وَيَذُودُ عَنْهُ، وَوَقَفَ مَعَهُ بَنُو هَاشِمٍ بِاسْتِثْنَاءِ عَمِّهِ أَبِي  
لَهَبٍ (عَبْدُ الْعُزَّى بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ)، ثُمَّ إِنَّ قُرَيْشًا قَرَّرَتْ  
مُقَاطَعَةَ بَنِي هَاشِمٍ وَعَدَمَ مُبَايَعَتِهِمْ أَوْ مُنَاقَحَتِهِمْ، فَانْزَوُوا إِلَى  
شُعْبِ أَبِي طَالِبٍ، وَدَخَلَ مَعَهُمُ الشَّعْبُ بَنُو عَمِّهِمْ بَنُو  
الْمُطَّلِبِ، بَيْنَمَا آنَحَذَلَ عَنْهُمْ بَنُو عَمِّهِمْ بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ، وَبَنُو

نَوَقَلَ ابْنَا عَبْدِ مَنَافٍ. وَبَقُوا فِي الشَّعْبِ مَا يَقْرُبُ مِنْ ثَلَاثَةِ  
أَعْوَامٍ، لَاقُوا فِيهَا الْعَذَابَ، وَأَكَلُوا وَرَقَ الشَّجَرِ، عَلَى حِينِ  
كَانَتْ قُرَيْشٌ فِي حَرَمِهَا تُتَاجِرُ، وَتَعِيشُ بِطُمَأْنِينَةٍ وَرَخَاءٍ.

لَمْ يَطْلُبْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَقِيَّةِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَدْخُلُوا  
مَعَ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ فِي الشَّعْبِ، وَإِنَّمَا طَلَبَ مِنْهُمْ  
الْإِتِّجَاهَ إِلَى الْحَبَشَةِ، فَكَانَتْ هِجْرَةُ الْحَبَشَةِ الثَّانِيَّةُ، وَمَنْ لَمْ  
يَسْتَطِعِ الْهِجْرَةَ لِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ كَانَ يَمْنَعُهُ أَهْلُهُ أَوْ يَحْبِسُهُ  
قَوْمُهُ أَوْ كَانَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَالْمَوَالِي فَقَدَّ بَقِيَ فِي مَكَّةَ مَعَ  
قُرَيْشٍ، وَقَدْ يَكُونُ بَعْضُهُمْ ذَا مَرَكَزٍ كَأَيِّ بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ، وَمَا ذَلِكَ الْمَنْعُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الدَّخُولِ فِي  
الشَّعْبِ لِلْمُسْلِمِينَ إِلَّا لِيَمْنَعَهُمْ مِنْ أَنْ يَعِيشُوا فِي حِمَى  
الْجَاهِلِيَّةِ. أَمَّا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ فَقَدْ دَخَلُوا فِي الشَّعْبِ  
كُلُّهُمْ، مُسْلِمُهُمْ وَكَافِرُهُمْ، وَكَانَتْ الْكَلِمَةُ فِيهِ لِلْجَاهِلِيَّةِ  
بِاسْتِثْنَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَلْ كَانَ الدَّخُولُ كُلُّهُ مِنْ أَجْلِ  
وَالْمَقَاطَعَةِ بِسَبَبِهِ، وَكَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ  
وَالسَّلَامُ، وَرَأَى النَّاسُ مَكَانَهُ جَاءَ أَبُو طَالِبٍ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ  
يُغَيِّرَ مَكَانَ نَوْمِهِ، وَطَلَبَ مِنْ أَحَدِ أَبْنَائِهِ أَوْ أَقْرَبَائِهِ أَنْ يَنَامَ  
مَكَانَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ قَدْ بَيَّتَ بَعْضُهُمُ الْغَدَرَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَصَابَ

غَيْرُهُ. فَأَلْمُسْلِمُونَ كَجَمَاعَةٍ لَا تَدْخُلُ بِمَجْمُوعِهَا فِي حِمَى  
الْجَاهِلِيَّةِ، كَمَا لَا يَدْخُلُ عُضْوٌ فِي حِمَى جَمَاعَةٍ؛ إِذْ تَذُوبُ  
شَخْصِيَّتُهُ ضِمْنَهَا، أَمَّا كَأَفْرَادٍ تَحْمِيهِمْ عُصْبَتُهُمْ أَوْ يَمْنَعُهُمْ  
قَوْمُهُمْ فَهَذَا أَمْرٌ آخَرُ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُقْبَلَ، فَقَدْ دَخَلَ عُثْمَانُ بْنُ  
مَطْعُونٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي جِوَارِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَدَخَلَ  
أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي جِوَارِ ابْنِ الدُّغْنَةِ، وَدَخَلَ  
أَبُو سَلَمَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِيُّ فِي جِوَارِ خَالِهِ  
أَبِي طَالِبٍ، وَفَوْقَ كُلِّ هَذَا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي جِوَارِ  
الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ، وَكَذَلِكَ فَالدُّخُولُ إِلَى الشَّعْبِ يُعَدُّ جِوَارًا  
إِلَّا أَنْ أَلْصَقَهُ الْفَرْدِيَّةُ هِيَ الَّتِي كَانَتْ وَاضِحَةً السَّمَةِ، وَمَعَ  
هَذَا فَالرَّسُولُ ﷺ كَانَ أَلْعُنْصُرَ الْمُحَرِّكَ فِيهَا وَالْأَسَاسِيَّ،  
وَلَمْ يَكُنْ لِيَتَفَرَّضَ عَلَيْهِ الْجَاهِلِيَّةُ كَلِمَتَهَا، إِذْ أَنَّ الْحِصَارَ كُلَّهُ  
كَانَ مِنْ أَجْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَعْوَامٍ مِنَ الْبَقَاءِ فِي الشَّعْبِ مَشَى هِشَامُ بْنُ  
عَمْرٍو وَكَانَ قَرِيبًا لِبَنِي هَاشِمٍ، وَاصِلًا لَهُمْ، يُرْسِلُ إِلَيْهِمْ  
الطَّعَامَ سِرًّا، وَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِي قَوْمِهِ، فَمَشَى إِلَى زُهَيْرِ بْنِ  
أَبِي أُمَيَّةَ الْمَخْزُومِيِّ، وَقَالَ لَهُ: يَا زُهَيْرُ، أَقَدْ رَضِيتَ أَنْ تَأْكُلَ  
الطَّعَامَ، وَتَلْبَسَ الثِّيَابَ، وَتَنْكَحَ النِّسَاءَ، وَأَخْوَلكَ حَيْثُ قَدْ

عَلِمْتَ، لَا يَبَاعُونَ وَلَا يُبْتَاعُ مِنْهُمْ، وَلَا يُنْكَحُونَ وَلَا يُنْكَحُ إِلَيْهِمْ؟ أَمَا إِنِّي أَحْلِفُ بِاللَّهِ: أَنْ لَوْ كَانُوا أَخْوَالَ أَبِي الْحَكَمِ ابْنِ هِشَامٍ، ثُمَّ دَعَوْتُهُ إِلَى مِثْلِ مَا دَعَا إِلَيْهِ مِنْهُمْ، مَا أَجَابَكَ إِلَيْهِ أَبَدًا، قَالَ: وَيَحْكُ يَا هِشَامُ فَمَاذَا أَصْنَعُ؟ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَعِيَ رَجُلٌ آخَرُ لَقُمْتُ فِي نَقْضِهَا حَتَّى أَنْقُضَهَا، قَالَ: قَدْ وَجَدْتُ رَجُلًا لَكَ، قَالَ: فَمَنْ هُوَ؟ قَالَ: أَنَا، قَالَ لَهُ زُهَيْرٌ: أَبْغِنَا رَجُلًا ثَالِثًا.

وَسَارَ هِشَامُ بْنُ عَمْرِو إِلَى الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ نَوْفَلِ ابْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وَقَالَ لَهُ: يَا مُطْعِمُ، أَقَدْ رَضِيتَ أَنْ يَهْلِكَ بَطْنَانِ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَأَنْتَ شَاهِدٌ عَلَى ذَلِكَ، مُوَافِقٌ لِقُرَيْشٍ فِيهِ، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ أُمَكَّنْتُمُوهُمْ مِنْ هَذِهِ لَتَجِدَنَّاهُمْ إِلَيْهَا مِنْكُمْ سِرَاعًا، قَالَ: وَيَحْكُ، فَمَاذَا أَصْنَعُ؟ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، قَالَ: قَدْ وَجَدْتُ ثَانِيًا، قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: أَنَا، قَالَ: أَبْغِنَا ثَالِثًا، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: زُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، قَالَ أَبْغِنَا رَابِعًا. ثُمَّ ذَهَبَ هِشَامُ إِلَى أَبِي الْبَخْتَرِيِّ بْنِ هِشَامٍ، فَكَسَبَهُ إِلَى صُفُوفِهِمْ، وَمِنْ عِنْدِهِ انْتَقَلَ إِلَى زَمْعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ الْأَسَدِيِّ، فَكَلَّمَهُ فِي الْأَمْرِ، فَوَافَقَهُ عَلَى مَا وَافَقَ عَلَيْهِ الْآخَرُونَ.

وَتَوَاعَدَ هَؤُلَاءِ النَّفَرُ (خَطَمَ الْحَجُّونَ) لَيْلًا بِأَعْلَى مَكَّةَ،  
فَاجْتَمَعُوا هُنَاكَ، فَاجْمَعُوا أَمْرَهُمْ، وَتَعَاقَدُوا عَلَى الْقِيَامِ فِي  
الصَّحِيفَةِ حَتَّى يَنْقُضُوهَا، وَقَالَ زُهَيْرٌ: أَنَا أَبَدُوكُمْ، فَأَكُونُ  
أَوَّلَ مَنْ يَتَكَلَّمُ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا إِلَى أُنْدِيَتِهِمْ، وَغَدَا زُهَيْرُ  
ابْنُ أَبِي أُمَيَّةَ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى  
النَّاسِ فَقَالَ: يَا أَهْلَ مَكَّةَ، أَنَا كُلُّ الطَّعَامِ وَتَلْبَسُ الثِّيَابَ،  
وَبَنُو هَاشِمٍ هَلَكُوا، لَا يُبَاعُ وَلَا يُبْتَاعُ مِنْهُمْ، وَاللَّهِ لَا أَقْعُدُ حَتَّى  
تُشَقَّ هَذِهِ الصَّحِيفَةُ الْقَاطِعَةُ الظَّالِمَةَ. فَرَدَّ عَلَيْهِ أَبُو جَهْلٍ،  
وَكَانَ فِي نَاحِيَةِ أُخْرَى مِنَ الْمَسْجِدِ، وَقَالَ: كَذَبْتَ وَاللَّهِ لَا  
تُشَقُّ، إِلَّا أَنْ زَمَعَةَ صَدَقَ زُهَيْرًا، وَقَالَ: مَا رَضِينَا كِتَابَتَهَا  
حَيْثُ كُتِبَتْ، قَالَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ: صَدَقَ زَمَعَةُ، لَا نَرْضَى مَا  
كُتِبَ فِيهَا، وَلَا يُقَرَّرُ بِهِ، ثُمَّ صَدَقَ الْمُطْعِمُ مَا قَالَهُ أَصْحَابُهُ،  
وَكَذَبَ مَنْ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ، وَتَبَرَّأَ إِلَى اللَّهِ مِنْهَا، وَمِمَّا كُتِبَ  
فِيهَا، وَأَيَّدَ هِشَامُ بْنُ عَمْرِو رِفَاقَهُ، فَقَامَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ إِلَى  
الصَّحِيفَةِ لِيَشَقَّهَا، فَوَجَدَ الْأَرْضَ قَدْ أَكَلَتْهَا إِلَّا ((بِاسْمِكَ  
اللَّهِمَّ)).

عَلَى الرَّغْمِ مِنْ هَذَا الْمَوْقِفِ النَّبِيلِ وَالتَّعَاطُفِ الَّذِي كَانَ  
يُبْدِيهِ زُهَيْرٌ تَجَاهَ الْمُسْلِمِينَ، وَعَدَمِ إِظْهَارِ الْعِدَاءِ الْوَاضِحِ

الَّذِي كَانَ يَبْدُو مِنْ بَقِيَّةِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ سَادَةِ قُرَيْشٍ ، إِلَّا أَنَّ زُهَيْرًا بَقِيَ فِي مَوْقِفِهِ الْمُتَنَكِّرِ لِلْإِسْلَامِ ، وَمُعَارَضَتِهِ لِابْنِ خَالِهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، إِذِ اسْتَمَرَ يَشْعُرُ أَنَّهُ وَاحِدٌ مِنْ وَجْهَاءِ قُرَيْشٍ ، وَيَجِبُ أَلَّا يَتَخَلَّى عَنْ مَوْقِفِهِ أَبَدًا كَبَقِيَّةِ الْوُجْهَاءِ ، إِذْ فِي تَخَلِّيهِ عَيْبٌ وَاضِحٌ ، وَضَعْفٌ لِمَرْكَزِهِ الْمَرْمُوقِ بَيْنَ أَفْرَادِ الْقَبِيلَةِ جَمِيعِهِمْ - حَسَبَ الْمَفْهُومِ الْجَاهِلِيِّ - ، وَهَذَا لَيْسَ بِالْأَمْرِ الْغَرِيبِ فَإِنَّ خَالَهُ أَبَا طَالِبٍ كَانَ يَتَّقُ بِابْنِ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِكُلِّ مَا فِي ذَلِكَ مِنْ مَعْنَى الثَّقَةِ ، وَيَحْمِيهِ دُونَ أَنْ يُمَكِّنَ قُرَيْشًا مِنَ الْقِيَامِ بِعَمَلٍ ضِدِّهِ ، بَلْ إِذَا أَخْبَرَهُ مُحَمَّدٌ بِأَمْرِ غَيْبِيٍّ يَقُولُ لَهُ: أَرَبْتُكَ أَخْبَرَكَ؟ فَإِنْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ ، صَدَّقَ أَبُو طَالِبٍ ابْنَ أَخِيهِ ، بَلْ أَعْلَنَ ذَلِكَ لِقَوْمِهِ ، وَافْتَخَرَ فِي هَذَا ، وَأَنَّ ابْنَ أَخِيهِ صَادِقٌ ، وَلَا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يُؤْمِنْ ، إِذْ وَجَدَ أَنَّ فِي إِيمَانِهِ إِضَاعَةً لِمَرْكَزِهِ بَيْنَ زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ وَسَادَتِهَا ، وَكَانَ يَخْشَى أَنْ تَقُولَ الْقَبِيلَةُ: صَبَأَ أَبُو طَالِبٍ ، أَوْ اتَّبَعَ مُحَمَّدًا .

وَتَرَكَ الْمُسْلِمُونَ الْأَوَائِلُ مَكَّةَ الْمَكْرَمَةَ لِمَا أَصَابَهُمْ مِنْ أَذَى قُرَيْشٍ ، وَهَاجَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَبَقِيَ زُهَيْرٌ عَلَى مَوْقِفِهِ

الْأَوَّلَ لَا يَتَزَحَّجُ عَنْهُ، يَعِيشُ سَيِّدًا فِي مَكَّةَ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنَ  
الْأَنْتِصَارَاتِ الَّتِي أَحْرَزَهَا الْمُسْلِمُونَ، وَالِدَعْمِ الَّذِي كَانُوا  
يَلْقَوْنَهُ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَاهُ لَمَا كَانَ أَنْتِصَارٌ، بَلْ لَا يُمَكِّنُ  
تَفْسِيرُ تِلْكَ الْأَنْتِصَارَاتِ إِلَّا بِهِ، فَلَمْ يَكُنِ الْعَدَدُ لِيَتَسَاوَى،  
وَلَمْ تَكُنِ الْعَدَدُ لَتَتَعَادَلَ وَمَعَ ذَلِكَ فَالْتَّصِرُ كَانَ دَائِمًا بِجَانِبِ  
الْمُسْلِمِينَ، إِلَّا أَنَّ زُهَيْرًا لَمْ يَأْبَهُ بِالْأَمْرِ كَثِيرًا، بَلْ لَمْ يُعْمَلْ  
عَقْلُهُ فِي ذَلِكَ لِيَتَوَصَّلَ إِلَى الْحَقِّ وَالنُّورِ السَّاطِعِ الَّذِي عَمَّ  
سَنَاهُ مَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَمَا جَاوَرَهُمَا.

وَسَارَتْ قُرَيْشٌ مِنْ مَكَّةَ بِاتِّجَاهِ الْمَدِينَةِ تُرِيدُ تَأْدِيبَ  
الْمُسْلِمِينَ - حَسَبَ زَعْمِهَا - وَالْقَضَاءِ عَلَيْهِمْ، وَكَانَتْ مَعْرَكَةٌ  
بَدْرَ الْكُبْرَى بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَكَانَتْ فُرْقَانًا بَيْنَ الْحَقِّ  
وَالْبَاطِلِ، ائْتَصَرَ فِيهِ الْحَقُّ وَاتَّضَحَ، وَهَزِمَ الْبَاطِلُ وَاخْتَفَى،  
وَفَقَدَتْ قُرَيْشٌ عَلَى أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ سَبْعِينَ قَتِيلًا، وَمِثْلَهُمْ  
أَسْرَى بِيَدِ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ بَيْنَ الْقَتْلَى أَبُو جَهْلٍ عَمْرُو بْنُ  
هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَأَخُوهُ الْعَاصُ ابْنَا عَمِّ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ  
ابْنِ الْمُغِيرَةِ، وَأَبْنُ عَمِّهِ الْآخِرُ أَبُو قَيْسِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَأَخَوَا  
زُهَيْرٍ بِالذَّاتِ وَهُمَا: هِشَامٌ وَمَسْعُودٌ، وَمَعَ هَذِهِ الْفَاجِعَةِ  
بِالنَّسَبَةِ إِلَى قُرَيْشٍ عَامَّةً وَبِالنَّسَبَةِ إِلَى زُهَيْرٍ خَاصَّةً، إِلَّا أَنَّ



زُهَيْرًا لَمْ يَزِدْ حِقْدُهُ وَلَمْ يُغَيِّرْ مَوْقِفَهُ، وَلَمْ يُفَكِّرْ بِالْإِنْتِقَامِ أَوْ  
بِالْعَدْرِ كَمَا حَاوَلَ غَيْرُهُ، وَكَمَا فَكَّرَ آخَرُونَ.

وَقَوِيَتْ شَوْكَةُ الْمُسْلِمِينَ، وَاتَّجَهُوا نَحْوَ مَكَّةَ فَاتِحِينَ،  
وَوَصَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ، وَنَزَلَ بِأَعْلَاهَا، وَعِنْدَهَا شَعَرَ  
زُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بِالْخَطَرِ، وَرَأَى أَنَّهُ يُحْدِقُ بِهِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ،  
وَوَظَنَّ كَمَا ظَنَّ غَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَنَّهَا الْقُوَّةُ، وَأَنَّهُ الْمَلِكُ،  
فَلَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ أَنْ يُفَكِّرَ فِي النِّجَاجَةِ، إِذْ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ،  
وَأَرْشَدَهُ عَقْلُهُ أَنْ يَسْتَجِيرَ بِابْنَةِ خَالِهِ أُمِّ هَانِيٍّ بِنْتِ أَبِي  
طَالِبٍ، وَكَانَتْ عِنْدَ ابْنِ عَمِّهِ هُبَيْرَةَ بِنِ أَبِي وَهَبٍ  
الْمَخْزُومِيِّ، فَاسْتَجَارَ بِهَا هُوَ وَابْنُ عَمِّهِ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ  
أَخُو أَبِي جَهْلٍ، فَأَجَارَتْهُمَا، تَقُولُ أُمُّ هَانِيٍّ: فَدَخَلَ عَلَيَّ عَلِيٌّ  
ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَخِي، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأَقْتُلَنَّهُمَا، فَأَغْلَقْتُ عَلَيْهِمَا  
بَابَ بَيْتِي، ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ،  
فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ فِي جَفْنَةٍ فِيهَا أَثَرُ الْعَجِينِ، وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ  
بِثُوبِهِ، فَلَمَّا اغْتَسَلَ أَخَذَ ثُوبَهُ فَتَوَشَّحَ بِهِ، ثُمَّ صَلَّى ثَمَانِي  
رَكَعَاتٍ مِنَ الصُّحَى، ثُمَّ أَنْصَرَفَ إِلَيَّ، فَقَالَ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا يَا  
أُمَّ هَانِيٍّ، مَا جَاءَ بِكَ؟ فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرَ الرَّجُلَيْنِ وَخَبَرَ عَلِيٍّ،  
فَقَالَ: قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتَ، وَأَمَّنَّا مَنْ أَمَنْتَ، فَلَا يَقْتُلُهُمَا.

وَدَخَلَ زُهَيْرٌ فِي الْإِسْلَامِ مَعَ مَنْ دَخَلَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ،  
فَكَانَ مِنَ الطَّلَقَاءِ، وَلَكِنْ يَبْدُو أَنَّ هَذَا الدُّخُولَ إِنَّمَا كَانَ  
بِالتَّبَعَةِ مَعَ قَوْمِهِ، وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمَتْبُوعِينَ.

وَصَلَتْ أَخْبَارُ فَتْحِ الْمُسْلِمِينَ لِمَكَّةَ إِلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ  
كُلِّهَا، فَهَالَهَا الْأَمْرُ، وَتَخَوَّفَتِ الْقَبَائِلُ الْقَرِيبَةُ، وَأَرَادَتْ إِبْرَازَ  
كِيَانِهَا، وَمِنْهَا هَوَازُنُ آلِئِي تُقِيمُ فِي شَرْقِ مَكَّةَ بِالْقُرْبِ مِنْ  
ثَقِيفٍ، إِذْ جَمَعَهَا مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ النَّصْرِيُّ، وَأَنْضَمَّتْ إِلَيْهَا  
كُلُّ مَنْ ثَقِيفٍ وَنَصْرٍ وَجُشَمٍ وَسَعْدِ بْنِ بَكْرٍ وَبَعْضُ بَنِي  
هِلَالٍ، وَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْمَعَ السَّيْرَ إِلَيْهِمْ،  
فَخَرَجَ مَعَهُ أَصْحَابُهُ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَعَدَدُهُمْ  
عَشْرَةُ آلَافٍ مُقَاتِلٍ، وَأَنْضَمَّ إِلَيْهِمْ أَلْفَانِ مِنَ أَهْلِ مَكَّةَ مِنَ  
الطَّلَقَاءِ، وَفِيهِمْ وَجْهَاءُ الْقَوْمِ إِذْ كَانَ مِنْ عَادَتِهِمُ الْخُرُوجُ،  
فَلَوْ تَخَلَّفُوا لَعُدُّوا مُحَارِبِينَ أَيْضاً وَمُتَخَذِلِينَ، بَلْ غَيْرَ  
مُؤْمِنِينَ، وَلَرَبَّمَا كَانَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، بَلْ  
رَبَّمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ. وَمِنْ وَجْهَاءِ الْقَوْمِ  
الَّذِينَ سَارُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبُو سُفْيَانَ، وَزُهَيْرُ بْنُ أَبِي  
أُمَيَّةَ الْمَخْزُومِيِّ، وَأَبْنَاءُ عَمِّ زُهَيْرٍ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامِ بْنِ  
الْمُغِيرَةِ وَأَخُوهُ خَالِدٌ، وَهُمَا أَخَوَا أَبِي جَهْلٍ، وَهِشَامُ بْنُ

الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، أَخُو خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَغَيْرُهُمْ كَثِيرٌ مِثْلُ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَأَخِيهِ.

وَفِي وَادِي حُنَيْنٍ التَّقَى الْجَمْعَانِ ، وَكَانَتْ هَوَازُنُ قَدْ سَبَقَتْ وَجُمُوعُهَا إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ ، وَكَمَنْتُ فِي بَعْضِ شِعَابِهِ ، فَلَمَّا وَصَلَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْوَادِي فُوجِئُوا بِالْإِغَارَةِ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، وَلَمَّا كَانَ مَعَهُمْ بَعْضُ الطَّلَقَاءِ مِمَّنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِحَقِّ لَذَا وَلَوْ الْأَدْبَارَ ، وَتَرَكُوا أَرْضَ الْمَعْرَكَةِ ، وَلَحِقَهُمْ أَكْثَرُ الْمُقَاتِلِينَ ، وَأَغْلَبَ أَهْلَ مَكَّةَ مِنَ الطَّلَقَاءِ ، وَعَلَى هَذَا فَالْمُنَافِقُونَ أَوْ الْكُفَّارُ لَا يَزِيدُونَ الْمُسْلِمِينَ قُوَّةً إِنْ كَانُوا مَعَهُمْ ، وَإِنَّمَا يُضْعِفُونَ مِنْ شَأْنِهِمْ ، وَيُقَلِّلُونَ مِنْ عَزِيمَتِهِمْ ، كَمَا أَنَّ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ رَأَوْا فِي الْكَثْرَةِ قُوَّةً ، إِلَّا أَنَّ الْكَثْرَةَ بَدُونَ إِيْمَانٍ لَنْ تُفِيدَ شَيْئًا « وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدْبِرِينَ » <sup>(١)</sup> . فَوَلَّى أَكْثَرُ الْمُسْلِمِينَ الْأَدْبَارَ ، وَتَبَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَبَعْضُ أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَشَمِتَ بَعْضُ الطَّلَقَاءِ . وَقَالُوا : بَطَلَ السَّحَرُ ، إِلَّا أَنَّ ثَبَاتَ رَسُولِ اللَّهِ وَمُنَادَاةَ الْعَبَّاسِ

---

(١) التوبة آية: ٢٥ .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ أَعَادَا الْمُسْلِمِينَ إِلَى رُشْدِهِمْ، فَرَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَالتَّقُوا حَوْلَهُ وَجَاءَهُمُ الْمَدَدُ مِنَ السَّمَاءِ، وَحَمَلُوا عَلَى الْمُشْرِكِينَ حَمْلَةً وَاحِدَةً أَزَالَتْهُمْ عَنْ مَوَاقِعِهِمْ ثُمَّ قَرُّوا هَارِبِينَ، وَقَدْ رِيحَ الْمُسْلِمُونَ غَنَائِمَ كَثِيرَةً.

وَفَرَّتْ ثَقِيفٌ وَبَعْضُ مَنْ مَعَهَا إِلَى الطَّائِفِ وَتَحَصَّنَتْ بِهَا، فَلَحِقَهَا الْمُسْلِمُونَ، وَحَاصَرُوا الطَّائِفَ، ثُمَّ تَرَكُوهَا بَعْدَ قِتَالٍ وَمُفَاوَصَاتٍ، وَأَثْنَاءَ الْعُودَةِ وَفِي مَنْطِقَةِ «الْجُعْرَانَةِ» قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْغَنَائِمَ، فَأَعْطَى الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمُ الْكَثِيرَ مِنْهَا، فَقَدْ أَعْطَى أَبَا سُفْيَانَ وَابْنَهُ مُعَاوِيَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ وَصَفْوَانَ ابْنَ أُمَيَّةَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِائَةَ نَاقَةٍ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ زُهَيْرٌ مِنْ وَجْهَاءِ الْقَوْمِ أَوَّلًا وَمِنْ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ثَانِيًا.

وَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ، وَمَكَثَ فِيهَا قَلِيلًا، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَعَاشَ الطَّلَقَاءُ فِي مَكَّةَ كُلُّ يَفْكُرٍ فِي نَفْسِهِ، وَيَجِدُ فِي إِعْمَالِ فِكْرِهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ بَقِيَ عَلَى حَالِهِ مُؤْمِنًا عَادِيًّا، وَمِنْهُمْ مَنْ اجْتَهَدَ فِي الْعِبَادَةِ لِيُعَوِّضَ مَا فَاتَ، وَيُصَحِّحَ مَا كَانَ مِنْهُ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ الَّذِي نَدِمَ عَلَى مَا مَرَّ مِنْ أَيَّامِهِ، وَكَيْفَ كَانَ يُسَايِرُ سِرَاةَ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَضَلُّوهُ السَّبِيلَ، وَالْوَاقِعُ أَنَّ زُهَيْرًا لَمْ يَكُنْ إِمَّعَةً يَسِيرُ

مَعَ النَّاسِ ، يُعَادِي الْإِسْلَامَ مَعَ قُرَيْشٍ ، وَيُسَلِّمُ عِنْدَمَا يُسَلِّمُونَ ، وَيَغْزُو عِنْدَمَا يَغْزُونَ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ أَلْوَجَاهُهُ قَدْ أَعَمَّتُهُ عَنِ الْحَقِّ ، وَالْثَرَاءُ سَيَّأَتِي عَنْ طَرِيقِهَا ، فَعِنْدَمَا أَخَذَ مِائَةً بَعِيرٍ عَادَ إِلَى صَوَابِهِ ، وَشَعَرَ أَنَّ أَلْمَالَ ظِلٌّ زَائِلٌ ، وَيَأْتِي مِنْ طُرُقٍ كَثِيرَةٍ وَلَيْسَتْ الرِّعَامَةُ هِيَ السَّبِيلُ إِلَيْهِ فَقَطُّ ، وَأَنَّ الدُّنْيَا مُنْتَهِيَةٌ لَا مَحَالَةَ وَسَيَذْهَبُ الْإِنْسَانُ بِلَا مَالٍ وَلَا يَسْتَفِيدُ إِلَّا مِمَّا قَدَّمَ مِنْ عَمَلٍ ، لِذَا بَدَأَ يَجْتَهِدُ فِي الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ ، وَيَمْحُو كُلَّ مَا كَانَ مِنْ سُلُوكِهِ السَّابِقِ .

وَمَضَى عَامَانٍ أَوْ مَا يَقْرُبُ مِنْهُمَا ، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ إِلَى مَكَّةَ حُجَّاجًا ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْحِجَّةُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ حِجَّةَ الْوَدَاعِ ، وَالتَّقَى زُهَيْرُ بَنِيهِ وَتَعَلَّقَ بِهِ ، وَقَرَّرَ أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيَعِيشَ بِجَانِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَلَقَّى مِنْهُ ، وَيَنْهَلُ مِنْ ذَلِكَ النَّعْمِ الصَّافِي ، إِلَّا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ تَطُلْ بِهِ الْحَيَاةُ بَعْدَ حِجَّةِ الْوَدَاعِ ، فَعَاشَ أَشْهُرًا وَانْتَقَلَ إِثْرَهَا إِلَى الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ ، وَلَمْ تَعُدْ لِرُؤْيَاهُ فَائِدَةٌ فِي ذَلِكَ الْإِنْتِقَالِ .

انْتَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى ، وَاخْتَارَ الْمُسْلِمُونَ خَلِيفَةً لَهُمْ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَطَمَعَ

الْأَعْرَابُ فِيمَا حَدَّثَ، بَعْضُهُمْ أَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ الزَّكَاةَ كَضَرِبَةٍ  
لِنَفْسِهِ، وَيَمْتَنِعَ مِنْ دَفْعِهَا لِلدَّوْلَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَحَكَّمَ  
بِشُؤْنِ قَوْمِهِ حَسَبَ مَصْلَحَتِهِ تَبَعًا لِلْجَاهِلِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ سَائِدَةً  
قَبْلَ الْإِسْلَامِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَفْهَمْ الْإِسْلَامَ، وَلَمْ يَدْخُلِ  
الْإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَكِنَّهُ وَجَدَ فِي النَّبَوَةِ زَعَامَةً وَشُهْرَةً،  
فَادَّعَاهَا، وَمِنْهُمْ... وَمِنْهُمْ... وَارْتَدَّتْ أَكْثَرُ الْأَعْرَابِ وَأَهْلُ  
الْقُرَى وَالْبَوَادِي وَلَمْ يَبْقَ عَلَى الْإِسْلَامِ سِوَى الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ  
وَالطَّائِفِ، بَلْ إِنَّ بَعْضَ النَّفُوسِ قَدْ أَشْرَبَتْ لِلنِّفَاقِ فِي مَكَّةَ  
لَوْلَا مَوْفِعُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو وَبَعْضُ الْجُوهَاءِ وَمِنْهُمْ زُهَيْرُ بْنُ  
أَبِي أُمَيَّةَ.

أَعْلَنَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْحَرْبَ عَلَى  
الْمُرْتَدِّينَ، وَأَنْطَلَقَتْ إِلَيْهِمْ جُنْدُ اللَّهِ تَنْدَفِعُ نَحْوَهُمْ جَيْشًا إِثْرَ  
جَيْشٍ، وَكُتِبَتْ تِلْوَ كُتَيْبَةٍ، يَنْخَرِطُ فِي صُفُوفِهَا الْمُجَاهِدُونَ،  
وَيَسِيرُونَ فِي مَوْكِبٍ وَاحِدٍ، وَتَرَى فِي هَذَا الْمَوْكِبِ الشَّابَّ  
الْيَافِعَ الَّذِي دَفَعَهُ إِيْمَانُهُ لِيَسْتَقْبَلَ شَبَابَهُ بِالْجِهَادِ عَسَى أَنْ  
يَحْصَلَ عَلَى الشَّهَادَةِ قَبْلَ أَنْ يَمْتَدَّ بِهِ الْعُمُرُ، أَوْ يَظْفَرَ بِالنَّصْرِ  
فَيَرَى رَايَةَ الْإِسْلَامِ خَفَافَةً يَعِيشُ تَحْتَهَا النَّاسُ فِي طُمَآنِينَةٍ  
وَسَعَادَةٍ، وَتَرَى فِي ذَلِكَ الْمَوْكِبِ الشَّيْخَ الْهَرَمَ الَّذِي لَمْ

تُعِدُّهُ سِتُّهُ عَنِ الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَبْغِي الشَّهَادَةَ، وَلَطَالَمَا  
 طَلَبَهَا وَلَكِنَّهُ لَمْ يَظْفَرْ بِهَا، وَلَعَلَّهَا تَكُونُ خَاتِمَةَ حَيَاتِهِ،  
 فَيَحْصُلُ عَلَى مَا سَعَى إِلَيْهِ طِيلَةَ حَيَاتِهِ.

كَانَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ فِي الْحَرَمِ،  
 وَاسْتَوْفَتْهُ آيَةُ «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ  
 عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ»<sup>(١)</sup>، وَجَالَتْ فِي  
 نَفْسِهِ الْخَوَاطِرُ، أَيَّ عُلُوٍّ يَبْغِي بَعْدَ هَذَا الْعُمُرِ الَّذِي انْقَضَى،  
 وَيَوْمَ طَلَبْنَاهُ لَمْ يُغْنِ عَنَّا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَاذَا يُغْنِي فِي  
 الْآخِرَةِ؟ إِنَّ الْعُلُوَّ الَّذِي نُرِيدُهُ الْآنَ إِنَّمَا هُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ  
 وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِنَرْتَفِعَ فِي الْآخِرَةِ، وَلِنَعْوِضَ عَمَّا  
 فَاتَنَا...

وَسَمِعَ زُهَيْرٌ أَنَّ كِتَابَ اللَّهِ تَتَحَرَّكُ نَحْوَ الْمُرْتَدِّينَ فَأَسْرَعَ  
 لِلْإِنْخِرَاطِ فِيهَا، وَوَدَّعَ مَكَّةَ وَدَاعَ مَنْ لَا يُرِيدُ الْعَوْدَةَ إِلَيْهَا،  
 لِيَخْتِمَ حَيَاتَهُ بِالْجِهَادِ، عَسَى أَنْ يُكْفَّرَ عَنْ أَيَّامِهِ الَّتِي وَقَفَ  
 فِيهَا فِي وَجْهِ الدَّعْوَةِ...

---

(١) القصص آية: ٨٣.

وَسَارَ الْجَيْشُ بِاتِّجَاهِ الشَّرْقِ ، وَكَانَ زُهَيْرٌ فِيهِ ، يَسِيرُ  
تَحْتَ لِوَاءِ ابْنِ عَمِّهِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، وَكَانَهُ  
يُرِيدُ أَنْ يَسْبِقَهُ لِيَشْتَرِكَ فِي الْمَعْرَكَةِ ، وَلِيَخْضِبَ سَيْفَهُ بِدِمَاءِ  
أُولَئِكَ الْمُرْتَدِّينَ الَّذِينَ أَغْرَتَهُمُ الدُّنْيَا بِمَفَاتِنِهَا ، وَأَغْوَاهُمُ  
الشَّيْطَانُ بِغُرُورِهِ ، فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ، وَنَسُوا مَا كَانَ يَنْسَاهُ  
فِي أَيَّامِهِ الْخَالِيَةِ ، يَسِيرُ وَيَذْكُرُ الْمَاضِيَ الَّذِي لَا تُفَارِقُهُ  
صُورَتُهُ أَبَدًا ، وَيَرْجُو الشَّهَادَةَ ، وَقَدْ ذَاقَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ عَسَى  
أَنْ تُكَفِّرَ عَنْهُ مَا تَلَوَّثَ مِنْ مَاضِيهِ ، يَسِيرُ وَكَانَهُ يُقْبِلُ إِلَى  
الْمَوْتِ الَّذِي تَبْدُو عَلَائِمُهُ عَلَى وَجْهِهِ ...

قَدْ طَالَتْ بِهِ الْحَيَاةُ وَعَرَفَ حُلُوهَا وَذَاقَ مُرَّهَا فَلَمْ يَجِدْ  
شَيْئًا فِيهَا ، لَقَدْ تَذَوَّقَ حُلُوهَا وَهُوَ وَجِيهٌ ، وَشَعَرَ بِمُرَّهَا وَهُوَ  
ضَعِيفٌ ، وَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا ، وَالْآنَ فَاْمَلُهُ كَبِيرٌ بِأَنْ يَحْصَلَ عَلَى  
الشَّهَادَةِ لِيَجِدَ عِنْدَ اللَّهِ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ . يَتَذَكَّرُ جَنَاتِ النَّعِيمِ  
فَتَنْفَرُجُ أَسَارِيرُهُ . وَيَتَصَوَّرُ أَنَّهَا وَرَاءَ الشَّهَادَةِ فَيَقْطُبُ وَجْهَهُ  
أَسْتَعْدَادًا لِلْقِتَالِ ، وَيُسْرِعُ فِي جِسْمِهِ الْخَطُوءَ ، وَيُرْخِي لِفَرْسِهِ  
الْعِنَانَ ، لِيَسَاقِ بَقِيَّةَ الْجُنْدِ نَحْوَ الْعَدُوِّ فَمَا يَشْعُرُ إِلَّا وَجَوَادُهُ  
قَدْ تَقَدَّمَ عَلَى جَوَادِ الْقَائِدِ ، فَيَعُودُ إِلَى نَفْسِهِ وَيَتَأَخَّرُ إِلَى  
مَكَانِهِ .



وَالْتَقَى الْجَيْشَانِ جَيْشُ الْإِيمَانِ بِقِيَادَةِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ  
 الْمَخْزُومِيِّ وَجَيْشُ الْكُفْرِ بِأَمْرِ مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّابِ الْحَنْفِيِّ،  
 وَأَعْطِيَتْ الْأَوَامِرُ لِلْمُسْلِمِينَ بِالْقِتَالِ، وَكَانَ زُهَيْرٌ يَنْتَظِرُهَا  
 فَأَنْدَفَعَ أَنْدَفَاعًا نَحْوَ الْمُرْتَدِّينَ لَمْ يَرْجِعْ بَعْدَهَا أَبَدًا، أَنْطَلَقَ  
 أَنْطِلَاقَةً الْمُودَعِ، فَحَصَلَ عَلَى مَا يُرِيدُ.. اللَّهُ أَكْبَرُ لَقَدْ نَالَ  
 الشَّهَادَةَ، وَظَفِرَ بِمَا يُرِيدُ إِنَّهَا جَنَّتُ الْخُلْدِ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ  
 اللَّهِ.. « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ  
 عَذَابِ أَلِيمٍ. تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
 بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. يَغْفِرُ  
 لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
 وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. وَأُخْرَى  
 تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ »<sup>(١)</sup>.

صدق الله العظيم.

---

(١) الصف. الآيات: ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٣.



بُيُتَةُ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ

٦.

سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ



# بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا  
مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَإِمَامِ الْمُرْسَلِينَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
أَجْمَعِينَ، وَبَعْدُ: فَإِنَّ أَكْثَرَ زُعَمَاءِ قُرَيْشِ الَّذِينَ كَانُوا وَقْتَ  
ظُهُورِ الْإِسْلَامِ، قَدْ وَقَفُوا فِي وَجْهِ الدَّعْوَةِ، وَلَكِنْ مَنْ أَسْلَمَ  
مِنْهُمْ قَدْ أَرْتَفَعَ اسْمُهُ وَطَارَتْ شُهْرَتُهُ. وَهُوَ لَا يُرِيدُ ذَلِكَ،  
وَمَنْ أَبِي وَاسْتَكْبَرَ، وَأَصْرَرَ عَلَى وَثْنِيَّتِهِ وَكُفْرِهِ، فَقَدْ عَدَا فِي  
عِدَادِ الْمَغْمُورِينَ، مَهْمَا كَانَ مَرْكَزُهُ، وَهُوَ يُرِيدُ الزَّعَامَةَ،  
وَيَسْعَى لَهَا.

وَعِنْدَمَا جَاءَ فَتَحُ مَكَّةَ، وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا،  
وَدَانَ بِالْإِسْلَامِ مَنْ بَقِيَ مِنَ الزَّعَمَاءِ حَتَّى تِلْكَ الْآوَنَةِ، وَقَدْ  
أُطْلِقَ عَلَى أُولَئِكَ الْمُسْلِمِينَ الْجَدُّ اسْمُ «الطَّلَقَاءِ» بَعْدَ أَنْ قَالَ  
لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطَّلَقَاءُ»، كَانَ حَظُّ  
الْأَعْيَانِ مِنْهُمْ فِي الظُّهُورِ قَلِيلًا بِسَبَبِ تَأْخِرِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ؛  
إِذْ فَاتَهُمُ الرِّكْبُ حَيْثُ كَانَ الْمَوَكِبُ الْإِسْلَامِيُّ قَدْ انْطَلَقَ،  
وَلَمَعَ رِجَالُهُ، وَأَرْتَفَعَ ذِكْرُ أَبْنَائِهِ حَتَّى الَّذِينَ كَانُوا لَوُجْهَاءِ

يَرْفُضُونَ آلِ لِقَاءِ بِهِمْ وَالْاجْتِنَاعَ مَعَهُمْ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْأَعْيَانِ  
الطَّلَاقِ سَهِيلُ بْنُ عَمْرِو الَّذِي أَسْلَمَ أَبْنَاهُ وَإِخْوَتُهُ، وَأَشْهَرُ  
أَمْرُهُمْ، وَآخَتَفَى اسْمُهُ، وَهُوَ الْكَبِيرُ فِيهِمْ وَالْوَجِيهُ بَيْنَهُمْ  
وَالرَّئِيسُ عَلَيْهِمْ.. إِلَّا أَنَّهُ عِنْدَمَا أَسْلَمَ، لَمْ يَعُدْ يَرْغَبُ مَا كَانَ  
يَتَمَنَّاهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الشُّهْرَةِ وَعُلُوِّ الْمَكَانَةِ... وَمَعَ ذَلِكَ  
حَفِظَ لَهُ الْإِسْلَامُ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَالذِّكْرِ، وَلَوْلَا دُخُولُهُ فِي  
الْإِسْلَامِ، لَضَاعَ فِيمَنْ ضَاعَ، وَنُسِيَ كَمَا نُسِيَ غَيْرُهُ أَمثالُ  
أُولَئِكَ الزَّعَمَاءِ الَّذِينَ مَاتَ أَسْمُهُمْ بِمَوْتِهِمْ، وَزَالَتْ شُهْرَتُهُمْ  
بِزَوَالِهِمْ، وَفَنِيَ مَجْدُهُمْ بِفَنَائِهِمْ، وَإِذَا حَفِظَ التَّارِيخُ لَنَا بَعْضَ  
الْأَسْمَاءِ؛ فَإِنَّمَا لِيَكُونَ أَصْحَابُهَا أَيْمَّةَ الْكُفْرِ، وَيُعْرَفُ الْأَمْرُ  
بِنَقِيضِهِ، وَالْعَمَلُ بِضِدِّهِ.

وَاللَّهِ نَسْأَلُ الْجَنَّةَ وَمَا يُقَرِّبُنَا إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ،  
وَنَعُوذُ بِهِ مِنَ النَّارِ وَمَا يُقَرِّبُنَا إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، كَمَا  
نَطْلُبُ مِنْهُ جَلَّ شَأْنُهُ سَدَادَ الْخُطَا، وَالْقَوْلَ الْحَقَّ، وَالنَّجَاحَ فِي  
الْآخِرَةِ، وَأَنْ تَكُونَ أَعْمَالُنَا خَالِصَةً لِرُجُوهِ الْكَرِيمِ، فَهُوَ نِعَمَ  
الْمَوْلَى، وَنِعَمَ النَّصِيرِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

هُوَ أَبُو يَزِيدَ، سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ وَدَّ  
ابْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَامِرٍ. وَبَنُو عَامِرٍ أَحَدُ  
بُطُونِ قُرَيْشِ الْأَثْنِي عَشَرَ الْمَعْرُوفَةِ، وَالَّتِي أَمْتَاَزَتْ  
بِالشَّجَاعَةِ، وَعُرِفَتْ بِالْحِكْمَةِ، وَلَعَلَّ أَشْهَرَ رِجَالِهِمُ الْبَارِزِينَ  
وَقَتَ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ هُوَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو هَذَا، وَقَدْ أَشْتَهَرَ  
بِالْثَّبَاتِ وَالْخَطَابَةِ حَتَّى عُدَّ خَطِيبَ قُرَيْشِ الْمُفَوَّهَةِ، وَالنَّاطِقِ  
بِأَسْمِهَا فِي الْمُلِمَّاتِ .

## ١- في الجاهليّة

شَعَ نُوْرُ الْإِسْلَامِ فِي مَكَّةَ، وَوَصَلَتْ أَشْعَثُهُ إِلَى كُلِّ بُيُوتَاتِ قُرَيْشٍ تَقَرِّبًا، وَدَخَلَ سَنًا مِنْ شُعَاعِهِ إِلَى دِيَارِ بَنِي عَامِرٍ، فَأَسْلَمَ إِخْوَةُ سُهَيْلٍ وَهُمْ: سَلِيطٌ وَالسَّكْرَانُ وَحَاطِبٌ، وَأَسْلَمَ وَلَدُهُ عَبْدُ اللَّهِ، وَأَسْلَمَتْ أَبْنَتَاهُ سَهْلَةُ زَوْجُ أَبِي حُذَيْفَةَ ابْنِ عُتْبَةَ، وَأُمُّ كُلْثُومٍ زَوْجُ ابْنِ عَمَّةِ أَبِي سَبْرَةَ بْنِ أَبِي رَهْمٍ، وَأَسْلَمَتْ ابْنَةُ عَمِّهِ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ زَوْجَةُ أَخِيهِ السَّكْرَانِ، وَابْنُ عَمِّهِ أَبُو سَبْرَةَ بْنُ أَبِي رَهْمٍ، وَخَتْنَةُ أَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ، وَعَدَدٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ، وَلَكِنْ سُهَيْلًا أَصَرَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْوَتَنَِّةِ وَالشَّرِكِ، وَاسْتَكْبَرَ، وَحَاوَلَ أَنْ يَقِفَ فِي وَجْهِ إِخْوَتِهِ، وَلَكِنْ أَنَّى لَهُ، وَهُمْ الْأَكْثَرُ عَدَدًا، وَمَا كَانَ لَهُ إِلَّا أَنْ يَسْكُتَ عَلَى مَضَضٍ، مُكْرَهًا، وَبِخَاصَّةٍ أَنَّهُ أَحَدُ رِجَالِ بَنِي عَامِرٍ الْمَعْدُودِينَ، وَأَحَدُ الزَّعَمَاءِ الْمَشْهُورِينَ، فَوَقَفَ بِجَانِبِ وَجْهَاءِ مَكَّةَ يَذُودُونَ عَنِ آلِهِتِهِمْ مِنَ آلَاتِ وَالْعَزَى، وَهُمْ سَدَنَتُهَا، يَحْمُونَهَا، وَهُمْ عَبْدَتُهَا، وَيُدَافِعُونَ عَنِ الْبَاطِلِ، وَيَقِفُونَ فِي وَجْهِ الْحَقِّ خَوْفًا عَلَى مَصَالِحِهِمْ، إِذْ أَنَّ فِي أَنْتَشَارِ الْإِسْلَامِ وَأَدِّ لَتْلُوكِ



الْإِلَهَةِ مِنَ الْأَصْنَامِ ، وَخَلَاصاً مِنَ الْعُبُودِيَّةِ  
لَهَا ، وَقَضَاءً عَلَى تِلْكَ الرِّعَامَاتِ مِنَ الطَّوَاغِيتِ ، وَأَنْتَهَاءً مِنْ  
أَهْوَاءِ نُفُوسِ الظَّالِمِينَ وَتَحْقِيقَ رَغْبَاتِهَا بِمَا تَشْتَهِي دُونَ أَنْ  
يَقِفَ أَحَدٌ فِي طَرِيقِهَا ، وَتَخْلُصاً مِنَ آلِهَا الَّتِي أَثَرَتْ مِنْهَا  
بَعْضُ الرِّجَالَاتِ ، فَعَاثَتْ الْفَسَادَ بِشَرَائِهَا ، وَدَاسَتْ عَلَى  
الْإِنْسَانِيَّةِ بَغْنَاهَا ، كَمَا فِي انْتِشَارِ الْإِسْلَامِ تَخْلُصٌ مِنْ أَوْلِيكَ  
الْصَّعَالِيكِ الَّذِينَ أَقْضَوْا مَضَاجِعَ الْآمِنِينَ لِفَقْرِهِمْ وَبُؤْسِهِمْ ،  
الْأَمْرُ الَّذِي نَبَذَتْهُمْ مِنْهَا الْقَبِيلَةُ ، وَلَفَظَهُمُ الْمُجْتَمَعُ .

وَبَدَأَ ضَغْطُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ ذَوَيْهِمْ ؛ لِيَنْقَى  
الْغَنِيُّ عَلَى نَفْسِهِ ، وَلِيَسْتَمِرَّ الصُّعْلُوكُ فِي تَسَلُّطِهِ ، وَنَالَ بَعْضُ  
آلِ عَامِرٍ مَا نَالَهُمْ مِنْ أَدَى سُهَيْلٍ ، حَتَّى إِذَا ضَاقَ الْمُسْلِمُونَ  
دَرْعاً بِمَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْأَذَى ، أَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالتَّوَجُّهِ  
نَحْوَ الْحَبَشَةِ حَيْثُ فِيهَا حَاكِمٌ لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ .

سَارَ الْمَوَكِبُ الْإِسْلَامِيُّ إِلَى الْحَبَشَةِ ، وَفِيهِ أَخُوهُ حَاطِبٌ ،  
وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ وَصَلَ إِلَيْهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، كَمَا كَانَ فِي هَذَا  
الْمَوَكِبِ أَخَوَاهُ سَلِيطٌ ، وَالسَّكْرَانُ مَعَ زَوْجِهِ سَوْدَةَ بِنْتُ زَمْعَةَ ،  
وَفِيهِ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ ، وَأَبْنَاؤُ عُمُومَتِهِ : أَبُو سَبْرَةَ بْنُ أَبِي رُهْمٍ ،  
وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَخْرَمَةَ ، وَمَالِكُ بْنُ زَمْعَةَ مَعَ زَوْجِهِ ابْنَةِ عَمِّهِ عَمْرَةَ  
بِنْتِ السَّعْدِيِّ ، وَفِيهِ ابْنَتَاهُ سَهْلَةُ ، وَأُمُّ كُلْثُومٍ ، وَصِهرُهُ أَبُو  
حَذِيفَةَ .

مَا لَبِثَ أَنْ عَادَ بَعْضُ مُهَاجِرِي الْحَبَشَةِ، وَفِيهِمْ أَكْثَرُ بَنِي  
عَامِرٍ، فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى مَوَاطِنِهِمْ، قَبَضَ سُهَيْلٌ عَلَى ابْنِهِ  
عَبْدِ اللَّهِ، وَحَبَسَهُ، وَأَوْتَقَهُ عِنْدَهُ، وَفَتَنَهُ عَنْ دِينِهِ، حَتَّى كَانَ  
يَوْمَ بَدْرٍ، فَأَسَرَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو يَوْمَ ذَاكَ، الْأَمْرَ الَّذِي جَعَلَ  
عَبْدَ اللَّهِ يَخْرُجُ مُهَاجِرًا، حَيْثُ شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا الَّتِي وَقَعَتْ بَعْدَ بَدْرٍ.

فِي بَدْرٍ:

وَأَشْتَدَّ أَذَى قُرَيْشٍ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّ الْإِسْلَامَ  
كَانَ قَدْ بَدَأَ يَنْتَشِرُ فِي يَثْرِبَ، فَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى  
أَصْحَابِهِ أَنْ يَتَوَجَّهُوا إِلَى يَثْرِبَ، ثُمَّ لَحِقَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ  
وَالسَّلَامُ مُهَاجِرًا، وَهُنَاكَ تَأَسَّسَتِ الدَّوْلَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْأُولَى،  
وَبَدَأَتْ تَعْمَلُ عَلَى إِثْبَاتِ كِيَانِهَا، فَصَارَتْ تَعْتَزُّ بِطَرِيقِ  
قَوَائِلِ قُرَيْشٍ إِلَى الشَّامِ، إِلَى أَنْ كَانَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ الْكُبْرَى  
بَيْنَ الْجَانِبَيْنِ، وَكَانَتْ فُرْقَانًا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، إِذْ قُتِلَ  
فِيهَا كِبَارُ الْمُشْرِكِينَ وَطُعَاةُ الْكُفْرِ أَمْثَالُ أَبِي جَهْلٍ عَمْرٍو بْنُ  
هِشَامٍ الْمُخْزُومِيِّ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَحَظْلَةَ  
ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ، كَمَا أُسِرَ بَعْضُ صَنَادِيدِهِمْ وَمِنْهُمْ سُهَيْلُ بْنُ  
عَمْرٍو، وَقَدْ أَسَرَهُ مَالِكُ بْنُ الدَّخْشَمِ.

وَدُفِنَ الْقَتْلَى، وَسِيقَ الْأَسْرَى إِلَى الْمَدِينَةِ، وَقَالَ سُهَيْلُ بْنُ

عَمَرُو يَوْمَ ذَاكَ مُعَلَّلًا أَسْرَهُ، وَمُعْتَذِرًا عَمَّا تَمَّ لَهُ «رَأَيْتُ رَجُلًا بَيْضًا عَلَى خَيْلٍ بُلُقٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مُعَلِّمِينَ، يَقْتُلُونَ، وَيَأْسِرُونَ». وَمَعَ هَذَا الَّذِي رَأَاهُ، وَآيَقَنَ بَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ... إِلَّا أَنَّ الْكُفْرَ لَمْ يَزَلْ يَمَلَأُ جَوَانِحَهُ، فَأَصَرَ وَاسْتَكْبَرَ، وَلَكِنَّهُ أَسِيرٌ.

وَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْحَابَهُ فِيمَا يَفْعَلُهُ بِالْأَسْرَى، فَرَأَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ، وَأَيَّدَهُ بَعْضُ الصَّحَابَةِ، وَرَأَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنْ يَقْتُلَهُمْ، بَلِ اقْتَرَحَ أَنْ يَقْتُلَ كُلَّ رَجُلٍ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَعْلَمَ الْخَلْقُ جَمِيعًا أَنَّهُ لَا صِلَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَالْكَافِرِ أَبَدًا، فَكُلُّ وَشَائِجِ الْقُرْبَى وَصِلَاتِ الرَّحِمِ تَزُولُ أَمَامَ الْعَقِيدَةِ، وَأَيَّدَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَغَيْرُهُمَا. وَمَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى رَأْيِ أَبِي بَكْرٍ، وَبَدَأَ يَقْبَلُ فِدَاءَ الْأَسْرَى.

وَرَأَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرَّةً سُهَيْلًا فِي الْأَسْرِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، وَتَذَكَّرَ مَوَاقِفَهُ فِي عِدَاءِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ عُمَرُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي أَنْزِعَ ثِنْتَيْ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، فَيَدْلَعُ لِسَانَهُ، فَلَا يَقُومَ عَلَيْكَ خَطِيبًا فِي مَوْطِنٍ أَبَدًا. فَأَجَابَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا أُمِثْلُ بِهِ، فَيُمِثِلُ اللَّهُ

بي، وَإِنْ كُنْتُ نَبِيًّا، ثُمَّ أَضَافَ: إِنَّهُ عَسَى أَنْ يَقُومَ مَقَامًا لَا تَذُمَّهُ.

وَجَاءَ مُكَرَّرُ بْنُ حَفْصٍ فِي فِدَاءِ سُهَيْلٍ، وَاتَّفَقَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَالٍ يُؤَدِّيهِ سُهَيْلٌ، فَعِنْدَمَا طَالَبُوهُ بِالْدَفْعِ، قَالَ مُكَرَّرٌ: اجْعَلُوا رَجُلِي مَكَانَ رَجُلِهِ، وَخَلُّوا سَبِيلَهُ حَتَّى يَبْعَثَ إِلَيْكُمْ بِفِدَائِهِ، فَخَلُّوا سَبِيلَ سُهَيْلٍ، وَحَبَسُوا مُكَرَّرًا مَكَانَهُ عِنْدَهُمْ، وَعِنْدَمَا وَصَلَ سُهَيْلٌ إِلَى مَكَّةَ، أَرْسَلَ الْفِدَاءَ، وَأَطْلَقَ سَرَاحَ مُكَرَّرٍ.

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ بَعْضُهَا إِثْرَ بَعْضٍ، وَقُوَّةُ الْمُسْلِمِينَ فِي تَرَايِدٍ، وَوَضْعُ الْمُشْرِكِينَ فِي تَرَاجُعٍ، وَهُمْ يُحَاوِلُونَ تَجْمِيعَ الْقَبَائِلِ، وَتَحْزِيبَ الْأَحْزَابِ، وَيَهُودُ مِنْ وَرَائِهِمْ تُحَرِّصُ النَّاسَ، وَتُثِيرُ الْفِتْنَ، وَكَانَتْ غَزْوَةُ أَحَدٍ، وَنَالَتْ قُرَيْشٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تُحْزِرِ النَّصْرَ الَّذِي تُرِيدُ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ قَدْ أَطْمَعَ الْأَعْرَابَ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَمَعَ هَذَا فَلَمْ تَضْعَفِ الْقُوَّةُ لَدَيْهِمْ، وَلَمْ تَلِنْ قَنَاتُهُمْ، وَلَا فَلََتْ لَهُمْ عَزِيمَةٌ، وَإِنَّمَا اسْتَمَرُّوا فِي دَعْوَتِهِمْ وَنَشَاطِهِمْ وَجِهَادِهِمْ، ثُمَّ كَانَتْ غَزْوَةُ الْأَحْزَابِ الَّتِي جَمَعَتْ لَهَا قُرَيْشٌ كُلَّ طَاقَاتِهَا، وَالْأَعْرَابُ كُلَّ إِمْكَانَاتِهِمْ، وَيَهُودُ كُلَّ مَكْرِهِمْ، وَكَانَتْ النَّتِيجَةُ؛ أَنْ فَشِلَ الْجَمِيعُ،

وَنَصَرَ اللَّهَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ . وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَعْرَكَةُ آخِرَ سَهْمٍ  
لِلْمُشْرِكِينَ ؛ إِذْ تَفَرَّقَتْ كَلِمَتُهُمْ فِيهَا بَعْدُ ، وَخُضِدَتْ شَوْكَتُهُمْ ،  
عَلَى حِينٍ كَانَتْ بَدْءاً لِتَوْسَعِ الْمُسْلِمِينَ وَازْدِيَادِ نَشَاطِهِمْ .

### فِي الْحَدِيثِ:

رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَزُورَ أَلْبَيْتَ الْحَرَامَ ، وَقَدْ زَادَ  
إِلَيْهِ شَوْقُهُ ، فَقَدْ مَضَى عَلَى فِرَاقِهِ لَهُ سَنَوَاتٌ سِتٌّ ، وَطَلَبَ مِنَ  
الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَأَهَّبُوا لِذَلِكَ بَعْدَ أَنْ رَأَى فِي مَنَامِهِ مَا رَأَى .

أَنْطَلَقَ الرِّكْبُ الْإِسْلَامِيُّ يَتَحَرَّكُ نَحْوَ مَكَّةَ بِأَمْرِ الرَّسُولِ  
الْكَرِيمِ ، وَقَدْ سَاقَ الْهَدْيَ أَمَامَهُ ، وَأَحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ ، وَأَغْمَدَتِ  
السُّيُوفُ ، لِيَأْمَنَ النَّاسُ مِنْ حَرْبِهِ ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّهُ إِنَّمَا خَرَجَ  
زَائِراً لِلْبَيْتِ ، وَمُعْظِماً لَهُ . أَنْطَلَقَ الرِّكْبُ بِانْقِيَادٍ تَامٍ لِنَبِيِّهِمْ  
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَبِخُشُوعٍ عَامٍ لِلَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ .

وَعَلِمَتْ قُرَيْشٌ بِمَسِيرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَاسْتَعَدَّتْ لِذَلِكَ ،  
وَأَجْتَمَعَتْ بِذِي طُوًى شِمَالِ مَكَّةَ ، وَقَدْ عَاهَدَتِ اللَّهَ أَلَّا  
يَدْخُلَهَا الْمُسْلِمُونَ أَبَداً ، عَلَى حِينٍ أَنَّهَا كَانَتْ مَفْتُوحَةً لِمَنْ  
أَرَادَ مِنَ الْعَرَبِ أَنْ يَأْتِيَ مُعْتَمِراً زَائِراً مُعْظِماً ، وَلَكِنَّهَا لَا  
تَسْمَحُ لِلْمُسْلِمِينَ أَبَداً ، لَقَدْ أَكَلَتِ الْحَرْبُ قُرَيْشاً ، فَدَفَعَتْ

خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ - وَكَانَ لَا يَزَالُ عَلَى شِرْكِهِ - بِالْخَيْلِ أَمَامَهَا .  
وَلَمَّا عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا كَانَ مِنْ قُرَيْشٍ ، انْعَطَفَ نَحْوَ  
الْيَمِينِ حَتَّى لَا يَصْطَدِمَ بِخَالِدٍ أَوْ بِأَحَدٍ ، فَالْمُسْلِمُونَ  
مُحْرَمُونَ ، وَمَا جَاءُوا لِقِتَالٍ ، وَاسْتَمَرَّ فِي سَبَرِهِ حَتَّى نَزَلَ  
الْحَدِيثُ ، وَقَدْ بَرَكْتَ نَاقَتُهُ ، فَقَالَ النَّاسُ : خَلَّتْ <sup>(١)</sup>  
الْقَصَوَاءُ ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : مَا خَلَّتْ ، وَمَا هُوَ لَهَا  
بِخُلُقٍ ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ عَنْ مَكَّةَ . لَا تَدْعُونِي  
قُرَيْشُ الْيَوْمَ إِلَى خُطَّةٍ فِيهَا صَلَةُ الرَّحِمِ إِلَّا أُعْطِيَتْهُمْ إِيَّاهَا .

وَجَاءَتْ رُسُلُ قُرَيْشٍ الْوَاحِدَ تِلَوِ الْآخِرِ ، وَكُلُّهُمْ يَتَأَكَّدُ  
أَنَّ الْمُسْلِمِينَ مَا جَاءُوا إِلَّا زَائِرِينَ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ  
أَصْرَتْ عَلَى مَنَعِهِمْ ، وَقَالَتْ : لَا يُمَكِّنُهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا مَكَّةَ عَلَيْنَا  
عَنُوءَةً فَتَتَحَدَّثَ الْعَرَبُ بِذَلِكَ .

وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَسُولًا مِنْ قِبَلِهِ إِلَى قُرَيْشٍ ،  
فَعَقَرُوا بِهِ جَمَلَهُ ، وَأَرَادُوا قَتْلَهُ . وَقَبَضَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى خَمْسِينَ  
رَجُلًا أَتَوْا مِنْ قِبَلِ قُرَيْشٍ لِيُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَكِنْ  
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَلَّى سَبِيلَهُمْ ، ثُمَّ بَعَثَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ

---

( ١ ) خَلَّتِ النَّاقَةُ : حَرَنْتْ

اللَّهُ عَنْهُ إِلَى قُرَيْشٍ ؛ لِيُخْبِرَهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ مَا جَاءَ إِلَّا زَائِرًا  
لِلْبَيْتِ وَمُعْظَمًا، وَأَنْتَشَرَ خَبَرُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مَقَادُهُ أَنَّ عُمَانَ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ قُتِلَ، وَلَمَّا وَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ  
ﷺ قَالَ: لَا نَبْرَحُ حَتَّى نُنَاجِزَ الْقَوْمَ، وَبَايَعَ الصَّحَابَةُ بَيْعَةَ  
الرَّضْوَانِ ، ثُمَّ أَنْجَلَى الْخَبَرَ، وَتَبَيَّنَ أَنَّ عُمَانَ حَيٌّ .

ثُمَّ أَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو لِيُفَاوِضَ الْمُسْلِمِينَ،  
وَقَالَتْ لَهُ: آتَيْتِ مُحَمَّدًا فَصَالِحُهُ، وَلَا يَكُنْ فِي صُلْحِهِ إِلَّا أَنْ  
يَرْجِعَ هَذَا الْعَامَ عَنْ مَكَّةَ دُونَ أَنْ يَدْخُلَهَا .

جَاءَ سُهَيْلٌ، وَقَالَ أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَطَالَ الْقَوْلَ،  
ثُمَّ جَرَى بَيْنَهُمَا الصَّلْحُ، وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي  
طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: اكْتُبْ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ  
الرَّحِيمِ .

فَقَالَ سُهَيْلٌ: لَا أَعْرِفُ هَذَا، وَلَكِنْ اكْتُبْ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ . فَكَتَبَهَا عَلِيٌّ .

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اكْتُبْ: هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو .

فَقَالَ سُهَيْلٌ: لَوْ شَهِدْتُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لَمْ أَفَاتِلْكَ، وَلَكِنْ

اَكْتُبْ: اَسْمَكَ وَاَسْمَ اَبِيكَ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اَكْتُبْ: هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ سَهِيلَ بْنِ عَمْرٍو، اصْطَلَحَا عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ عَنِ النَّاسِ عَشْرَ سِنِينَ، يَأْمَنُ فِيهِنَّ النَّاسُ، وَيَكْفُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، عَلَى اَنَّهُ مَنْ اَتَى مُحَمَّدًا مِنْ قُرَيْشٍ بِغَيْرِ اِذْنٍ وَلِيهِ رَدُّهُ عَلَيْهِمْ، وَمَنْ جَاءَ قُرَيْشًا مِمَّنْ مَعَ مُحَمَّدٍ لَمْ يَرُدُّوهُ عَلَيْهِ، وَاِنْ بَيْنَنَا عَيْبَةٌ مَكْفُوفَةٌ، وَاَنَّهُ لَا اِسْلَالَ وَلَا اِغْلَالَ، وَاَنَّهُ مَنْ اَحَبَّ اَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ فِيهِ، وَمَنْ اَحَبَّ اَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ فِيهِ. فَتَوَاتَبَتْ خُزَاعَةُ فَقَالُوا: نَحْنُ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ، وَتَوَاتَبَتْ بَنُو بَكْرِ، فَقَالُوا: نَحْنُ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ. وَاَنَّكَ تَرْجِعُ عَنَّا عَامَكَ هَذَا، فَلَا تَدْخُلْ عَلَيْنَا مَكَّةَ، وَاَنَّهُ اِذَا كَانَ عَامٌ قَابِلٌ، خَرَجْنَا عَنْكَ فَدَخَلْتَهَا بِاصْحَابِكَ، فَاَقَمْتَ بِهَا ثَلَاثًا، مَعَكَ سِلَاحُ الرَّاِكِبِ، اَلْسُيُوفُ فِي الْقُرْبِ، لَا تَدْخُلُهَا بِغَيْرِهَا .

فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَكْتُبُ الْكِتَابَ هُوَ وَسَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو، اِذْ جَاءَ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سَهِيلَ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي الْحَدِيدِ، قَدْ اَنْفَلَتْ اِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ كَانَ اَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَرَجُوا وَهُمْ لَا يَشْكُونَ فِي الْفَتْحِ، لِرُؤْيَا



رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا رَأَوْا مَا رَأَوْا مِنَ الصَّلَاحِ  
وَالرَّجُوعِ ، وَمَا تَحَمَّلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَفْسِهِ ، دَخَلَ  
عَلَى النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، حَتَّى كَادُوا يَهْلِكُونَ ، فَلَمَّا  
رَأَى سُهَيْلُ ابْنَهُ أَبَا جَنْدَلٍ ، قَامَ إِلَيْهِ فَضْرَبَ وَجْهَهُ ، وَأَخَذَ  
بَتَلْبِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، قَدْ لَجَّتِ الْقَضِيَّةُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، قَبْلَ  
أَنْ يَأْتِيَكَ هَذَا ، قَالَ : صَدَقْتَ ، فَجَعَلَ يَنْتَرُهُ بَتَلْبِيهِ ، وَيَجْرُهُ  
لِيَرُدَّهُ إِلَى قُرَيْشٍ ، وَجَعَلَ أَبُو جَنْدَلٍ يَصْرُخُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا  
مَعَشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، أَرَدْتُ إِلَى الْمُشْرِكِينَ يَفْتِنُونِي فِي دِينِي ؟ فزَادَ  
ذَلِكَ النَّاسَ إِلَى مَا بِهِمْ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا أَبَا جَنْدَلٍ ، أَصْبِرْ وَاحْتَسِبْ ،  
فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجًا  
وَمَخْرَجًا ، إِنَّا قَدْ عَقَدْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ صُلْحًا ، وَأَعْطَيْنَاهُمْ  
عَلَى ذَلِكَ ، وَأَعْطَوْنَا عَهْدَ اللَّهِ ، وَإِنَّا لَا نَغْدِرُ بِهِمْ . فَوَتَبَ عُمَرُ  
ابْنَ الْخَطَّابِ مَعَ أَبِي جَنْدَلٍ ، يَمْشِي إِلَى جَنْبِهِ ، وَيَقُولُ : أَصْبِرْ  
يَا أَبَا جَنْدَلٍ ، فَإِنَّمَا هُمُ الْمُشْرِكُونَ ، وَإِنَّمَا دَمُ أَحَدِهِمْ دَمُ كَلْبٍ ،  
وَيُدْنِي قَائِمَ السَّيْفِ مِنْهُ ، يَقُولُ عُمَرُ : رَجَوْتُ أَنْ يَأْخُذَ السَّيْفُ  
فَيَضْرِبَ بِهِ أَبَاهُ ، قَالَ : فَضَنَّ الرَّجُلُ بِأَبِيهِ . وَنَفَذَتِ الْقَضِيَّةُ .

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُهَيْلٍ بْنُ عَمْرِو مِمَّنْ شَهِدَ عَلَى

الصِّلْح ، وَكَانَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ .

وَتَوَسَّعَ انْتِشَارُ الْإِسْلَامِ ، وَفُتِحَتْ خَيْبَرُ ، وَأَنْتَهَتْ جِبْهَةُ  
الْيَهُودِ وَمَوَاطِرُهُمْ ، وَنَازَلَ الْمُسْلِمُونَ الرُّومَ فِي مُوتَةِ ، وَأَمِنُوا  
مَكْرَهُمْ .

وَنَقَضَتْ قُرَيْشٌ مَا عَاهَدَتْ عَلَيْهِ فِي الْحُدَيْبِيَّةِ ، وَدَعَمَتْ  
بَنِي بَكْرٍ ، وَشَجَّعَتْهَا عَلَى قِتَالِ خُزَاعَةَ حُلَفَاءِ رَسُولِ اللَّهِ  
ﷺ ، وَوَصَلَتْ وَفُودَهَا إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَوَعَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ  
خَيْرًا .

## ٢- في الإسلام

وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ فَاتِحاً، وَمَعَهُ جَيْشُهُ  
الَّلَّجْبُ الَّذِي يَزِيدُ عَلَى عَشْرَةِ آلَافٍ مُّقَاتِلٍ، وَكَانَ قَدْ سَبَقَهُ  
إِلَيْهَا أَبُو سُفْيَانَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ، وَصَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعْشَرَ  
قُرَيْشٍ، هَذَا مُحَمَّدٌ قَدْ جَاءَكُمْ فِيمَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، فَمَنْ  
دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ،  
وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ. كَمَا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَاءَهُ  
أَلَّا يُقَاتِلُوا إِلَّا مَنْ قَاتَلَهُمْ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ عَاهَدَ إِلَى نَفَرٍ سَمَاهُمْ،  
أَمَرَ بِقَتْلِهِمْ وَإِنْ وَجَدُوا تَحْتَ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ.

فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ، وَأَطْمَأَنَّ النَّاسُ، خَرَجَ  
حَتَّى جَاءَ الْبَيْتَ، فَطَافَ بِهِ سَبْعًا عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَلَمَّا قَضَى  
طَوَافَهُ، دَعَا عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ، فَأَخَذَ مِنْهُ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ،  
فَفُتِحَتْ لَهُ، فَدَخَلَهَا، وَحَطَّمَ الْأَصْنَامَ... ثُمَّ وَقَفَ عَلَى بَابِ  
الْكَعْبَةِ فَقَالَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، صَدَقَ وَعْدُهُ،  
وَنَصَرَ عَبْدُهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، أَلَا كُلُّ مَأْثَرَةٍ أَوْ دَمٍ أَوْ  
مَالٍ تُدْعَى؛ فَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، إِلَّا سَدَانَةَ الْكَعْبَةِ

وَسِقَايَةَ الْحَاجِّ .

يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمُ نَحْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ ،  
وَتَعْظُمُهَا بِالْآبَاءِ ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ ..

يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فَيْكُمْ ؟ .

وَهُنَا وَقَفَ خَطِيبُ قُرَيْشٍ سَهِيلُ بْنُ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،  
وَقَدْ تَمَثَّلَتْ لَهُ صُورَةُ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ ، مَعَ مَا فِي ذَهْنِهِ مِنْ  
أَعْمَالِ قُرَيْشٍ وَوُقُوفِهَا أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَتَعَنَّتْهَا ،  
وَكُفِّرَهَا ، وَقَتَالَهَا وَتَعَذِّبُهَا لِأُولَئِكَ النَّفَرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ  
الْأَوَائِلِ ، فَقَالَ - وَهُوَ الْوَاقِعُ بِرَسُولِ اللَّهِ - : خَيْرًا أَخُ كَرِيمٍ ،  
وَأَبْنُ أَخٍ كَرِيمٍ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنِّي أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ  
لِأَخَوْتِهِ : لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمْ ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ، ثُمَّ قَالَ : أَذْهَبُوا  
فَإَنْتُمْ الطَّلَقَاءُ .

وَفُتِحَتْ مَكَّةُ ، وَدَخَلَ أَهْلُهَا فِي الْإِسْلَامِ ، دَخَلُوا بِصُورٍ  
وَأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ ، مِنْهُمْ مَنْ بَدَأَ لَهُمُ الْحَقُّ وَاضِحًا جَلِيًّا  
فَأَسْلَمَ ، وَهُوَ الْغَالِبُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ رَأَى النَّاسَ قَدْ أَسْلَمُوا  
فَخَضَعَ ، وَمِنْهُمْ مَا كَانَ دُونَ ذَلِكَ لَمْ تَتَوَضَّحْ لَهُ الطَّرِيقُ بَعْدُ ؛

فَأَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ، وَأَصَرَ عَلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْوَيْتَةِ وَالشِّرْكِ،  
وَخَرَجَ مِنْ مَكَّةَ مُغَضِبًا، وَظَنَّ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ،  
فَإِذَا بِهِ يَأْتِي مُسْلِمًا مِنْ بَعْدِ مَا رَأَىٰ آيَاتِ اثْنَاءِ فِرَارِهِ فَعَادَ،  
وَقَدْ رَأَىٰ الْعَفْوَ وَالْإِكْرَامَ.

أَمَّا سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَدْ اخْتَفَىٰ بَعْدَ أَنْ حَضَرَ خُطْبَةَ  
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْعَامَّةَ فِي الْمَسْجِدِ، إِذْ خَافَ مِنْ نَفْسِهِ أَلَّا  
تَصْبِرَ، وَجَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: يَا  
رَسُولَ اللَّهِ، تُؤْمِنُهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ هُوَ آمِنٌ بِأَمَانِ  
اللَّهِ، فَلَيَظْهَرُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَنْ حَوْلَهُ: مَنْ رَأَىٰ سُهَيْلَ  
ابْنَ عَمْرٍو فَلَا يَشُدُّ إِلَيْهِ النَّظَرَ، فَلَعَمْرِي إِنَّ سُهَيْلًا لَهُ عَقْلٌ  
وَشَرَفٌ.

ثُمَّ إِنَّ الْحُجُبَ أزيلَتْ عَنْهُ تَمَامًا، الْحُجُبَ كُلَّهَا الَّتِي  
كَانَتْ تَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّورِ، وَفُتِحَتْ الْمَنَافِذُ كُلُّ الْمَنَافِذِ  
الَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ، وَدَخَلَ مِنْهَا النَّورُ بِصُورَةِ  
قُوَّةٍ فَجَلَا كُلَّ مَا كَانَ قَدْ رَانَ عَلَىٰ قَلْبِهِ، وَظَهَرَ كُلُّ شَيْءٍ عَلَىٰ  
حَقِيقَتِهِ، وَخَرَجَ سُهَيْلٌ مِنْ جِلْدِهِ جَدِيدًا، فَأَلْقَىٰ مَا كَانَ يَحْمِلُ  
عَلَىٰ دِمَنِ مَكَّةَ، وَنَفْسُهُ تَعَافَى، وَابْتَعَدَ عَنْهُ، وَسَارَ فِي رَكْبِ  
الْمُسْلِمِينَ.

وَأَنْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَحْوَ هَوَازَنَ وَثَقِيفَ اللَّتَيْنِ اجْتَمَعَ  
أَفْرَادُهَا لِعَزْوِ الْمُسْلِمِينَ، وَسَارَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُسْلِمُو  
مَكَّةَ الْجُدُدُ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا الثَّبَاتَ فِي حُنَيْنٍ لِمُفَاجَأَةِ  
الْعَدُوِّ لَهُمْ، وَلِكثْرَةِ عَدَدِهِ، وَلِعَجَبِهِمْ بِزِيَادَةِ عَدَدِهِمُ الَّتِي لَمْ  
تُغْنِ عَنْهُمْ شَيْئًا، وَصَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ، فَوَلَّوْا  
مُدْبِرِينَ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا أَنْ ثَابُوا إِلَى رُشْدِهِمْ، بَعْدَ أَنْ  
سَمِعُوا صَوْتَ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يُنَادِيهِمْ لِلِالْتِفَافِ  
حَوْلَ نَبِيِّهِمْ، فَارْجَعُوا، وَصَمَدُوا، وَأَنْتَصَرُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ،  
وَأَخَذُوا الْغَنَائِمَ الْكَثِيرَةَ الْكَثِيرَةَ، فَجُمِعَتْ فِي مِثْقَلَةِ  
الْجِعْرَانَةِ<sup>(١)</sup> وَلَمَّا أَنْتَهَى حِصَارُ الطَّائِفِ وَرَزَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
هَذِهِ الْغَنَائِمَ، فَأَعْطَى وَجْهَاءَ الْمُسْلِمِينَ الْجُدُدَ، وَالْمَوْلَفَةَ  
قُلُوبُهُمُ الْعَدَدَ الْوَفِيرَ، عَلَى حِينِ تَرَكَ الْأَنْصَارَ دُونَ عَطَاءٍ  
مُعْتَمِدًا عَلَى إِيْمَانِهِمْ، وَكَانَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ  
أُولَئِكَ الزَّعْمَاءِ الَّذِينَ أَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِائَةَ بَعِيرٍ .

وَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ، وَلَكِنَّ مُكَّتَهُ لَمْ يَطُلْ  
فِيهَا، إِذْ عَادَ إِلَى مَهْجَرِهِ بِالْمَدِينَةِ مَعَ أَصْحَابِهِ الْمُهَاجِرِينَ

---

(١) موضع بين مكة والطائف، وقيل موضع في أول أرض العراق من ناحية  
البادية .

وَالْأَنْصَارَ، وَبَقِيَ سَهْلٌ بِمَكَّةَ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَسَكَنَهَا،  
وَلَمْ تَمْضِ إِلَّا أَشْهُرٌ قَلِيلَةٌ، حَتَّى جَاءَ خَبْرُ انْتِقَالِ رَسُولِ اللَّهِ  
ﷺ إِلَى الرِّفِيقِ الْأَعْلَى، وَتَرَكَ مَسْئُولِيَّةَ الدَّعْوَةِ وَمِهْمَةَ  
الْجِهَادِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْفُسِهِمْ، يَتَصَرَّفُونَ كَمَا يَشَاءُونَ مُعْتَمِدِينَ  
عَلَى مَا تَرَكَ لَهُمْ: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ.

وَارْتَدَّتْ أَكْثَرُ الْعَرَبِ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِاسْتِثْنَاءِ  
مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالطَّائِفِ، بَعْضُهُمْ مَنِ امْتَنَعَ عَنْ دَفْعِ الزَّكَاةِ  
وَعَدَهَا ضَرْبَةً يُقَدِّمُهَا لِقُرَيْشٍ، وَبَعْضُهُمْ مَنِ عَدَّ الْإِسْلَامَ دِينَ  
قُرَيْشٍ، وَقَدْ خَضَعَ لَهُ بِالْقُوَّةِ أَيَّامَ مُحَمَّدٍ، وَقَدْ مَاتَ مُحَمَّدٌ،  
وَعَلَيْهِمْ الْآنَ أَنْ يَتَحَرَّرُوا مِنْ هَذَا الْخُضُوعِ، وَمِنْهُمْ مَنْ ثَارَتْ  
عِنْدَهُمُ الْعَصَبِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةُ، وَأَخَذَتْهُمْ الْحَمِيَّةُ، فَرَأَوْا أَنْ  
يَسْتَقِيلُوا بِقَبَائِلِهِمْ. وَقَدْ اسْتَهْوَتْهُمْ النَّبُوَّةُ، فَادَّعَاهَا عَدَدٌ مِنْ  
رُعَمَاءِ الْقَبَائِلِ.

وَفِي مَكَّةَ هَمَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِهَا بِالرُّجُوعِ عَنِ الْإِسْلَامِ،  
وَأَرَادُوا ذَلِكَ، حَتَّى خَافَهُمْ عَتَابُ بْنُ أُسَيْدٍ وَالْيَ رَسُولِ اللَّهِ  
ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ عَلَى مَكَّةَ، فَتَوَارَى، فَقَامَ سَهْلٌ بْنُ عَمْرِو  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَخَطَبَ النَّاسَ، فَقَالَ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى  
عَلَيْهِ وَذَكَرَ وَفَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَزِدِ الْإِسْلَامَ إِلَّا

قُوَّةً، فَمَنْ رَابَنَا ضَرَبْنَا عَنْقَهُ. فَتَرَجَعَ النَّاسُ، وَكَمَوْا عَمَّا هَمُّوا. وَلَعَلَّ هَذَا الْمَوْقِفَ الَّذِي أَرَادَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَمَا أَجَابَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَعَلَّهُ يَقُومُ مَقَامًا لَا تَذُمَّهُ». وَكَانَتْ خُطْبَتُهُ قَرِيبَةً مِنْ خُطْبَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ يَوْمَ ذَلِكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَنَظَرَ سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو إِلَى مَاضِيهِ وَمَا فِيهِ مِنْ مَوَاقِفَ ضِدِّ الْإِسْلَامِ، فَتَنِدَّمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ، وَأَخَذَهُ الْخَوْفُ الشَّدِيدُ مِنَ اللَّهِ، فَقَالَ: «وَاللَّهِ لَا أَدْعُ مَوْقِفًا وَقَفْتُهُ مَعَ الْمُشْرِكِينَ إِلَّا وَقَفْتُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَهُ، وَلَا نَفَقَةً أَنْفَقْتُهَا مَعَ الْمُشْرِكِينَ إِلَّا أَنْفَقْتُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِثْلَهَا، لَعَلَّ أَمْرِي أَنْ يَتَلَوَّ بِغَضِّهِ بَعْضًا».

وَوَقَّفَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ عَلَى بَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، يَأْذَنُ لَهُمْ عَلَى قَدَرِ مَنَازِلِهِمْ، وَمَعَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الطَّلَاقِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ بَيْنَهُمْ سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو، فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، كَانَهُمْ شَعَرُوا أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَرَعْ لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَلَمْ يَحْفَظْ لَهُمْ مَرْكَزَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ سَهِيلٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَاغْضَبُوا، دُعِيَ الْقَوْمُ وَدُعِيَتْ، فَاسْرَعُوا وَأَبْطَأَتْ، فَكَيْفَ بِكُمْ إِذَا دُعِيْتُمْ إِلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ. وَهَكَذَا فَقَدْ كَانَ يَرَى أَفْضَلِيَّةَ



السَّابِقِينَ فِي الْإِسْلَامِ مَهْمَا كَانَ وَضَعُهُمُ الْاجْتِمَاعِيُّ قَبْلَ  
وَصْهِبَ وَعَمَّارٌ أَفْضَلُ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ وَعِكْرِمَةَ وَصَفْوَانَ  
وَسُهَيْلَ . بْنُ عَمْرِو، مَعَ أَنَّهُ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَرَى هَوْلًا أَذْنَى  
مِنْ أَنْ يَجْلِسَ مَعَهُمْ . . . لَقَدْ خَلَعَ مِنْ نَفْسِهِ يَوْمَ أَسْلَمَ كُلَّ مَا عَلِقَ  
فِيهَا مِنْ آثَارِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَلْقَاهَا بَعِيدًا عَنْ فِكْرِهِ، وَعَنْ ذَاتِهِ،  
وَعَنْ كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ فِيهِ .

وَوَقَّفَ مَرَّةً يَتَأَمَّلُ بِهَذَا يُكْفِرُ عَنْ جَاهِلِيَّتِهِ وَمَوَاقِفِهِ الَّتِي  
سَبَقَ أَنْ وَقَفَهَا، وَتَدَاعَى إِلَى ذِهْنِهِ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ  
فَتْحِ مَكَّةَ « لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ » . وَلَقَدْ  
غَدَتِ مَكَّةُ دَارًا لِلْإِسْلَامِ ، فَلِمَاذَا الْهِجْرَةُ ؟ إِذَنْ الْجِهَادُ وَحْدَهُ  
وَسِيلَةُ التَّكْفِيرِ عَنِ السَّابِقَةِ، وَتَذَكَّرَ « مُقَامُ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ سَاعَةٌ مِنْ عُمْرِهِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ عَمْرَهُ فِي أَهْلِهِ » ، فَقَالَ سُهَيْلٌ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « فَإِنِّي أُرَابِطُ حَتَّى أَمُوتَ وَلَا أَرْجِعُ إِلَى مَكَّةَ »  
وَبِالْفِعْلِ فَقَدْ سَارَ إِلَى الْجِهَادِ ، وَلَمْ يَزَلْ مُقِيمًا بِالشَّامِ حَتَّى  
تُوفِّيَ عَلَى أَغْلَبِ الظَّنِّ فِي طَاعُونَ عَمَوَاسَ سَنَةِ ثِنَايَ عَشْرَةٍ مِنْ  
الْهِجْرَةِ .

وَأَنْطَلَقَتْ كِتَابُ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ جِهَاتِ الْأَرْضِ ،  
فَأَنْخَرَطَ فِي صُفُوفِهَا بَيْنَ الرِّجَالِ بِشَكْلِ هَادِيٍّ ، وَكَأَنَّهُ لَا

يُرِيدُ أَنْ يُعْرِفَ، لَا يُرِيدُ أَنْ يُعْرِفَ حَجَلًا بِهَاضِيهِ، لَا يُرِيدُ أَنْ يُعْرِفَ؛ حَتَّى يَبْلُغَ فِي الْقِتَالِ دُونَ ذِكْرٍ، لَا يُرِيدُ أَنْ يُعْرِفَ؛ حَتَّى لَا يَرَاهُ الشَّبَابُ، وَهُوَ الشَّيْخُ، فَيَقْدِمُونَهُ، لَا يُرِيدُ أَنْ يُعْرِفَ، وَهُوَ رَجُلُ الْقِيَادَةِ، وَصَاحِبُ الزَّعَامَةِ، وَأَهْلُ الْوَجَاهَةِ.

كَانَ الْجَيْشُ إِلَى الشَّامِ يَسْتَعِدُّ، وَقَدْ سَبَقَهُ سُهَيْلٌ فِي الْأَسْتِعْدَادِ، وَوَقَفَ يَنْتَظِرُ، وَلَكِنَّ نَفْسَهُ قَدْ سَبَقَتْهُ إِلَى الْمَعْرَكَةِ، وَمَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ يَرَاهُ يَتَحَفَّزُ، وَيَتَحَرَّكُ بِجِسْمِهِ كُلِّهِ، وَكَأَنَّهُ فِي أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ، يُرِيدُ أَنْ يَطِيرَ إِلَى الْعَدُوِّ يُصَاوِلُهُ قَبْلَ أَنْ يَتَحَرَّكَ إِلَى الْجَيْشِ، يَرْغَبُ فِي الْحُصُولِ عَلَى الشَّهَادَةِ أَوْ الشَّهَادَةِ تَرْغَبُ فِي اسْتِقْبَالِهِ.

يَتَقَدَّمُ الْجَيْشُ بِخُطَى وَثِيْدَةٍ، وَيُرِيدُ هُوَ أَنْ يَخْطُوَ خَطَوَاتٍ سَرِيعَةً، وَلَكِنَّ يُوَقِّفُهُ الْإِيمَانُ بِالْإِلْتِزَامِ، وَيَحْدُّ مِنْ سَيْرِهِ النَّظَامَ فَتَهْدَأُ نَفْسُهُ، وَيَعُودُ إِلَى دُنْيَا حَقِيقَتِهِ جَنْدِيًّا مُطِيعًا.

وَيَلْتَقِي الْجَيْشَانِ، جَيْشُ الْكُفْرِ يَحْمِلُ وَجُوهًا صُفْرًا رَأَتْ أَلْمُوتَ، وَقَدْ سَيَقَتْ إِلَيْهِ قَسْرًا، وَحُمِلَتْ إِلَى الْحَرْبِ قَهْرًا، وَجَيْشُ الْإِيمَانِ يَحْمِلُ وَجُوهًا مُتَوَرِّدَةً يُرِيدُ أَنْ تَسْتَقْبَلَ

الْمَوْتَ؛ لِتُظْفَرَ بِالشَّهَادَةِ، وَقَدْ أُنْدَفَعَتْ إِلَيْهِ أُنْدِفَاعًا، أَوْ  
لِتَحْصَلَ عَلَى النَّصْرِ، وَقَدْ جَاءَتْ تَسْعَى إِلَيْهِ لِتَرْفَعَ رَايَةَ  
الْإِسْلَامِ، وَيُرِيدُ سَهِيلٌ أَنْ يُسَارِعَ الْعَدُوَّ، وَيَبْدَأَ بِالطَّعَانِ،  
وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ اتِّبَاعِ طَرِيقَةِ الْإِسْلَامِ فِي الْحُرُوبِ، فَلَا قِتَالَ  
حَتَّى تُعَرِّضَ عَلَى الْأَعْدَاءِ عُرُوضُ الْمُسْلِمِينَ وَهِيَ الْإِسْلَامُ  
وَعِنْدَئِذٍ يُصْبِحُ الْجَمِيعُ إِخْوَةً فِي اللَّهِ، وَيَرْجِعُ الْمُسْلِمُونَ  
عَنْهُمْ، وَيَدْعَمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَإِنَّمَا أَنْ يَقْبَلُوا بِدَفْعِ الْجَزْيَةِ،  
وَعِنْدَهَا يَكُونُ مِنْ وَاجِبِ الْمُسْلِمِينَ حِمَايَةُ الذَّمِيِّينَ، هَؤُلَاءِ  
الَّذِينَ أَصْبَحُوا فِي ذِمَّةٍ - عَهْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنَّمَا السَّيْفُ حَتَّى  
يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ. وَمَا يَخْتَارُ الْعَدُوُّ الْأَمْرَ الْأَخِيرَ إِلَّا  
وَيَقَعُ فِي نَفْسِ سَهِيلٍ الْمَوْقِعَ الْحَسَنَ، يُرِيدُ أَنْ يَبْدَأَ الْقِتَالَ،  
وَلَكِنْ لَيْسَ هُوَ الْقَائِدُ، وَالْقِتَالُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِرَأْيِ الْقَائِدِ  
وَأَوَامِرِهِ، فَإِذَا مَا بَدَأَ الْأَشْتَبَاكُ لَمْ تَعُدْ تَسْتَطِيعُ رُؤْيَةَ سَهِيلٍ،  
فَهُوَ يَنْتَقِلُ بَيْنَ الصُّفُوفِ، وَيُجَالِدُ الْأَبْطَالَ، وَيَتَقَدَّمُ إِلَى  
الْكَتَائِبِ فَتَبْتَغِدُ مِنْ أَمَامِهِ الرِّجَالُ وَتَخَافُهُ، وَهِيَ الَّتِي لَمْ  
تَعْرِفِ الْخَوْفَ، وَيَتَقَدَّمُ بَيْنَ الْأَعْدَاءِ، وَيَخُوضُ بَيْنَ  
صُفُوفِهِمْ، لَا يَرُدُّهُ إِلَّا أَمْرٌ مِنْ قَائِدٍ أَوْ طَلَبٌ مِنْ أَمِيرٍ أَوْ إِعْلَانُ  
الْإِسْتِسْلَامِ وَإِنْهَاؤُ الْقِتَالِ.

وَحَاضَ سُهَيْلٌ مَعَارِكَ كَثِيرَةً يَنْتَقِلُ مِنْ وَاحِدَةٍ إِلَى أُخْرَى .  
 وَفِي كُلِّ مِنْهَا يَبْلُو أَلْبَاءَ الْحَسَنِ ، وَيَزِيدُ عَمَّا ضَحَى فِي  
 سَابِقَتِهَا . وَيَتَمَنَّى أَنْ يُحْصَلَ فِي الْآخِرَى مَا لَمْ يَنَلْهُ فِي السَّابِقَةِ  
 شَهَادَةً تُكَفِّرُ لَهُ مَا قَدْ سَبَقَ أَنْ فَعَلَ فِي جَاهِلِيَّتِهِ ، فَأَمَلُهُ كَبِيرٌ ،  
 وَرَجَاؤُهُ وَاسِعٌ . وَلَكِنَّ خَوْفَهُ عَظِيمٌ أَلَّا يَغْفَرَ ذَلِكَ لَهُ مَا قَدْ  
 سَلَفَ ، وَإِنْ كَانَ يَضَعُ نَصَبَ عَيْنِهِ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
 « الْإِسْلَامُ يَجِبُ مَا قَبْلَهُ » .

وَشَهِدَ الْيَرْمُوكَ ، وَكَانَ عَلَى رَأْسِ أَحَدِ الْكَرَادِيسِ ، وَقَدْ  
 أَبْلَى أَلْبَاءَ الْحَسَنِ ، وَكَانَ مِنَ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا فِي صُفُوفِ  
 الْأَعْدَاءِ ، يَطْلُبُونَ الشَّهَادَةَ ، حَتَّى وَرَدَتْ رَوَايَةُ أَنَّهُ اسْتَشْهَدَ  
 يَوْمَذَلِكَ لِكَثْرَةِ مَا نَالَهُ مِنْ جُرُوحٍ ، وَمَا عَرَّضَ نَفْسَهُ إِلَيْهِ ، كَمَا  
 كَانَ فِي الْمَعَارِكِ الَّتِي دَارَتْ بَعْدَهَا ، إِلَى أَنْ كَانَتْ سَنَةٌ ثَمَانِي  
 عَشْرَةَ حَيْثُ انْتَشَرَ طَاعُونٌ عُرِفَ بِاسْمِ طَاعُونِ عَمَّوَسَ نِسْبَةً  
 إِلَى الْبَلَدَةِ الَّتِي ظَهَرَ فِيهَا أَوَّلَ مَا ظَهَرَ ، وَهِيَ غَرْبَ بَيْتِ  
 الْمَقْدِسِ بِقَلِيلٍ ، فَمَاتَ فِيهِ ، كَمَا مَاتَ ابْنُهُ أَبُو جَنْدَلٍ ، أَمَّا  
 ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ فَقَدْ سَبَقَهَا فِي الشَّهَادَةِ ، إِذْ ظَفَرَ بِهَا فِي حُرُوبِ  
 الْمُرْتَدِّينَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ ، وَكَانَ سَبْقُهُ فِي الشَّهَادَةِ كَسَبْقِهِ لَهَا فِي  
 الْإِسْلَامِ .

هَذِهِ سَاحَاتُ جِهَادِ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو فِي الْمَعَارِكِ ، أَمَّا فِي  
جَانِبِ الْعِلْمِ ؛ فَقَدْ حَرَصَ أَنْ يَتَفَقَّهَ ، وَحَرَصَ عَلَى الصِّيَامِ  
وَالْقِيَامِ ، إِذْ بَقِيَ حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَثَلًا أَمَامَهُ  
« خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا » . فَقَدْ  
صَامَ وَقَامَ حَتَّى شَحَبَ لَوْنُهُ ، وَيَقُولُ أَبُو كَثِيرٍ « كَانَ سَمَحًا  
جَوَادًا فَصِيحًا كَثِيرَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالصَّدَقَةِ وَقِرَاءَةِ  
الْقُرْآنِ وَالْبُكَاءِ » . رَضِيَ اللَّهُ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو ؛ فَقَدْ مَاتَ  
وَهُوَ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ .



بُيُوتَةُ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ

-٧-

سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ





# بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ سَارَ عَلَى دَرْبِهِ وَبَعْدُ: فَلَيْسَتْ السَّعَادَةُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَنْ يَجْمَعَ الْإِنْسَانُ الْمَالَ، وَيَمْلِكَ الْمَتَاعَ، وَيَتَحَرَّكَ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ فَقَطْ، إِنَّمَا السَّعَادَةُ فِي رَاحَةِ النَّفْسِ وَهُدُوءِ الْبَالِ وَلَا يَتِمُّ هَذَا إِلَّا بِإِرضَاءِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

لَيْسَ مِنَ الْمَالَ وَالْمَتَاعِ وَالشَّهْوَةِ إِلَّا مَتَاعٌ لِلْجَسَدِ، وَهُوَ شَيْءٌ زَائِلٌ فَإِنْ، وَلَيْسَ الْإِنْسَانُ مَادَّةً فَحَسَبُ وَإِنَّمَا رُوحٌ إِلَى جَانِبِ تِلْكَ الْمَادَّةِ، وَإِذَا كَانَتْ الْمَادَّةُ فِيهِ تَجَدُّ لَذَّتْهَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا مِنْ مُغْرِبَاتٍ، فَإِنَّ الرُّوحَ لَا تَجْدُ رَاحَتَهَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا إِذَا اسْتَطَاعَ صَاحِبُهَا تَحْقِيقَ الْمُنْهَجِ الَّذِي يَدْعُو لَهُ، وَهَذَا التَّحْقِيقُ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْعَمَلِ الدَّائِبِ وَالْحَرَكَةِ الْمُسْتَمِرَّةِ.

إِنَّ السَّعَادَةَ الصَّحِيحَةَ هِيَ الَّتِي تُؤْمَنُ حَاجَاتِ الْجِسْمِ كَامِلَةً بِمَا فِيهِ مِنْ رُوحٍ وَمَادَّةٍ، وَحَرَكَةُ الْإِنْسَانِ يَجِبُ أَنْ تَسِيرَ فِي هَذَا الْإِتِّجَاهِ، تُؤْمَنُ حَاجَاتِ الْإِنْسَانِ الْمَادِّيَّةِ، وَتَسْعَى

لِتَحْقِيقِ الْمَبْدَأِ الَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ وَالْعَقِيدَةِ الَّتِي يَعْتَقِدُهَا، وَلَمْ تَكُنْ حَرَكَةُ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا فِي هَذَا الْخَطِّ.

صَحَابَةُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ أُسْوَةٌ لَنَا، فَحَرَكَتُنَا يَجِبُ أَنْ تَوَازِي حَرَكَتَهُمْ، وَتَسِيرَ مَعَهَا، حَتَّى نَسْتَطِيعَ أَنْ نَصِلَ إِلَى مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ مِنْ مَجْدٍ وَرَفْعَةٍ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَفَوْزٍ فِي الْآخِرَةِ، وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ.

وَدِرَاسَةُ حَيَاتِهِمْ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ إِنَّهَا هِيَ لِنَأْخُذَ مِنْهَا الدَّرُوسَ، وَنَسْلُكَ الطَّرِيقَ الَّذِي اتَّبَعُوهُ، وَلَعَلَّ فِي دِرَاسَةِ سَيِّدِ الْأَنْصَارِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا يُؤْمِنُ هَذَا الْجَانِبَ، فَتَرْجُو أَنْ يُوفِّقَنَا اللَّهُ فِي إعْطَاءِ صُورَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ وَاقِعِ حَيَاةِ الرَّجُلِ الْفَذِّ.

هذا .. وَلَيْسَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْعُظَمَاءِ الْمَجْهُولِينَ وَلَكِنَّ حَيَاتَهُ فِي الْإِسْلَامِ كَانَتْ قَصِيرَةً بِحَيْثُ لَمْ تَزِدْ عَلَى السَّنَوَاتِ السَّتِّ، لِذَا فَإِنَّ ذِكْرَهُ كَانَ قَلِيلًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الصَّحَابَةِ الَّذِينَ عَمَّرُوا فِي الْإِسْلَامِ، فَخَاضُوا الْمَعَارِكَ، وَقَادُوا الْفُتُوحَ، وَلَوْ عَاشَ طَوِيلًا فَلَرَبَّمَا كَانَ لَهُ أَنْزَلُ أَكْبَرُ، إِذْ يُعَدُّ بَيْنَ الْأَنْصَارِ كَأَبِي بَكْرٍ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ.

وَاللَّهُ وَحْدَهُ نَسْأَلُ أَنْ يُلْهِمَنَا الصَّوَابَ، وَيُجَنِّبَنَا الْعَثَرَاتِ، وَيُسَدِّدَ خَطَانَا عَلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ.

## هَجْرَةُ الْقَبَائِلِ الْيَمَنِيَّةِ

كَانَتْ الْأَحْوَالُ الْمُنَاحِيَّةُ فِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ غَيْرَ الَّتِي هِيَ عَلَيْهِ الْآنَ، فَقَدْ كَانَتْ الْأَمْطَارُ أَكْثَرَ غَزَارَةً، وَالْجَوُّ أَكْثَرَ رُطُوبَةً، فَاشْتَغَلَ أَبْنَاءُ الْمَنَاطِقِ الْمُمْطَرَةِ كَالْيَمَنِ بِالزَّرَاعَةِ، وَأَنْطَلَقُوا يَبْنُونَ السُّدُودَ فِي سَبِيلِ حِفْظِ مَاءِ الْمَطَرِ أَثْنَاءَ التَّهْطُلِ إِلَى أَوْقَاتِ الشَّحِّ وَالْجَفَافِ وَالْإِسْتِفَادَةِ مِنْهُ فِي الرِّيِّ وَسَقِي الْمَرْزُوعَاتِ، وَلَعَلَّ أَكْبَرَ هَذِهِ السُّدُودِ وَأَشْهَرَهَا السَّدُّ الَّذِي بُنِيَ عَلَى وَادِي (مزاب) الْيَمَنِ الشَّرْقِيِّ الَّذِي يَصُبُّ فِيهِ عَدَدٌ مِنَ الْأَوْدِيَةِ، وَيَسْقِي أَرْضَ الْجَنَّتَيْنِ وَالَّذِي يُعْرَفُ بِأَسْمِ سَدِّ (مَارِبِ) وَقَدْ وَصَفَهُ يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ بِقَوْلِهِ «هُوَ بَيْنَ ثَلَاثَةِ جِبَالٍ، يَصُبُّ مَاءُ السَّيْلِ إِلَى مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، وَلَيْسَ لِدَٰلِكَ الْمَاءِ مَخْرَجٌ إِلَّا مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ، فَكَانَ الْأَوَائِلُ قَدْ سَدُّوا ذَٰلِكَ الْمَوْضِعَ بِالْحِجَارَةِ الصُّلْبَةِ وَالرَّصَاصِ، فَيَجْتَمِعُ فِيهِ مَاءٌ عَيُونُ هُنَاكَ مَعَ مَا يَجْتَمِعُ مِنْ مِيَاهِ السُّيُولِ، فَيَصِيرُ خَلْفَ السَّدِّ كَالْبَحْرِ، فَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا سَقِي زُرُوعِهِمْ فَتَحُوا مِنْ ذَٰلِكَ السَّدِّ بِقَدْرِ حَاجَتِهِمْ بِأَبْوَابِ مُحْكَمَةٍ وَحَرَكَاتٍ مُهَنْدَسَةٍ، فَيَسْقُونَ حَسَبَ حَاجَتِهِمْ، ثُمَّ يَسُدُّونَهُ إِذَا أَرَادُوا».

وَمَعَ الزَّمَنِ بَدَأَ الْمُنَاخُ يَمِيلُ بِالتَّدْرُجِ نَحْوَ الْجَفَافِ،  
وَبَدَأَتْ الْحَاجَةُ إِلَى الْمِيَاهِ تَزْدَادُ، وَلَكِنَّ هَذِهِ السُّدُودَ بَدَأَتْ  
تَتَدَاعَى لِإِهْمَالِهَا وَعَدَمِ تَقْدِيرِ أَهْلِهَا لِلنِّعَمِ الَّتِي هُمْ فِيهَا،  
وَعَدَا سَدُّ (مَأْرَبِ) الَّذِي يَحْفَظُ خَلْفَهُ كَمِّيَّاتٌ كَبِيرَةٌ يُنْذِرُ  
بِالْخَطَرِ، فَبَدَأَتْ الْقَبَائِلُ تَتْرُكُ مَوَاطِنَهَا لِتَسْتَقَرَّ فِي مَنَاطِقَ  
أُخْرَى، خَوْفًا مِنْ طُوفَانٍ مُرْتَقِبٍ، وَطُغْيَانٍ لِلْمَاءِ مُنْتَظَرٍ،  
وَعِنْدَمَا تَهْدَمُ السُّدُ انْطَلَقَتْ بَقِيَّةُ الْقَبَائِلِ تَنْقُلُ فِي بِلَادِ  
الْيَمَنِ، وَتُرْسِلُ الرُّوَادَ لِاخْتِيَارِ مَنَازِلَ جَدِيدَةٍ لَهَا، ثُمَّ سَارُوا  
بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الشَّمَالِ. (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ  
عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ، كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ  
طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ،  
وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ  
سِدْرٍ قَلِيلٍ) (١).

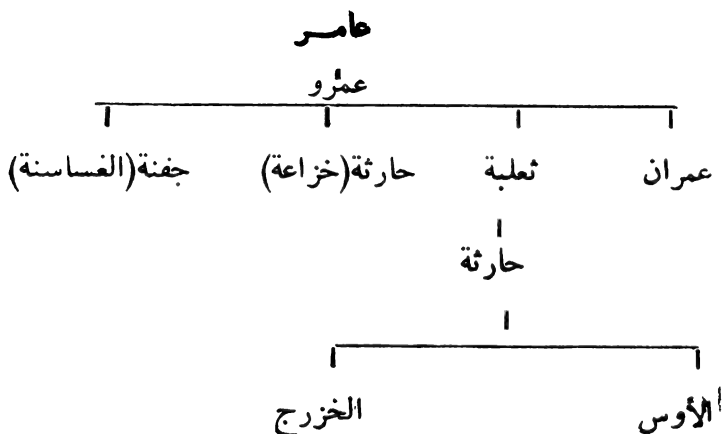
كَانَتْ الْهَجْرَةُ بِرَأْيِ سَيِّدِ وَلَدِ الْأَزْدِ مِنْ كَهْلَانٍ وَهُوَ  
عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ، فَخَرَجَ هُوَ وَإِخْوَتُهُ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنْ عَشَائِرِهِمْ  
مِنْ وَلَدِ الْأَزْدِ، ثُمَّ تَوَزَّعُوا فِي الْجَزِيرَةِ، فَعَطَفَ ثَعْلَبَةُ بْنُ  
عَمْرٍو نَحْوَ الْحِجَازِ، وَأَقَامَ بَيْنَ الثَّعْلَبِيَّةِ وَذِي قَارٍ، يَتَّبِعُ هُوَ  
وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ مَوَاقِعَ الْقَطْرِ، وَلَمَّا كَبُرَ وَلَدُهُ،  
وَقَوِيَ رُكْنُهُ، سَارَ نَحْوَ يَثْرِبَ، وَبِهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْيَهُودِ

(١) سُبَا الْآيَاتِن: ١٥ - ١٦.

مُتَفَرِّقُونَ فِي نَوَاحِيهَا ، فَاسْتَوطَنُوهَا ، وَأَقَامُوا بِهَا ، وَعَلَبُوا  
أَهْلَهَا ، وَمِنْ أبنَاءِ ثَعْلَبَةَ هَذَا حَارِثَةُ أَبُو الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ .

نَزَلَتْ خُزَاعَةُ قُرْبَ مَكَّةَ ، وَخُزَاعَةُ هُوَ حَارِثَةُ بْنُ عَمْرِو .  
وَاتَّجَهَتْ قَبَائِلُ الْأَزْدِ نَحْوَ عُمَانَ ، وَأَقَامَتْ بِهَا ، وَرَئِيسُهَا  
عِمْرَانُ بْنُ عَمْرِو ، وَسَارَ جَفْنَةُ بْنُ عَمْرِو إِلَى الشَّامِ ، وَهُوَ أَبُو  
الْغَسَّاسِنَةِ .

وَسَارَتْ قَبِيلَةُ لَحْمِ بْنِ عَدِيِّ إِلَى أَطْرَافِ الْعِرَاقِ ،  
وَأَسْتَقَرَّتْ قُرْبَ الْحِيرَةِ . وَنَزَلَتْ بَعْضُ أَزْدِ سَرَاةِ الْعَسِيرِ . أَمَّا  
طِيٌّ فَقَدْ نَزَلَتْ شِمَالَ شَرْقِيِّ يَثْرِبَ .



## الْيَهُودُ فِي يَثْرِبَ

سَكَنَ الْيَهُودُ يَثْرِبَ مِنْذُ وَقْتِ طَوِيلٍ ، وَقَدْ وَصَلُوا إِلَيْهَا فِي عِدَّةِ أَوْقَاتٍ مُتْبَاعِدَةٍ يَرْجِعُ أَوَّلُهَا إِلَى حَوَالِي ١٢٠٠ ق . م أَيَّامَ سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ مُوسَى أَثْنَاءَ عَوْدَتِهِ مِنْ مِصْرَ بَنَى إِسْرَائِيلَ إِلَى الشَّامِ بَلَّغَهُ أَنَّ قَوْمًا جَبَّارِينَ مِنَ الْعَمَالِقَةِ فِي مَنَاطِقِ يَثْرِبَ قَدْ بَعَوْا فِي الْأَرْضِ ، وَسَامُوا النَّاسَ سُوءَ الْعَذَابِ ، فَجَرَّدَ عَلَيْهِمْ حَمَلَةً عَسْكَرِيَّةً مِنْ قَوْمِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَمَرَ قَائِدَ هَذِهِ الْحَمَلَةِ أَنْ يَسْتَصِلَ شَاقَّةَ هَؤُلَاءِ الْعَمَالِقَةِ ، وَلَا يَبْقِيَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ ، وَقَدْ وَصَلَتْ هَذِهِ الْحَمَلَةُ إِلَى يَثْرِبَ ، وَأَبَادَتْ الْعَمَالِقَةَ إِلَّا وَاحِدًا مِنْهُمْ عَادَتْ بِهِ مَعَهَا ، وَعِنْدَ وُصُولِهَا إِلَى بِلَادِ الشَّامِ وَجَدَتْ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ تَوَقَّى ، وَقَدْ مَنَعَ زُعَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ مُوسَى جُنُودَ هَذِهِ الْحَمَلَةِ مِنَ الْبَقَاءِ بَيْنَهُمْ لِمُخَالَفَتِهِمْ أَوْامِرَ مُوسَى بِإِبْقَاءِ أَحَدِ الْعَمَالِقَةِ ، وَقَالُوا لَهُمْ وَاللَّهِ لَا تَدْخُلَنَّ عَلَيْنَا الشَّامَ أَبَدًا .

تَشَاوَرَ قَادَةُ الْجَيْشِ فِيمَا بَيْنَهُمْ عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي يُقِيمُونَ فِيهِ ، وَأَخِيرًا اسْتَقَرَّ رَأْيُهُمْ أَنْ يَعُودُوا بِكَامِلِ جَيْشِهِمْ

إِلَى يَثْرِبَ، فَرَجَعُوا، وَاسْتَقَرُّوا هُنَاكَ .

أَمَّا الْوَقْتُ الثَّانِي الَّذِي نَزَحَ فِيهِ الْيَهُودُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَيَعُودُ إِلَى الْمُدَّةِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ عَامِ ٧٠ وَ ١٣٢ م حَيْثُ اسْتَوْلَى الرُّومُ عَلَى بِلَادِ الشَّامِ عَامَ ٦٤ ق . م . وَفَتَكُوا بِالْيَهُودِ، وَنَكَلُوا بِهِمْ، فَأَضْطَرَّ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ إِلَى الْفِرَارِ بِأَنْفُسِهِمْ، وَالتَّفَرُّقِ فِي أَنْحَاءِ أَمْنَةٍ بَعِيدَةٍ عَنِ مَجَالِ الرُّومِ ، وَكَانَ بَنُو النَّضِيرِ وَبَنُو قُرَيْظَةَ مِمَّنْ خَرَجَ وَاتَّجَهَ نَحْوَ يَثْرِبَ آنَذَاكَ .

أَصْبَحَتْ يَثْرِبُ تَحْتَ زَعَامَةِ الْيَهُودِ مُدَّةً طَوِيلَةً مِنَ الزَّمَنِ ، وَكَانَ يَعِيشُ بِجَانِبِهِمْ قَبَائِلُ عَرَبِيَّةٍ مِثْلُ بَنِي الْحِرْمَانِ وَبَنِي مَرْثَدٍ وَبَنِي بُكَيٍّ وَغَيْرِهَا ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ لِهَذِهِ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ كَبِيرُ وُجُودٍ، فَلَمْ تَسْتَطِعْ مَنَعَ الْيَهُودِ مِنَ التَّحَكُّمِ فِي الْمَدِينَةِ أَوْ مَنَعَ دُخُولِ نَزَلَاءٍ جَدُدٍ إِلَيْهَا . بَقِيَ الْيَهُودُ فِي سَيْطَرَتِهِمْ هَذِهِ حَتَّى أَخَذَتْهَا مِنْهُمْ قَبَائِلُ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ .

## الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ

نَزَلَ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ ابْنَا حَارِثَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ يَثْرِبَ، وَلَكِنَّهُمْ ظَلُّوا ضُعَفَاءَ أَمَامَ سَيْطَرَةِ الْيَهُودِ وَتَمَاسُكِهِمْ، فَعَاشُوا فِي ضِيقٍ مِنَ الْعَيْشِ، بَيْنَمَا كَانَ الْيَهُودُ يَتَمَتَّعُونَ بِسُلْطَانِ الْمُلْكِ، وَالثَّرْوَةِ كُلِّهَا بِأَيْدِيهِمْ.

فَكَرَّرَ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ فِي الْإِسْتِعَانَةِ بِإِخْوَانِهِمُ الْغَسَّاسِينَ مِنْ مُلُوكِ الشَّامِ، فَأَرْسَلُوا أَحَدَ زُعَمَائِهِمْ وَهُوَ مَالِكُ بْنُ الْعَجْلَانِ لِيَطْلُبَ الْعَوْنَ الْعَسْكَرِيَّ مِنْهُمْ ضِدَّ الْيَهُودِ، فَحَصَلَ عَلَى مَا يُرِيدُ، وَسَارَ الْمَلِكُ الْغَسَّاسِيُّ بِجَيْشِهِ لِنَجْدَةِ أَبْنَاءِ عُمُومَتِهِ فِي يَثْرِبَ، وَهُنَاكَ أَوْقَعَ بِالْيَهُودِ وَأَذَلَّهُمْ، وَصَارَ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ أُنْدَادًا لِلْيَهُودِ يُصَاوِلُونَهُمْ وَيُجَاوِلُونَهُمْ بَعْدَ أَنْ كَانُوا لَا يَجْرُونَ عَلَى التَّعَرُّضِ لَهُمْ، وَمَعَ هَذَا بَقِيَ الْيَهُودُ عَلَى جَانِبِ كَبِيرٍ مِنَ الْقُوَّةِ وَالتَّمَاسُكِ، وَلِهَذَا دَامَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ زَمَنًا غَيْرَ قَصِيرٍ.

دَبَّرَ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ مَكِيدَةً لِلْيَهُودِ، أَفْنَوْا فِيهَا عَدَدًا كَبِيرًا مِنْهُمْ مِمَّا أَضْعَفَهُمْ وَأَذَلَّهُمْ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا بَعْدَهَا الْوُقُوفَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ فِي يَثْرِبَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ قَبِلُوا الْإِنْدِمَاجَ



مَعَهُم بِالْتَحَالِفِ، فَتَحَالَفَ بَنُو قُرَيْظَةَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مَعَ الْأَوْسِ .  
وَتَحَالَفَ بَنُو قَيْنُقَاعَ وَبَنُو النَّضِيرِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مَعَ الْخَزْرَجِ .  
وَهَذَا مَا ضَمِنَ لَهُمُ الْبَقَاءَ فِي يَثْرِبَ .

مَعَ هَذَا الدَّلِيلِ الَّذِي أَصَابَ الْيَهُودَ فَإِنَّهُمْ ظَلُّوا ذَوِي مَرْكَزٍ  
مَالِيٍّ كَبِيرٍ وَنُفُوذٍ اقْتِصَادِيٍّ ضَخْمٍ حَيْثُ يَعْمَلُونَ بِالرِّبَا  
وَالْمُتَاجَرَةِ بِالْخَمْرِ وَالسِّلَاحِ وَإِذْكَاءِ نَارِ الْفِتْنَةِ بَيْنَ الْأَوْسِ  
وَالْخَزْرَجِ لِإِنْهَاكِ الْقَبِيلَتَيْنِ وَاسْتِعَادَةِ سَيِّطَرَتِهِمْ .

وَمَا أَنْتَهَتْ قُوَّةُ الْيَهُودِ وَظَهَرَ سُلْطَانُ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ ،  
حَتَّى نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْقَبِيلَتَيْنِ ، وَبَدَأَ قَرْنُ الْعَصَبِيَّةِ ،  
وَأَبْتَدَأَتْ الْحُرُوبُ بَيْنَهُمَا ، وَتَمَكَّنَتْ الْعَدَاوَةُ ، وَتَأَصَّلَتْ  
الْكِرَاهَةُ .

وَهَكَذَا كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ تَحْكُمُ يَثْرِبَ ، تُحَرِّكُهَا الْعَصَبِيَّةُ ،  
وَتَدْفَعُهَا الْيَهُودِيَّةُ الَّتِي لَا تَعِيشُ إِلَّا عَلَى الْحُرُوبِ وَسَفْكِ  
الدِّمَاءِ وَإِثَارَةِ الْبَغْضَاءِ ، وَتَشْجِيعِ أَقْوَامٍ عَلَى آخَرِينَ ، وَلَا  
يَعْرِفُ الْيَهُودُ السَّعَادَةَ إِلَّا عِنْدَمَا يَرَوْنَ دِمَاءَ غَيْرِهِمْ تُرَاقُ ،  
وَتَبْتِمُّ السَّعَادَةُ أَكْثَرَ إِنْ كَانُوا هُمْ سَبَبَ الْفِتْنَةِ وَإِذْكَاءِ نَارِ  
الْحَرْبِ .

وَكَانَتْ عِبَادَةُ الْأَوْتَانِ هِيَ الْمَعْرُوفَةُ بَيْنَ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ ،  
وَكَانَتْ (مَنَاة) صَنَمًا تُعَظَّمُهُ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ ، وَكَانَ مَنْصُوبًا

عَلَى الْبَحْرِ بِنَاحِيَةِ الْمَشَلِّ (١) بِقُدَيْدٍ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَتُدْبَحُ  
عِنْدَهُ الْقَرَابِينُ إِضَافَةً إِلَى تَعْظِيمِ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ الْأُخْرَى لَهُ.

وَتَعَدَّدَتْ الْأَيَّامُ وَالْحُرُوبُ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْجِ وَكَانَ  
أَكْثَرُهَا لِصَالِحِ الْخَزْجِ حَيْثُ هُمْ أَكْثَرُ عَدَدًا، وَهَذَا مَا  
جَعَلَ الْأَوْسَ يُفَكِّرُونَ فِي إِيجَادِ حُلْفَاءَ لَهُمْ يَسْتَطِيعُونَ  
بِمُسَاعَدَتِهِمْ إِحْرَازَ النَّصْرِ عَلَى خُصُومِهِمْ مِنَ الْخَزْجِ، فَإِنَّ  
حَرْبًا جَدِيدَةً مُحْتَمَلَةً الْوُقُوعَ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ، بَعْدَ تَهْدِيدِ  
الْخَزْجِ لِبَنِي قُرَيْظَةَ حُلْفَاءَ الْأَوْسِ بِقَتْلِ رَهَائِنِهِمْ إِنْ لَمْ  
يُخْلَوْا لَهُمْ دِيَارَهُمْ نَيْسَكُنُوها (٢)، وَكَانَ عَلَى الْيَهُودِ مِنْ بَنِي  
قُرَيْظَةَ أَنْ يَنْزِلُوا عِنْدَ طَلَبِ الْخَزْجِ لَوْلَا أَنْ مَنَعَهُمْ حُلْفَاؤُهُمْ  
مِنَ الْأَوْسِ، وَنَزَلَ بَعْضُ رَجَالِهِمْ مَعَهُمْ فِي خُصُونِهِمْ،  
يُدَافِعُونَ عَنْهَا ضِدَّ اعْتِدَاءِ الْخَزْجِ.

أَتَجَهَّتْ أَنْظَارُ الْأَوْسِ إِلَى قُرَيْشٍ فِي مَكَّةَ لِتَكُونَ حَلِيفَةً  
لَهُمْ، وَأَرْسَلُوا وَفْدًا إِلَيْهَا بِرِئَاسَةِ أَبِي الْحَيْسَرِ أَنَسِ بْنِ  
رَافِعٍ، وَيَضُمُّ إِيَّاسَ بْنَ مُعَاذٍ أَخَا سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ (٣).

(١) المشلل: جبل هناك يشرف على البحر.

(٢) كانت منازل الخزرج غير ملائمة صحياً، وفيها سباح، بينما كانت منازل  
بني قريظة أفضل مناخاً، وأعذب ماء.

(٣) لم يتم الحلف مع قريش. وبعد انصراف الوفد من مكة نشبت حرب  
(بُعَاث).

نَشِبَتْ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ الْمُتَنَازِعَيْنِ فِي يَثْرَبَ مَعْرَكَةٌ (بُعَاثُ)  
 وَكَانَ النَّصْرُ فِيهَا لِلْأَوْسِ عَلَى الْخَزْرَجِ ، وَالَّتِي كَادَ الْأَوْسُ  
 فِيهَا يَسْتَأْصِلُونَ شَافَةَ إِخْوَانِهِمُ الْخَزْرَجِ ، وَيَهْدُمُونَ دُورَهُمْ ،  
 لَوْلَا أَبُو قَيْسُ بْنُ الْأَسْلَتِ أَحَدُ قَادَةِ الْأَوْسِ الَّذِي مَنَعَ قَوْمَهُ  
 مِنْ عَمَلِيَّةِ الْإِبَادَةِ الَّتِي اعْتَزَمُوا الْقِيَامَ بِهَا ضِدَّ إِخْوَانِهِمُ  
 الْخَزْرَجِ بَعْدَ أَنْ هُزِمُوا فِي تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ .

## الْبَغْثَةُ الْحَمْدِيَّةُ

بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فِي مَكَّةَ رَسُولًا لِلنَّاسِ كَافَّةً،  
وَوَحَاةً لِلنَّبِيِّينَ، بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ  
وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

صَدَعَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِالدَّعْوَةِ، وَحَمَلَ الْأَمَانَةَ، وَبَلَغَ  
الرِّسَالَةَ، وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا الْقَلِيلُ، وَأَنْكَرَتْ قُرَيْشٌ عَلَيْهِ  
دَعْوَتَهُ، وَوَقَفَتْ فِي وَجْهِهِ، وَصَدَّتْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ خَوْفًا عَلَى  
رِعَايَتِهَا وَمَصَالِحِهَا وَتَمَسُّكَاً بِوَثْنِيَّتِهَا وَدِفَاعاً عَنْ أَصْنَائِهَا  
وَالِهَتِهَا، وَوَضَعَتْ كُلَّ الْعَرَاقِيلِ حَتَّى تَحُولَ دُونَ أَنْتِشَارِ  
الْإِسْلَامِ، فَآذَتْ الْمُسْلِمِينَ بِأَجْسَامِهِمْ وَأَبْدَانِهِمْ،  
وَأَضْطَهَدَتْهُمْ، وَقَاطَعَتْهُمْ، وَحَاصَرَتْهُمْ، وَلَمْ يَنْجُ صَاحِبُ  
الدَّعْوَةِ ﷺ مِنْ هَذَا، فَقَدْ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ أَصْحَابَهُ مِنْ أَذَى  
كَثِيرٍ وَأَضْطِهَادٍ كَبِيرٍ.

كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ - يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ فِي كُلِّ  
مَوْسِمٍ، يَدْعُوهَا لِلْإِسْلَامِ، وَيُوضِّحُ لَهَا الطَّرِيقَ، وَهِيَ تُعْرِضُ  
عَنْهُ وَتَتَنَازَلُ مُتَأَثِّرَةً بِجَاهِلِيَّتِهَا وَوَثْنِيَّتِهَا، أَوْ يَسْتَجِيبُ لَهُ أَفْرَادٌ

مِمَّنْ كُتِبَ لَهُ الْخَيْرُ وَالسَّعَادَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَسْتَقْبِلُ هَذِهِ الْقَبَائِلَ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ، تَتَّصِلُ مَعَهَا قَبْلَ أَنْ يَلْتَقِيَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، تُحَذِّرُهَا مِنْهُ، وَتُخَوِّفُهَا مِنْ دَعْوَتِهِ، وَتَنْشُرُ الدَّعَايَةَ الْكَاذِبَةَ ضِدَّهُ، وَتَتَقَوْلُ عَلَيْهِ الْأَقَاوِيلَ، وَتَرْصُدُ حَرَكَاتِ الْقَبَائِلِ الْقَادِمَةِ إِلَى الْحَجِّ أَيْضًا حَذَرًا مِنْ كُلِّ آخِثِمَالٍ.

الْتَقَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَوْسِمِ الَّذِي كَانَ بَعْدَ حَرْبِ بُعَاثٍ بِجَمَاعَةٍ مِنَ الْخَزْرَجِ حَضَرُوا الْمَوْسِمَ، فَدَعَاهُمْ لِلْإِسْلَامِ، وَكَانَ فِي أَنْفُسِهِمْ شَيْءٌ مِمَّا كَانُوا يَسْمَعُونَهُ وَهُمْ فِي يَثْرَبَ مِنْ يَهُودِهَا عَنْ بَعْثَةِ نَبِيِّ قُرْبَ وَقْتُ ظُهُورِهِ، يَسْتَظْهِرُ بِهِ الْيَهُودُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ لِلنَّبِيِّ الَّذِي تُوعِدُكُمْ بِهِ الْيَهُودُ، فَلَا يَسْبِقُنْكُمْ إِلَيْهِ، فَأَجَابُوهُ إِلَى مَا دَعَاهُمْ بِأَنْ صَدَّقُوهُ وَقَبِلُوا مِنْهُ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِسْلَامِ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّا قَدْ تَرَكْنَا قَوْمَنَا وَلَا قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ، وَعَسَى أَنْ يَجْمَعَنَا اللَّهُ بِكَ فَسَتَقْدِمُ عَلَيْهِمْ فَدَعُوهُمْ لِامْرِكِ، وَنَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَحْبَبْنَاكَ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ، فَإِنْ يَجْمَعُهُمُ اللَّهُ عَلَيْكَ فَلَا رَجُلَ أَعَزَّ مِنْكَ، ثُمَّ أَنْصَرَفُوا إِلَى بِلَادِهِمْ، وَكَانُوا سِتَّةَ نَفَرٍ مِنَ الْخَزْرَجِ <sup>(١)</sup>، فَلَمَّا قَدِمُوا يَثْرَبَ

(١) منهم أسعد بن زرارَةَ.

اتَّجَهُوا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ، فَذَكَّرُوا لَهُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَدَعَوْهُمْ  
إِلَىٰ الْإِسْلَامِ حَتَّىٰ فَشَا فِيهِمْ، فَلَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَوْسِ  
وَالْخَزَرَجِ إِلَّا وَفِيهَا ذِكْرُ رَسُولِ اللَّهِ .

فَلَمَّا كَانَ الْمَوْسِمُ الثَّانِي وَافَاهُ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ اثْنَا عَشَرَ  
رَجُلًا <sup>(١)</sup> وَالتَّقَوْا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْعَقَبَةِ، وَبَايَعُوهُ بَيْعَةَ  
الْعَقَبَةِ الْأُولَىٰ وَعِنْدَمَا رَجَعُوا إِلَىٰ يَثْرِبَ، أَرْسَلَ مَعَهُمْ رَسُولُ  
اللَّهِ ﷺ مُصْعَبَ بْنِ عُمَيْرٍ .

---

(١) منهم أسعد بن زرارة وعبادة بن الصامت .

## إسلامُ سعدٍ

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ <sup>(١)</sup> إِلَى يَثْرِبَ مَعَ مَنْ أَسْلَمَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقْرِئَهُمُ الْقُرْآنَ، وَيُعَلِّمَهُمُ الْإِسْلَامَ، وَيُفَقِّهِهُمْ فِي الدِّينِ، فَكَانَ يُسَمَّى الْمُقْرِئَ، وَكَانَ مَنْزِلُهُ عَلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ <sup>(٢)</sup> أَبِي أَمَامَةَ.

وَخَرَجَ أَسْعَدُ مَرَّةً بِمُصْعَبٍ يُرِيدُ دَارَ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَدَارَ بَنِي ظَفَرٍ <sup>(٣)</sup>، فَدَخَلَ بِهِ حَائِطًا مِنْ حَوَائِطِ دَارِ بَنِي ظَفَرٍ، فَجَلَسَا، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِمَا رِجَالٌ مِمَّنْ أَسْلَمَ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَأَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ، يَوْمئِذٍ سَيِّدَا قَوْمِهِمَا مِنْ بَنِي الْأَشْهَلِ، وَكِلَاهُمَا عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، فَلَمَّا سَمِعَا بِهِ قَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ

(١) مصعب بن عمير بن هاشم . من جلة الصحابة وفضلائهم ويكنى أبا عبد الله ، هاجر إلى الحبشة وبعثه الرسول ﷺ إلى يثرب ليعلم المسلمين فيها ، وكان يحمل راية المسلمين في بدر وأحد واستشهد يوم أحد رضي الله عنه .

(٢) أسعد بن زرارة من الانصار ، من الخزرج ، شهد بيعة العقبة ، وكان نقيب بني النجار ، وكان أول من صلى الجمعة بالناس في المدينة ، مات قبل بدر .

(٣) ظفر : هو كعب بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الأوس ، وظفر هو عم عبد الأشهل .

لَأَسِيدِ بْنِ حُضَيْرٍ: لَا أَبَا لَكَ، أَنْطَلِقْ إِلَى هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ  
الَّذَيْنِ قَدْ أَتَيَا دَارِنَا، لِيُسَفِّهَا ضُعَفَاءَنَا، فَازْجُرْهُمَا وَأَنْهَهُمَا  
عَنْ أَنْ يَأْتِيَا دَارِنَا، فَإِنَّهُ لَوْلَا أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ مِنِّي حَيْثُ  
عَلِمْتُ، كَفَيْتُكَ ذَلِكَ، هُوَ ابْنُ خَالَتِي، وَلَا أَجِدُ عَلَيْهِ مَقْدَمًا،  
فَأَخَذَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ حَرْبَتَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْهِمَا، فَلَمَّا رَأَاهُ أَسْعَدُ  
ابْنُ زُرَّارَةَ قَالَ لِمُصْعَبٍ إِنْ جَلَسَ فَكَلِّمَهُ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا  
مُتَشَتِّمًا، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمْ إِلَيْنَا تُسَفِّهَانِ ضُعَفَاءَنَا؟ أَعَزَّلَانَا  
إِنْ كَانَتْ لَكُمْ بِأَنْفُسِكُمْ حَاجَةٌ، فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ: أَوْ تَجْلِسُ  
فَتَسْمَعَ فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا قَبْلَتَهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ كُفَّ عَنْكَ مَا  
تَكْرَهُ؟ قَالَ: أَنْصَفْتُ، ثُمَّ رَكَزَ حَرْبَتَهُ وَجَلَسَ إِلَيْهِمَا فَكَلَّمَهُ  
مُصْعَبٌ بِالْإِسْلَامِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَقَالَ فِي نَفْسِيهِمَا: وَاللَّهِ  
لَقَدْ عَرَفْنَا فِي وَجْهِهِ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي إِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ،  
ثُمَّ قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ وَأَجْمَلَهُ! كَيْفَ تَصْنَعُونَ كَيْ  
تَدْخُلُوا فِي هَذَا الدِّينِ؟ قَالَا لَهُ: تَغْتَسِلُ فَتَتَطَهَّرُ وَتَشْهَدُ شَهَادَةَ  
الْحَقِّ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: إِنْ وَرَأَيْي رَجُلًا  
إِنْ أَتَبَعَكُمَا لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ. وَسَأَرَسِلُهُ إِلَيْكُمَا  
الآنَ، وَهُوَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ وَأَنْصَرَفَ إِلَى سَعْدِ  
وَقَوْمِهِ، وَهُمْ جُلُوسٌ فِي نَادِيهِمْ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ  
مُقْبِلًا، قَالَ: أَخْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ بِغَيْرِ



الْوَجْهَ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى النَّادِي، قَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: كَلَّمْتُ الرَّجُلَيْنِ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ بِهِمَا بَأْسًا، وَقَدْ نَهَيْتُهُمَا، فَقَالَا: نَفْعَلُ مَا أَحْبَبْتَ، وَقَدْ حَدَّثْتُ أَنَّ بَنِي حَارِثَةَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ لِيَقْتُلُوهُ.

وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ ابْنُ خَالَتِكَ، لِيَخْفِرُوكَ. قَالَ: فَقَامَ سَعْدٌ مُغْضَبًا مُبَادِرًا تَخَوُّفًا لِلَّذِي ذَكَرَ لَهُ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ، فَأَخَذَ الْحَرْبَةَ مِنْ يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرَاكَ أَغْنَيْتَ شَيْئًا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمَا، فَلَمَّا رَأَاهُمَا سَعْدٌ مُطْمَئِنِّينَ عَرَفَ سَعْدٌ أَنَّ أَسِيدًا إِنَّمَا أَرَادَ مِنْهُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُمَا، فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُشْتَبِمًا، ثُمَّ قَالَ لِأَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ: يَا أَبَا أُمَامَةَ! أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ الْقَرَابَةِ مَا رُمْتَ هَذَا مِنِّي، أَتَغْشَانَا فِي دَارِنَا بِمَا نَكْرَهُ، وَقَدْ قَالَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ: أَيُّ مُصْعَبٍ! جَاءَكَ وَاللَّهِ سَيِّدٌ، مِنْ وَرَائِهِ قَوْمُهُ، وَإِنْ يَتَّبِعَكَ لَا يَتَخَلَّفُ عَنْكَ مِنْهُمْ اثْنَانِ. فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ: أَوْ تَقْعُدُ فَتَسْمَعَ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا وَرَغِبْتَ فِيهِ قَبْلَتَهُ. وَإِنْ كَرِهْتَهُ عَزَلْنَا عَنْكَ مَا تَكْرَهُ؟ قَالَ سَعْدٌ: أَنْصَفْتُ ثُمَّ رَكَزَ حَرْبَتَهُ وَجَلَسَ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، قَالَا: فَعَرَفْنَا وَاللَّهِ فِي وَجْهِهِ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ لِإِشْرَاقِهِ وَتَسَهَّلِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِنْ أَنْتُمْ

أَسْلَمْتُمْ وَدَخَلْتُمْ فِي هَذَا الدِّينِ قَالَا: تَغْتَسِلُ فَتَتَطَهَّرُ وَتُطَهِّرُ  
تُوبَكَ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ رَكَعَ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ أَخَذَ  
حَرْبَتَهُ، فَأَقْبَلَ عَامِداً إِلَى نَادِي قَوْمِهِ وَمَعَهُ أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ.

فَلَمَّا رَأَاهُ قَوْمُهُ مُقْبِلاً قَالُوا: نَحْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَجَعَ إِلَيْكُمْ  
سَعْدٌ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِمْ  
قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، كَيْفَ تَعْلَمُونَ أَمْرِي مِنْكُمْ؟ قَالُوا:  
سَيِّدَنَا، وَأَوْصَلَنَا وَأَفْضَلَنَا رَأِياً، وَأَيَّمُنَا نَقِيبَةً، قَالَ: فَإِنَّ،  
كَلَامَكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ، حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. فَمَا أَمْسَى فِي  
دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلَا أَمْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِمٌ وَمُسْلِمَةٌ.

وَبَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُنْتُقِلَ مُصْعَبُ  
ابْنُ عُمَيْرٍ إِلَى بَيْتِهِ الَّذِي أَصْبَحَ الْمَرْكَزَ الْإِسْلَامِيَّ فِي الْمَدِينَةِ  
وَقَدْ بَدَأَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَهُمَا سَيِّدَا الْأَوْسِ  
يَوْمَئِذٍ، يَكْسِرَانِ أَصْنَامَ قَبِيلَتَيْهَا.

أَسْلَمَ سَعْدٌ وَعُمَرُ ثَلَاثُونَ عَاماً، وَتَرَكَ دَفْعَةَ وَاحِدَةٍ مَاضِيَةٍ  
الْجَاهِلِيَّةِ وَأُنْتُقِلَ إِلَى الْإِسْلَامِ دَفْعَةَ وَاحِدَةٍ بِكُلِّ جَوَارِحِهِ  
وَكَأَنَّهُ وَلَدَ يَوْمَئِذٍ، وَمَا عُرِفَ عَنْهُ فِي حَيَاتِهِ الْبَاقِيَةِ أَنْ مَرَّتْ  
عَلَيْهِ لَحْظَةٌ فِيهَا جَاهِلِيَّةٌ أَوْ رَوَاسِبٌ مِنْهَا.

وَهَكَذَا يَسْتَطِيعُ إِنْسَانٌ إِنْ صَدَقَ مَعَ اللَّهِ وَأَخْلَصَ أَنْ يَفْعَلَ مَا لَا يَفْعَلُهُ عَدَدٌ كَبِيرٌ، وَالْإِنْسَانُ الْمُخْلِصُ هُوَ الَّذِي يَتِمَثَّلُ فِكْرَتُهُ تَمَثُّلاً صَحِيحاً، فَقَدْ اسْتَطَاعَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ أَنْ يُؤَثِّرَ فِي أَهْلِ يَثْرِبَ جَمِيعاً، وَاسْتَطَاعَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ أَنْ يَنْقُلَ قَبِيلَةً كَامِلَةً مِنْ ظُلَامِ الْجَهْلِ إِلَى نُورِ الْإِسْلَامِ لِمَا عُرِفَ عَنْهُ رِضْيَ اللَّهِ عَنْهُ مِنَ الْأَمَانَةِ وَسَدَادِ الرَّأْيِ وَهَذَا مَا يَجِبُ أَنْ يَتَوَقَّرَ فِي الدَّاعِيَةِ .

وَفِي الْمَوْسِمِ الثَّانِي رَجَعَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ إِلَى مَكَّةَ، وَخَرَجَ مَعَهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمَوْسِمِ مَعَ حُجَّاجِ قَوْمِهِمْ مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ، حَتَّى قَدِمُوا مَكَّةَ، فَوَاعَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْعَقَبَةَ، دُونَ عِلْمِ قَوْمِهِمُ الْجَاهِلِيِّينَ، فَبَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ <sup>(١)</sup>، وَكَانَ عَدَدُهُمْ ثَلَاثَةً وَسَبْعِينَ رَجُلًا وَأَمْرَاتَيْنِ، فَاخْتَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا <sup>(٢)</sup> وَعَادَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ إِلَى بَلَدِهِمْ، وَقَدْ بَلَغَ

---

(١) حضر بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ: الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ لِيَسْتَوْثِقَ لَابْنَ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَلَمْ يَكُنِ الْعَبَّاسُ قَدْ اسْلَمَ بَعْدَ، وَإِنَّمَا كَانَ عَلَى دِينِ آبَائِهِ .

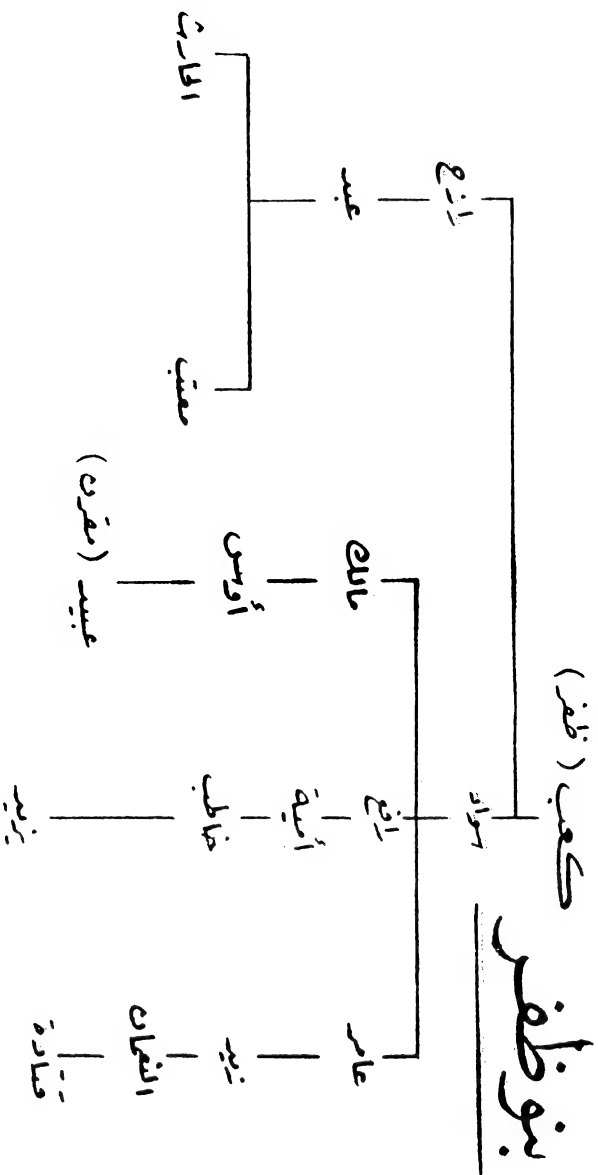
(٢) مِنْهُمْ: أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ، وَسَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، وَعَبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ مِنَ الْخَزْرَجِ .

وَمِنْهُمْ: أَسِيدُ بْنُ حَضِيرٍ وَسَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ مِنَ الْأَوْسِ .

الْخَبِرُ قُرَيْشًا، فَلَحِقُوا بِهِمْ، وَأَخَذُوا سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، وَكَانَ  
عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنٍ سُلُولٍ قَدْ أَنْكَرَ مِنْ قَبْلُ، حَيْثُ لَمْ يَعْرِفْ  
مِنْ الْأَمْرِ شَيْئًا.

**الفرع**





## عُنْصُرُ الْخَيْرِ

إِنَّ فِي النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ عُنْصُرَ خَيْرٍ كَمَا فِيهَا عُنْصُرُ شَرٍّ « وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا » <sup>(١)</sup> فَمَنْ زَكَّى الْخَيْرَ فِيهَا قَوِيَ، وَأَصْبَحَ ظَاهِرًا عَلَيْهَا، بَلْ وَسِمَةٌ رَيْسِيَّةٌ مِنْ سِمَاتِهَا وَكَانَ صَاحِبُهَا خَيْرًا، وَمَنْ قَوَّى عُنْصُرَ الشَّرِّ، غَلَبَهُ الْهَوَى، وَاسْتَبَدَّتْ بِهِ الشَّهْوَةُ، وَأَصْبَحَ الشَّرُّ مِنْ عِلَامَاتِ تِلْكَ النَّفْسِ وَصِفَاتِهَا، وَكَانَ الْإِنْسَانُ شَرِيرًا، وَمَنْ كَانَ لِلْخَيْرِ فَاعِلًا، وَلِلْحَقِّ مُتَّبِعًا، وَنَمَى هَذِهِ الصِّقَاتِ فِي أَبْنَائِهِ، وَأَوْرَثَهَا لِأَحْفَادِهِ، غَلَبَتْ عَلَى تِلْكَ الْأُسْرَةِ ظَاهِرَةُ الْخَيْرِ، وَاتَّبَاعُ الْمَعْرُوفِ، وَيَسْهُلُ عَلَى النَّفْسِ مِنْهَا الْوُصُولُ إِلَى الْحَقِّ بِشَكْلِ سَرِيعٍ وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَحِيدَ عَنْهُ مَا دَامَتْ قَدْ عَرَفْتَهُ، وَتَضْرِبُ بِكُلِّ مَا يَقِفُ أَمَامَ سِيرِهَا فِي سَبِيلِ الْحَقِّ. وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَقِفَ مَعَ الْبَاطِلِ أَبَدًا؛ فَإِنَّهَا لَمْ تَتَعَوَّدْ عَلَى ذَلِكَ، وَإِنَّهُ لَشَدِيدٌ عَلَى الْإِنْسَانِ مَا لَمْ يُعَوَّدْ.

(١) الشمس الآيات: ٧ - ٨ - ٩ .

وَقَدْ تَكُونُ أُسْرَةُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ بَيْنَ الْأَنْصَارِ، مِنْ هَذِهِ  
الْأَسْرِ الَّتِي تَسْعَى وَرَاءَ الْحَقِّ، وَتَتَّبَعُ لَهُ، وَتَتَّبِنَاهُ بِقُوَّةٍ،  
وَتُدَافِعُ عَنْهُ بِشِدَّةٍ، وَبِصِفَةِ خَاصَّةٍ أُسْرَةُ مُعَاذِ بْنِ النُّعْمَانِ وَالِدِ  
سَعْدٍ، فَقَدْ رَأَيْنَا اتِّبَاعَ سَعْدٍ لِلْحَقِّ وَدُخُولَهُ فِي الْإِسْلَامِ مُجَرَّدَ  
سَمَاعِهِ حَدِيثَ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ، ثُمَّ الدَّعْوَةُ لَهُ بِحَرَارَةٍ وَقُوَّةٍ  
مَا دَامَ قَدْ اعْتَقَدَ أَنَّهُ الْحَقُّ، وَكَيْفَ أَنَّ أُسْرَتَهُ قَدْ وَاظَمَتْهُ عَلَى  
ذَلِكَ، وَاعْتَنَقَتْ جَمِيعُهَا الْإِسْلَامَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَمْ يُعْرِفْ  
فِيهَا مُنَافِقٌ، أَوْ إِنْسَانٌ غَيْرُ مُسْلِمٍ، رَجُلًا كَانَ أَوْ امْرَأَةً، وَهَذَا  
مَا لَا تَخْلُو مِنْهُ أُسْرَةٌ ثَانِيَّةٌ، وَقَدْ يَقُولُ بَعْضُهُمْ إِنَّ مَوْقِفَ سَعْدِ  
ابْنِ مُعَاذٍ هَذَا كَانَ بَعْدَ انْتِشَارِ الْإِسْلَامِ فِي يَثْرِبَ فَلَنَنْظُرَ إِلَى  
أَخِيهِ إِيَّاسٍ الَّذِي قَبْلَ الْحَقِّ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ صِغَرِهِ وَعَلَى  
الرَّغْمِ مِنْ رَفْضِهِ مِنْ بَقِيَّةِ أَعْضَاءِ الْوَفْدِ الَّذِي كَانَ مَعَهُمْ،  
وَتَبَّتْ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُبْدِيَ شَيْئًا، أَوْ يَضْغَطَ  
عَلَى أَعْضَاءِ الْوَفْدِ، فَقَدْ كَانَ أَصْغَرَهُمْ كَمَا أَنَّ أَهْلَ يَثْرِبَ لَمْ  
يَكُنْ قَدْ وَصَلَ إِلَيْهِمْ خَبَرُ الدَّعْوَةِ الْجَدِيدَةِ بَعْدُ، فَلَمَّا قَدِمَ أَبُو  
الْحَيْسَرِ أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ <sup>(١)</sup> مَكَّةَ وَمَعَهُ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ  
الْأَشْهَلِ، فِيهِمْ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاذٍ، يَلْتَمِسُونَ الْحِلْفَ مِنْ قُرَيْشٍ،

---

(١) أنس بن رافع: هو ابن عم معاذ والد سعد.



عَلَىٰ قَوْمِهِمْ مِنَ الْخَزْرَجِ ، فَسَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ،  
فَاتَاهُمْ ، فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ لَهُمْ : هَلْ لَكُمْ فِي خَيْرٍ مِمَّا جِئْتُمْ  
لَهُ ؟ فَقَالُوا لَهُ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : أَنَا رَسُولُ اللَّهِ ، بَعَثَنِي إِلَى  
الْعِبَادِ ، أَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا .  
وَأَنْزَلَ عَلَيَّ الْكِتَابَ ، ثُمَّ ذَكَرَ لَهُمُ الْإِسْلَامَ ، وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ  
فَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاذٍ وَكَانَ غُلَامًا حَدَّثًا : أَيُّ قَوْمٍ هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ  
مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ ، فَأَخَذَ أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ حَفْنَةً مِنْ تُرَابِ الْبَطْحَاءِ ،  
فَضْرَبَ بِهَا وَجْهَ إِيَّاسٍ ، وَقَالَ : دَعْنَا مِنْكَ فَلَعَمْرِي لَقَدْ جِئْنَا  
لِغَيْرِ هَذَا ، فَصَمَتَ إِيَّاسٌ ، وَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَأَنْصَرَفُوا  
إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَكَانَتْ وَقْعَةٌ بُعَاثٍ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ .

وَلَمْ يَلْبَثْ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاذٍ أَنْ هَلَكَ ، وَقَدْ ذَكَرَ مَنْ حَضَرَ  
مَوْتَهُ ، أَنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا يَسْمَعُونَهُ يَهْلِيلُ وَيُكَبِّرُ وَيَحْمَدُ اللَّهَ  
وَيُسَبِّحُهُ حَتَّى مَاتَ ، فَمَا كَانُوا يَشْكُونَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ مُسْلِمًا ،  
لَقَدْ كَانَ اسْتَشْعَرَ الْإِسْلَامَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ .

وَلَنَنْظُرُ إِلَى أَخِيهِ الْآخِرِ عَمْرٍو بْنِ مُعَاذٍ وَهُوَ يُدَافِعُ عَنِ  
الْحَقِّ فِي أَحَدٍ حَتَّى اسْتُشْهِدَ ، وَابْنُ أَخِيهِ الْحَارِثُ بْنُ أَوْسِ  
ابْنِ مُعَاذٍ ، وَهُوَ يَجُولُ فِي بَدْرٍ ثُمَّ فِي أَحَدٍ يُقَاتِلُ دُونَ رَسُولِ  
اللَّهِ ﷺ حَتَّى اسْتُشْهِدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَمَرَّةً أُخْرَى نَفِىَ أَمَامَ أُمِّ سَعْدٍ وَقَدْ خَرَجَتْ تَسْتَقْبِلُ  
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ غَزْوَةِ أَحُدٍ. رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَزِّبُهَا  
بَابْنِهَا عَمْرٍو فَتَجِيبُ أَمَا وَقَدْ رَأَيْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْ  
أَشْتَوَيْتُ عِنْدِي الْمُصِيبَةَ أَيْ قَلَّتْ وَهَانَتْ، وَكَانَ سَعْدٌ رَضِيَ  
اللَّهُ عَنْهُ يَأْخُذُ بِلِجَامِ فَرَسِ رَسُولِ اللَّهِ، لَا يُبَالِي هُوَ وَأُمُّهُ  
أَمَاتَ أَهْلُهُ أَمْ عَاشُوا مَا دَامَتِ الدَّعْوَةُ بَاقِيَةً بِنَقَاءِ رَسُولِ اللَّهِ  
ﷺ فَهُوَ صَاحِبُ الدَّعْوَةِ الَّتِي عَنْهَا يُدَافِعُونَ، وَمِنْ أَجْلِهَا  
يَحْيَوْنَ، وَفِي سَبِيلِهَا يَمُوتُونَ، وَعَلَيْهَا يَلْقَوْنَ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى.  
وَهَذِهِ طَبِيعَةُ أَهْلِ الدَّعَوَاتِ وَالْمَبَادِئِ الصَّادِقِينَ فِي دَعْوَتِهِمْ  
الْمُخْلِصِينَ فِي سَيْرِهِمْ، وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ مَنْ إِذَا مَاتَ لَهُمْ  
مُحَبَّبٌ نَسُوا مَا حَوْلَهُمْ وَأَضَاعُوا طَرِيقَهُمْ، وَفَقَدُوا رُشْدَهُمْ،  
أَمَّا الْمُسْلِمُ الصَّادِقُ فَلَا يَعْرِفُ إِلَّا دَعْوَتَهُ وَمَنْ يُمَثِّلُهَا وَهَكَذَا  
كَانَتْ أُسْرَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَغْلِبُ عَلَيْهَا غُنْصُرُ  
الْخَيْرِ وَالْحَقِّ.

وَكَمَا كَانَتْ أُمُّ سَعْدٍ كَانَتْ زَوْجُهُ وَهِيَ مِنْ بَنِي عَبْدِ  
الْأَشْهَلِ وَعَمَّةُ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ. فَقَدْ بَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،  
وَصَدَقَتْ، وَصَبَرَتْ عَلَى الْبَلَاءِ. وَكَذَلِكَ كَانَ عَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ؛  
فَلَمْ يَدْخُلُوا فِي مُعْتَرِكِ الْحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ عِنْدَمَا اخْتَلَطَ الْأَمْرُ

وَضَاعَتْ مَعَالِمُ الْحَقِّ فَأَنْصَرَفُوا إِلَى أَعْمَالِهِمْ وَعِبَادَاتِهِمْ  
وَجَهَادِهِمْ جُنُودًا مَجْهُولِينَ فِي سَبِيلِ الْوُصُولِ إِلَى الْحَقِّ  
الَّذِي يَعْتَقِدُونَهُ، فَإِنْ جَهِلُوهُ اعْتَزَلُوا .



## نَسَبُ سَعْدٍ وَحَيَاتُهُ

هُوَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذِ بْنِ النَّعْمَانِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ زَيْدِ  
ابْنِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، وَيُكْنَى أَبَا عَمْرٍو ، وَأُمُّهُ كَبْشَةُ <sup>(١)</sup> بِنْتُ  
رَافِعِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْأَبْجَرِ <sup>(٢)</sup> وَزَوْجُهُ هِنْدُ <sup>(٣)</sup> بِنْتُ سِمَاكِ  
ابْنِ عَتِيكَ بْنِ رَافِعِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ  
الْأَشْهَلِ وَهِيَ عَمَّةُ (أَسِيدِ بْنِ حُضَيْرٍ) الصَّحَابِيِّ الْمَعْرُوفِ  
وَأَحَدِ سَادَاتِ الْأَوْسِ . وَلِدَ سَعْدٌ فِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ عَشْرَةَ قَبْلَ  
الْبُعْثَةِ ، وَبَذَا يَكُونُ أَصْغَرَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِأَحَدِي  
وَعَشْرِينَ سَنَةً .

أَسْلَمَ عَلَى يَدِ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِعَامَيْنِ ،  
وَطَلَبَ مِنْ مُصْعَبٍ أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَى بَيْتِهِ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ يَنْزِلُ فِي  
مَنْزِلِ أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ ابْنِ خَالَتِهِ وَمِنْ قَبِيلَةِ الْخَزْرَجِ ،

---

(١) وهي من اللواقي بايعت رسول الله ﷺ .

(٢) الأبجر: هو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن  
الأوس .

(٣) هند: وقد بايعت رسول الله .

وَذَلِكَ لِأَنَّ أَسْرَتَهُ قَدْ أَسْلَمَتْ جَمِيعًا ، فَكَانَ الْعَمَلُ لِمُصْعَبٍ  
 أَسْهَلَ كَمَا أَنَّ هَذِهِ الْأُسْرَةَ الْمُسْلِمَةَ حَدِيثًا بِحَاجَةٍ إِلَى تَفْقَهِ فِي  
 الدِّينِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمُقْرِءُ قَرِيبًا  
 مِنْهَا ، كَمَا أَنَّ سَعْدًا يُرِيدُ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى هَذَا الدَّاعِيَةِ بِنَفْسِهِ .

أَسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْهَجْرَةِ ، وَآخَى الرَّسُولُ بَيْنَهُ  
 وَبَيْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ، حَضَرَ بَدْرًا ، وَشَهِدَ أُحُدًا ،  
 وَأَصِيبَ فِي الْخَنْدَقِ ، وَحَكَمَ عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ وَهُمْ حُلَفَاءُ  
 الْأَوْسِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَمَاتَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُتَأَثِّرًا بِجُرْحِهِ  
 الَّذِي أَصَابَهُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ ، فَقَضَى شَهِيدًا عَامَ خَمْسَةِ لِلْهَجْرَةِ .  
 وَكَانَ عُمُرُهُ سَبْعَةً وَثَلَاثِينَ عَامًا ، تَرَكَ مِنْ بَعْدِهِ تِسْعَةَ أَوْلَادٍ ،  
 عُرِفَ مِنْهُمْ وَأَشْتَهَرَ : عَمْرُو ، وَعَبْدُ اللَّهِ .

## صِفَاتُ سَعْدٍ

كَانَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلًا جَسِيًّا جَمِيلًا طَوِيلًا، أَبْيَضَ اللَّوْنِ، مُحِبًّا إِلَى النَّفْسِ، وَكَانَ هَادِنًا قَلِيلَ الْكَلَامِ حَتَّى إِذَا وَجَدَ أَنَّ وَعْدًا قَدْ أَخْلَفَ أَوْ حَقًّا قَدْ هُضِمَ أَوْ أَنَّ الْكَلَامَ الْمَوْجَّهَ إِنَّمَا يُقْصَدُ بِهِ هُوَ أَوْ قَوْمُهُ تَكَلَّمَ بِحَرَارَةٍ، فَيَخْرُجُ كَلَامُهُ قَوِيًّا فِيهِ جَمَالُ اللَّفْظِ وَقُوَّةُ التَّعْبِيرِ وَصِدْقُ الْعَاطِفَةِ، كَمَا يَظْهَرُ فِيهِ إِخْلَاصُهُ وَتَفَانِيهِ فِي سَبِيلِ مَا يَدْعُو لَهُ، وَفِي سَبِيلِ مَا يَعْتَقِدُ أَنَّهُ الْحَقُّ، فَكَانَتْ فِي طَبْعِهِ حِدَّةٌ، كَمَا كَانَتْ فِيهِ غَيْرَةُ قَوِيَّةٌ عَلَى الْحَقِّ، شَدِيدَةٌ عَلَى الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَصَاحِبَهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَسْمَعَ كَلِمَةً لَا تَضَعُ الْحَقَّ فِي نِصَابِهِ أَوْ لَا تُعْطِي لِلدَّعْوَةِ قِيَمَتَهَا، وَهَذَا مَا يَظْهَرُ جَلِيًّا وَاضِحًا فِي كُلِّ مَوَاقِفِهِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كَانَ سَعْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَيِّدَ الْأَوْسِ مِنْذُ بَدَايَةِ شَبَابِهِ لَا يُنَازِعُهُ فِيهَا أَحَدٌ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ صِغَرِ سِنِّهِ، وَوُجُودِ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّهُ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ الْقَبِيلِيَّةِ يَلْعَبُ

أَلَسَنَ دَوْرًا كَبِيرًا ، وَمَا هَذِهِ السِّيَادَةُ إِلَّا بِسَبَبِ مَا أُوتِيَ مِنْ  
رَجَاحَةِ الْعَقْلِ ، وَقُوَّةِ التَّفَكُّيرِ ، وَسَدَادِ الرَّأْيِ وَثَبَاتِ الْقَلْبِ ،  
وَالشَّجَاعَةِ فِي الْمَعْرَكَةِ وَعِنْدَ النَّوَائِبِ .

وَهُوَ سَيِّدُ الْأَنْصَارِ جَمِيعًا وَمُقَامُهُ بَيْنَهُمْ كَمُقَامِ أَبِي بَكْرٍ  
الصَّدِيقِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ .



## الهجرة والمواخاة

لَمْ يَجِدْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَكَّةَ الَّتِي تَحْكُمُهَا الْجَاهِلِيَّةُ  
الْحِمَايَةَ الَّتِي يَنْشُدُهَا لِأَصْحَابِهِ خَوْفًا مِنْ أَنْ تَطَالُهُمْ يَدُ  
قُرَيْشٍ فِي الْعَذَابِ أَوْ الْفِتْنَةِ، فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ ﷺ بِالْهَجْرَةِ إِلَى  
يَثْرِبَ الَّتِي بَايَعَهُ أَهْلُهَا عَلَى أَنْ يَمْنَعُوهُ، فَاثْمَثَلَ الصَّحَابَةُ،  
وَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَتَرَكَوا فِي مَكَّةَ أَمْوَالَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ  
وَكُلَّ مَا يَمْلِكُونَ فِي سَبِيلِ أَنْ يَتِمَّتَعُوا فِي ظِلِّ حَيَاةِ إِسْلَامِيَّةٍ  
وَهُوَ أَسْمَى شَيْءٍ فِي الْحَيَاةِ بَلْ هُوَ الْحَيَاةُ الْفَاضِلَةُ، وَأَنْ  
يَعْبُدُوا هُنَاكَ اللَّهُ دُونَ أَنْ يَقِفَ مَانِعٌ يَحُولُ دُونَ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ  
سَاعَةَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا.

وَأَخِيرًا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَاسْتَقْبَلَهُ أَهْلُ يَثْرِبَ  
مُسْتَبَشِرِينَ فَرَحِينَ بِاسْتِقْبَالِ حَيَاةٍ جَدِيدَةٍ بِجَانِبِ رَسُولِهِمْ  
الْكَرِيمِ، طَالَمَا كَانُوا يَحْلُمُونَ بِهَا، وَعَرَفَتْ مَدِينَتُهُمْ يَثْرِبُ  
بِاسْمِ (الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ) أَيِ الَّتِي أُنِيرَتْ بِالْخَيْرِ بِقُدُومِ  
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَكَانَ أَوَّلَ عَمَلٍ قَامَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ أَنْ وَصَلَ إِلَى

الْمَدِينَةِ أَنْ بَنَى الْمَسْجِدَ الَّذِي أَضْحَى نَادِيًا لِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا  
 بَعْدَ أَنْ كَانَ لِكُلِّ قَبِيلَةٍ أَوْ بَطْنٍ أَوْ فَرْعٍ نَادٍ  
 يَجْتَمِعُونَ فِيهِ وَيَسْمُرُونَ بِهِ، وَيَتَبَادَلُونَ الرَّأْيَ فِيمَا بَيْنَهُمْ.  
 وَهَكَذَا فَقَدْ تَوَحَّدَتِ الْقَبَائِلُ فِي صَفٍّ وَاحِدٍ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ  
 مُتَفَرِّقَةً.

وَبَعْدَ ذَلِكَ أَخَى الرَّسُولُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ  
 وَمُهَاجِرِينَ، وَقَدْ تَكُونُ الْمُوَاخَاةُ بَيْنَ مُهَاجِرِينَ أَوْ  
 أَنْصَارٍ، أَوْ بَيْنَ مُهَاجِرٍ وَأَنْصَارِيٍّ وَلِذَا فَلَيْسَتْ  
 هَذِهِ الْمُوَاخَاةُ لِأَسْبَابِ اقْتِصَادِيَّةٍ كَمَا يَحُلُو لِلْمُورَخِينَ أَنْ  
 يَجْعَلُوهَا، وَإِنَّمَا كَانَتْ لِتَوْحِيدِ قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا  
 لِيَتِمَكَّنُوا مِنَ الْوُقُوفِ فِي وَجْهِ يَهُودَ حِيرَانِهِمْ فِي الْأَسْكَنِ،  
 وَلِيَكُونَ الْمُسْلِمُونَ أُمَّةً وَاحِدَةً مِنْ سَائِرِ النَّاسِ.

وَلَكِنْ بَدَتْ بَعْضُ الْجَوَانِبِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ مِنْ بَابِ الْاِخْوَةِ  
 لَا مِنْ بَابِ اَلْمَادَّةِ وَذَلِكَ عِنْدَمَا تَكُونُ الْمُوَاخَاةُ بَيْنَ مُهَاجِرٍ  
 وَأَنْصَارِيٍّ فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَى بَيْنَ عَبْدِ  
 الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ سَعْدٌ لِعَبْدِ  
 الرَّحْمَنِ: إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا فَأَقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْنِ، وَلِي

أَمْرَاتَانِ ، فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمَّهَا لِي أَطْلَقَهَا ، فَإِذَا  
 أَنْقَضْتَ عِدَّتَهَا فَتَزَوَّجَهَا ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي  
 أَهْلِكَ وَمَالِكَ ، وَلَكِنْ دَلَّنِي عَلَى السُّوقِ .

وَأَخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَأَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ  
 الْجَرَّاحِ <sup>(١)</sup> فَكَانَتِ الْعَلَاقَةُ بَيْنَهُمَا عِلَاقَةُ الْأَخِ مَعَ أَخِيهِ الْأَخِ  
 فِي اللَّهِ لَا فِي الدَّمِ أَوْ الْجَنْسِ أَوْ اللَّغَةِ أَوْ الْأَرْضِ أَوْ  
 الْمَصْلَحَةِ وَالْمَنْفَعَةِ ، أَوْ آيَةِ أَخُوَّةٍ يُمَكِّنُ أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهَا أَوْ  
 يُسَمَّى بِهَا فِي الْمَاضِي أَوْ الْحَاضِرِ أَوْ الْمُسْتَقْبَلِ الْبَعِيدِ ، فَإِنَّ  
 الْأَخُوَّةَ فِي اللَّهِ تَسْمُو عَلَى كُلِّ رَابِطَةٍ أَوْ صِلَةٍ أَوْ نَسَبٍ ، وَلَمْ  
 تَكُنْ هَذِهِ الْمُوَاخَاةُ بِنَاءً عَلَى الظُّرُوفِ الَّتِي أَقْتَضَتْ ذَلِكَ ،  
 وَإِنَّمَا مُوَاخَاةُ أَمْرِ اللَّهِ بِهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ ، وَجَعَلَهَا  
 الْأَخُوَّةَ الْوَحِيدَةَ لَا أَخُوَّةَ غَيْرَهَا بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى « إِنَّمَا  
 الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » .

وَبَعْدَ أَنْ تَوَحَّدَتِ الْقُلُوبُ قُلُوبُ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعاً فِي  
 الْمَدِينَةِ ، وَادَّعَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَهُودَ لِتَكُونَ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا

---

(١) ويروي أن رسول الله ﷺ قد أخى بين سعد بن معاذ وسعد بن أبي  
 وقاص والله أعلم .

كِتْلَةً وَاحِدَةً تَسْتَطِيعُ الْوُقُوفَ أَمَامَ قُرَيْشٍ أَوْ غَيْرِهَا فِيمَا إِذَا  
فَكَّرَتْ فِي مُدَاهِمَتِهَا، وَحَتَّى لَا تَبْقَى ثَغْرَةٌ يَسْتَطِيعُ الْعَدُوُّ أَنْ  
يَنْفُذَ مِنْ خِلَالِهَا إِلَى الْمَدِينَةِ .

## سَعَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَعْرَكَةِ بَذْرِ

سَعِدَ الْمُسْلِمُونَ بِالْحَيَاةِ الْفَاضِلَةِ مَعَ رَسُولِهِمُ الْكَرِيمِ ﷺ ، وَلَكِنْ لَمْ يَصْلُوا إِلَى هَدَفِهِمْ بَعْدُ ، فَلَا الْحُصُولُ عَلَى الْمَالِ هُوَ غَايَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْحَيَاةِ ، وَلَا الرِّاحَةُ الْبَدَنِيَّةُ ، وَلَا تَمَلُّكُ الْمَتَاعِ وَالْوُصُولُ إِلَى الرِّغْبَاتِ ، وَإِنَّمَا غَايَتُهُمْ تَطْبِيقُ حُكْمِ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، وَهَذَا لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْجِهَادِ ، وَلَنْ تَكُونَ دَعْوَةُ آتِذَاكَ إِلَّا بِإِزَالَةِ أَكْبَرِ قُوَّةٍ تَقِفُ فِي وَجْهِ الْمُسْلِمِينَ وَهِيَ قُرَيْشٌ ، وَلَمْ يَكُنِ الْقِتَالُ قَدْ شَرَعَ بَعْدُ .

شَرَعَ الْقِتَالُ بِقَوْلِ اللَّهِ : « أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ، لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ، وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ . الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوْا الزَّكَاةَ ، وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ . وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ

الْأُمُور<sup>(١)</sup>» ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى «وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ<sup>(٢)</sup>» أَيْ حَتَّى لَا يُفْتَنَ مُؤْمِنٌ عَنْ دِينِهِ، وَلَا يُعْبَدَ غَيْرُ اللَّهِ، وَيَكُونَ الدِّينُ مِنْهُمْجَ النَّاسِ فِي حَيَاتِهِمْ لَا صِلَةً فَقَطْ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ فَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي الْمَدِينَةِ الْغَزَوَاتِ وَالسَّرَايَا الْوَاحِدَةَ تِلْوَ الْأُخْرَى لِهَذَا الْغَرَضِ وَهُوَ مُنَازَلَةُ قَوَافِلِ قُرَيْشٍ الَّتِي تَغْدُو وَتَرْوَحُ إِلَى الشَّامِ وَفِيهَا أَمْوَالُ قُرَيْشٍ لِإِثْبَاتِ الْكِيَانِ الْإِسْلَامِيِّ، وَإِجْبَارِ قُرَيْشٍ عَلَى الْإِعْتِرَافِ بِهَذَا الْكِيَانِ، وَلِتَسْمَعَ الْقَبَائِلُ بِالْإِسْلَامِ وَتَعْلَمَ مَرْكَزَ دَوْلَتِهِ، فَتَسْأَلَ، وَتَصِلَ إِلَى الْحَقِيقَةِ فَيَنْتَشِرَ الْإِسْلَامُ، فَإِنَّ آيَةَ فِكْرَةٍ لَيْسَتْ لَهَا قُوَّةٌ تَدْعُمُهَا، فَإِنَّ ذِكْرَهَا لَنْ يَرْتَفِعَ وَلَنْ يُقْبَلَ النَّاسُ عَلَيْهَا.

وَقَدْ عَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ هَذِهِ الْمَنَاطِقَ الَّتِي حَوْلَ الْمَدِينَةِ وَبِخَاصَّةِ الْجِهَاتِ الْقَرِيبَةِ مِنْهَا حَيْثُ تَمُرُّ قَوَافِلُ قُرَيْشٍ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَكُونَ نَقْطَةً التَّمَاسُّكِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَقُرَيْشٍ، وَتَسْتَدُورُ فِيهَا رَحَى الْحَرْبِ الْمُنْتَظَرَةِ، لِذَا لَا بُدَّ مِنْ دِرَاسَتِهَا وَمَعْرِفَةِ طَبِيعَتِهَا، وَالْإِصْطِلَاقِ بِقَبَائِلِهَا وَمُحَاطَلَةِ

(١) الحج الآيتان: ٣٩ - ٤٠ .

(٢) البقرة الآية: ١٩٣ .

كَسَبَهُمْ إِلَى الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَوْ إِلَى صَفِّهِمْ أَوْ عَلَى الْأَقْلِّ  
وُقُوفِهِمْ عَلَى الْحِيَادِ فِيمَا إِذَا جَرَتْ الْحَرْبُ فِي دِيَارِهِمْ بَيْنَ  
الْمُسْلِمِينَ وَقُرَيْشٍ ، وَلِهَذَا كَانَتْ غَايَاتُ كَثِيرَةٍ لِهَذِهِ الْغَزَوَاتِ  
وَالسَّرَايَا الَّتِي سَبَقَتْ غَزْوَةَ بَدْرٍ . وَكَانَتْ إِحْدَى هَذِهِ الْقَوَافِلِ  
بِقِيَادَةِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ مَائَتِي  
رَاكِبٍ لِلتَّعَرُّضِ لَهَا ، وَلَكِنْ مَا إِنْ وَصَلَ الْعَشِيرَةَ حَتَّى عَلِمَ  
أَنَّهَا مَرَّتْ قَبْلَ يَوْمٍ ، وَلَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يُدْرِكَهَا ، فَعَادَ إِلَى الْمَدِينَةِ  
بَعْدَ أَنْ أَبْقَى سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ وَطَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدٍ اللَّهُ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُمَا يَرْصُدَانِهَا حَتَّى تَعُودَ ، فَقَامَا بِالْأَمْرِ ، وَلَمَّا أَدْرَكَا عَوْدَتَهَا ،  
أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ لِلْخُرُوجِ إِلَى الْقَافِلَةِ  
بِقَوْلِهِ :

« هَذِهِ عِيرُ قُرَيْشٍ فِيهَا أَمْوَالُهُمْ فَأَخْرُجُوا إِلَيْهَا لَعَلَّ اللَّهَ  
يَنْفُلَكُمْ مَوَاهِبَهَا » وَهَذِهِ الدَّعْوَةُ لَمْ تَكُنْ إِجْبَارًا لِيُخْرَجَ الْمُسْلِمُونَ  
جَمِيعًا وَلَا اسْتِنْفَارًا لِيَضَعَ الْمُسْلِمُونَ كُلٌّ إِمْكَانَاتِهِمْ ، وَإِنَّمَا  
كَانَتْ تَخْيِيرًا فَإِنَّ عَدَدَ الرُّكْبَانِ فِي الْقَافِلَةِ لَا يَزِيدُ عَلَى  
الْأَرْبَعِينَ ، وَلَا يَحْتَاجُ التَّغَلُّبُ عَلَيْهِمْ إِلَى قُوَّةٍ كَبِيرَةٍ ، كُلُّ ذَلِكَ  
لِأَمْرِ أَرَادَهُ اللَّهُ حَتَّى لَا يَخْرَجَ الْمُسْلِمُونَ بِأَجْمَعِهِمْ وَعِنْدَهَا

تَكَافَأَ الْقَوَاتَانِ ، وَلَا يَكُونُ لِلنَّصْرِ أَهَمِّيَّةٌ كَبِيرَةٌ وَصَدَى عَظِيمٌ  
حَيْثُ تُحْتَمَلُ الْغَلْبَةُ وَلَا يَظْهَرُ تَأْيِيدُ اللَّهِ وَمَدَدُهُ ، وَأَثَرُ الْإِيمَانِ  
وَقُوَّتُهُ .

خَرَجَ الْمُسْلِمُونَ يَقُودُهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَلَا يَزِيدُ  
عَدَدُهُمْ عَلَى ثَلَاثِمِائَةٍ إِلَّا قَلِيلاً ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّ الْخُرُوجَ لَيْسَ  
إِلَّا لِلْقَافِلَةِ . وَشَعَرَتِ الْقَافِلَةُ بِخُرُوجِ الْمُسْلِمِينَ فَاسْتَنْجَدَتْ  
بِقُرَيْشٍ ، وَغَيَّرَتْ طَرِيقَهَا فَنَجَتْ ، بَيْنَمَا جَاءَتْ قُرَيْشٌ بِقُوَّتِهَا  
وَجَبَرُوتِهَا وَخِيَلَاتِهَا لِنُتْقَدَ الْقَافِلَةَ ، وَتَوَدَّبَ الْمُسْلِمِينَ - عَلَى  
رَعْمِهَا - .

أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَبَرُ سَيْرِ قُرَيْشٍ ، وَعَلِمَ أَنَّهَا  
الْحَرْبُ ، وَكَانَ يُرِيدُهَا ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَوْثِقَ مِنْ صَحْبِهِ .

فَاسْتَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ وَأَحْسَنَ . ثُمَّ قَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ  
اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ ، وَأَحْسَنَ . ثُمَّ قَامَ الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو <sup>(١)</sup> فَقَالَ : يَا

---

(١) المقداد بن عمرو بن ثعلبة العامري . ويقال له : المقداد بن الاسود

الكندي الحضرمي ، لأن أباه أصاب دماً في قومه ، فلحق بمحضر موت ، وحالف  
كندة ، وتزوج منهم امرأة ، فولدت له المقداد ، ولما كبر المقداد تشاجر مع أبي  
شمر بن حجر الكندي فضرب المقداد رجله بالسيف ، وهرب إلى مكة ، وحالف =



رَسُولَ اللَّهِ آمُضْ لِمَا أَرَاكَ اللَّهُ، فَتَحْنُ مَعَكَ، وَاللَّهُ لَا نَقُولُ  
لَكَ مَا قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلًا إِنَّا  
هَاهُنَا قَاعِدُونَ، وَلَكِنْ: أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلًا إِنَّا مَعَكُمْ  
مُقَاتِلُونَ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَوْ سِرْتُ بِنَا إِلَىٰ بَرِّكَ  
الْغِمَادِ <sup>(١)</sup> لَجَالَدْنَا مَعَكَ مِنْ دُونِهِ حَتَّىٰ تَبْلُغَهُ <sup>(٢)</sup>.

فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ خَيْرًا، وَدَعَا لَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشِيرُوا  
عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ - وَإِنَّمَا يُرِيدُ الْإِنصَارَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا  
أَكْثَرَ النَّاسِ، وَأَنَّهُمْ حِينَ بَايَعُوهُ بِالْعَقَبَةِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ  
إِنَّا بَرَاءٌ مِنْ ذِمَامِكَ حَتَّىٰ تَصِلَ إِلَىٰ دِيَارِنَا. فَإِذَا وَصَلْتَ إِلَيْنَا،  
فَأَنْتَ ذِمَّتُنَا، نَمْنَعُكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا. فَخَشِيَ  
رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَفْهَمَ الْإِنصَارُ أَنَّ هَذِهِ الْحَرْبَ خَارِجَ الْمَدِينَةِ،  
وَلَيْسُوا مُلْزَمِينَ بِالْقِتَالِ، أَوْ يَرَوْا أَنَّهُمْ خَرَجُوا لِلْعِيرِ، وَأَنَّهُمْ  
عَلَىٰ غَيْرِ اسْتِعْدَادٍ لِهَذِهِ الْمَعْرَكَةِ غَيْرِ الْمُتَكَافِئَةِ، فَلَمَّا قَالَ

---

= الاسود بن عبد يغوث فتبناه الاسود ولذلك قيل له ابن الاسود وغلب عليه ذلك  
ولما نزلت (ادعوهم لأبائهم) سمي المقداد بن عمرو. هاجر المهجرتين وكان  
مقدماً رضي الله عنه، توفي سنة ثلاث وثلاثين للهجرة.

(١) برك الغماد: مكان في آخر الجزيرة في بلاد اليمن.

(٢) وفي رواية أخرى، ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك  
وخلفك.

ذَلِكَ قَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَاللَّهِ  
لَكَأَنَّكَ تُرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَجَلٌ، فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ  
اللَّهِ قَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ،  
وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَائِقَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ  
لَكَ، فَاْمُضْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أَرَدْتَ، فَنَحْنُ مَعَكَ، فَوَالَّذِي  
بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا الْبَحْرَ فَخَضْتُهُ، لَخَضْنَاهُ  
مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَمَا نَكَرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا  
عَدُوَّنَا غَدًا، إِنَّا لَصَبْرٌ فِي الْحَرْبِ، صَدُقَ عِنْدَ الْإِلْقَاءِ، لَعَلَّ اللَّهَ  
يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرَّبَ بِهِ عَيْنُكَ، فَسِرْ عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ (١).

فَسَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِ سَعْدٍ، وَنَشَطَهُ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ:  
سِيرُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَاللَّهِ  
لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ (٢).

وَقَفَّ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرَّةً أُخْرَى قَبْلَ

---

(١) وفي رواية أخرى: لعلك أن تكون يا رسول الله قد خرجت لأمر،  
وأحدث الله اليك غيره فانظر الذي أحدث الله إليك فامض. فصل حبال من  
شئت، واقطع حبال من شئت، وعاد من شئت، وسالم من شئت خذ من أموالنا ما  
شئت، واعطنا ما شئت، وما أخذت منا، كان أحب إلينا مما تركت.

(٢) روى مسلم أن رسول الله ﷺ كان يقول هذا مصرع فلان ويضع يده  
هاهنا وهاهنا، قال فهامات أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ.

الْمَعْرَكَةِ مُخَاطِبًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلَا نَبْنِي لَكَ عَرِيشًا<sup>(١)</sup> تَكُونُ فِيهِ وَتَقْعُدُ عِنْدَكَ رَكَائِبُكَ ثُمَّ نَلْقَى عَدُوَّنَا، فَإِنْ أَعَزَّنَا اللَّهُ وَأَظْهَرَنَا عَلَى عَدُوَّنَا كَانَ ذَلِكَ مَا أَحْبَبْنَا، وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى، جَلَسْتَ عَلَى رَكَائِبِكَ فَلَحِقْتَ بِمَنْ وَرَاءَنَا، فَقَدْ تَخَلَّفَ عَنْكَ أَقْوَامٌ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا نَحْنُ بِأَشَدَّ حُبًّا لَكَ مِنْهُمْ، وَلَوْ ظَنُّوا أَنَّكَ تَلْقَى حَرَبًا مَا تَخَلَّفُوا عَنْكَ، يَمْنَعُكَ اللَّهُ بِهِمْ، يُنَاصِحُونَكَ وَيُجَاهِدُونَ مَعَكَ<sup>(٢)</sup>. فَأَتْنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْرًا، وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ، ثُمَّ بَنِي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَرِيشًا فَكَانَ فِيهِ.

يَظْهَرُ مِنْ قَوْلِ هَذَا الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طَاعَتُهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَدَمُ تَخَوُّفِهِ مِنَ الْمَوْتِ، وَأَنَّهُ قَادِمٌ عَلَيْهِ لَا مَحَالَةَ وَذَلِكَ فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ، وَلَكِنَّهُ إِنْ خَافَ فَإِنَّمَا

(١) العريش: شبه خيمة يستظل به.

(٢) كان ممن تخلف عن بدر أحد سادات الاوس وهو أسيد بن حضير رضي الله عنه، وقد اسرع للقاء الرسول ﷺ في الروحاء يهنئه بالنصر، وقد قال له معتذراً: والله يا رسول الله ما كان تخلفي عن بدر وأنا أظن أنك تلقى عدواً. ولكن ظننت أنها غير، ولو ظننت أنه عدو ما تخلفت، فقال له الرسول ﷺ: صدقت وكان رضي الله عنه مقداماً، فقد شهد أحداً وثبت، وجرح سبع جراحات وتوفي سنة إحدى وعشرين للهجرة.

يَخَافُ عَلَى مُسْتَقْبَلِ الْإِسْلَامِ ، فَيَحْرِصُ كُلَّ الْحَرِصِ عَلَى حَيَاةِ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ ، فَيَرْغَبُ فِي انْقَاذِهِ وَالْقِتَالِ دُونَهُ حَتَّى تَسْتَمِرَّ الدَّعْوَةُ وَيَنْفِذَ أَمْرُ اللَّهِ .

وَبِنَاءٍ عَلَى اقْتِرَاحِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بُنِيَ الْعَرْشُ ، وَتَمَّ إِنشَاءُ حَرَسٍ لِقِيَادَةِ الرَّسُولِ ﷺ ، وَهِيَ فِرْقَةٌ تَمَّ اخْتِيَارُهَا مِنْ فِتْيَانِ الْأَنْصَارِ ، وَتَوَلَّى سَعْدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قِيَادَتَهَا بِنَفْسِهِ لِيُطْمَئِنَّ عَلَى سَلَامَةِ الْحِمَايَةِ .

وَدَارَتْ الْمَعْرَكَةُ وَحَمِيَ الْوَطِيسُ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَيَّدَهُمْ بِنَصْرِهِ ، وَأَمَدَّهُمْ بِجُنْدٍ لَمْ يَرَوْهَا ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَكَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ، وَفَرَّتْ قُرَيْشٌ وَوَضَعَ الْمُسْلِمُونَ أَيْدِيَهُمْ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْعَرْشِ ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَائِمٌ عَلَى بَابِ الْعَرْشِ ، مُتَوَشِّحُ السَّيْفِ ، فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يَحْرُسُونَ الرَّسُولَ ، يَخَافُونَ عَلَيْهِ كَرَّةَ الْعَدُوِّ ، وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي وَجْهِ سَعْدٍ الْكَرَاهِيَةَ لِمَا يَصْنَعُ النَّاسُ مِنْ أَسْرِ الرِّجَالِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : وَاللَّهِ لَكَأَنَّكَ يَا سَعْدُ تَكْرَهُ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ ، قَالَ : أَجَلُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَأَنْتَ أَوَّلُ وَفَعَةٍ أَوْفَعَهَا اللَّهُ بِأَهْلِ الشِّرْكِ ، فَكَانَ الْإِثْخَانُ فِي الْقَتْلِ بِأَهْلِ

الشِّرْكِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ اسْتِيقَاءِ الرِّجَالِ .

إِنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يُحِبُّ أَنْ يَرَى رَجُلًا تَمَكَّنَ  
الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ، وَبَقُوا أَحْيَاءَ، وَقَدْ حَارَبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،  
وَأَخْرَجُوهُ وَقَاتَلُوهُ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ إِلَّا أَنْ يَرَى عَاقِبَةَ أَمْرِهُمْ قِتْلًا  
فِي الدُّنْيَا وَخُسْرَانًا فِي الْآخِرَةِ، إِنَّ النَّفْسَ الْبَشَرِيَّةَ لَا تَرْغَبُ  
إِلَّا أَنْ تَرَى عَاقِبَةَ عَدُوِّهَا الْمُبِينِ سَرِيعَةً أَمَامَ عَيْنَيْهَا .

وَكَانَ سَعْدٌ يَرَى أَنَّ عِدَاءَ قُرَيْشٍ سَيَسْتَمِرُّ وَأَنَّ هُدَاهُمْ  
بَعِيدٌ بَعْدَ أَنْ فَعَلُوا مَا فَعَلُوا بِرَسُولِ اللَّهِ وَأَنَّ أَمْرَ نُبُوَّتِهِ وَاضِحٌ  
تَمَامَ الْوُضُوحِ ، وَلَا يُنْكِرُهُ إِلَّا مَنْ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ الضَّلَالَةَ، وَمَنْ  
كَانَتْ هَذِهِ الْحَالُ حَالَهُ فَالْقَتْلُ أَوْلَى بِهِ .

وَعَادَ الْجَيْشُ الْإِسْلَامِيُّ الْمُنْتَصِرُ إِلَى الْمَدِينَةِ، يَحْمِلُ مَعَهُ  
الْأَسْرَى، وَيَزِيدُ عَدَدَهُمْ عَلَى السَّبْعِينَ، وَهُمْ مِنْ وَجْهَاءِ  
قُرَيْشٍ وَزَعَمَائِهَا، وَمِمَّنْ عَادُوا رَسُولَ اللَّهِ وَآذَوْهُ، وَاسْتَشَارَ  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَاحِبَهُ فِي أَمْرِهِمْ: أَلَمْ نَأْوِ الْفِدْيَةَ وَكَانَ رَأْيُ  
سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنْ يُقْتَلَ الْأَسْرَى فَلَمْ يَتَأَثَّرَا  
لِرُؤْيَيْهِمْ صَاغِرِينَ، وَلَمْ يَرْتَبَا لِحَالِهِمْ، وَهُمْ أَذِلَاءٌ مُقَيَّدُونَ،  
وَالْبَطْلُ يَرْنِي لِحَالِ الْبَطْلِ، وَيُشْفِقُ الْوَجِيهُ عَلَى حَالِ

الْكَبِيرِ، وَيَرْحَمُ السَّيِّدُ عَزِيزَ قَوْمٍ ذَلَّ، وَلَكِنْ مِنْ أَيْنَ تَأْنِي  
الشَّفَقَةُ وَالرَّحْمَةُ وَقَدْ ارْتَكَبُوا أَكْبَرَ ذَنْبٍ فِي الدُّنْيَا فِي نَظَرِ  
هَذَا الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ... ذَنْبِ مُحَارَبَةِ اللَّهِ  
وَرَسُولِهِ وَإِذَا نَبِيَّهِ وَإِخْرَاجِهِ مِنْ دَارِهِ وَمَوْطِنِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ.

قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَسْرَى الْفِدْيَةُ بِنَاءً عَلَى رَأْيِ  
أَصْحَابِهِ الْآخَرِينَ بِمَا فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،  
وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْأَسْرَى عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبْنَاءُ  
عُمُوْمَتِهِ عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَنَوْفَلُ بْنُ الْحَارِثِ، وَزَوْجُ  
ابْنَتِهِ زَيْنَبُ أَبُو الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ.

مَضَى الْأَسْرَى إِلَى مَدِينَتِهِمْ مَكَّةَ بَعْدَ أَنْ أَدَّوْا الْفِدْيَةَ وَجَاءَ  
قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ مُؤَيَّدًا رَأْيَ سَعْدٍ  
وَعُمَرَ فِي الْأَسْرَى « مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى  
يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ  
وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » (١).

وَرَوَى عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ  
لَقِيَ عُمَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ: « كَادَ يُصِيبُنَا فِي خِلَافِكَ بَلَاءٌ » (٢).

(١) الأنفال: آية: ٦٧.

(٢) أورده السيوطي في الدر ٢٠٢/٣ عن أبي نعيم في الحلية عن طريق  
مجاهد عن ابن عمر.

## سَعْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَعْرَكَةِ أَحُدٍ

بَعْدَ أَنْ رَجَعَتْ فُلُولُ قُرَيْشٍ مِنْ بَدْرٍ، وَوَصَلَتْ الْعِيرُ،  
بَدَأَ التَّحْرِيزُ لِحَرْبِ الْمُسْلِمِينَ، وَاسْتَعَانَ الْمُشْرِكُونَ بِمَالِ  
الْقَافِلَةِ فِي حَرْبِهِمْ وَاجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ عَلَى ذَلِكَ، وَخَرَجَتْ مَعَ  
مَنْ أَنْضَمَ إِلَيْهَا مِنَ الْعَرَبِ وَالْأَحَابِيشِ<sup>(١)</sup>، وَأَخْرَجُوا مَعَهُمُ  
النِّسَاءَ فِي الْهُوَادِجِ لِلِاتِّمَاسِ الْحَفِیْظَةِ وَلِكَلَّا يَفِرُّوا .

وَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَشَارَ النَّاسَ فِي  
الْأَمْرِ فَقَالَ: « إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُقِيمُوا بِالْمَدِينَةِ وَتَدْعُوهُمْ حَيْثُ  
نَزَلُوا، فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَقَامٍ، وَإِنْ هُمْ دَخَلُوا عَلَيْنَا  
قَاتَلْنَاهُمْ فِيهَا » وَكَانَ رَأْيُ بَعْضِهِمُ الْبَقَاءَ فِي الْمَدِينَةِ وَرَأْيُ  
بَعْضِهِمُ الْآخِرَ الْخُرُوجَ وَهُمْ غَالِبًا مِمَّنْ فَاتَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ وَمِنْ  
الْمُتَحَمِّسِينَ وَالَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُوصَفُوا بِالْجُبْنِ، أَمَّا سَعْدُ  
ابْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلَمْ يَتَحَدَّثْ فِي الْأَمْرِ، وَتَرَكَ الرَّأْيَ

---

(١) الاحابيش قبائل تحالفت بعضها مع بعض بواد يقال له الأحبش بأسفل  
مكة، فنسبوا بعدها إلى ذلك الحلف وأشهر هذه القبائل بنو الحارث بن عبد مناة  
وبنو المصطلق .

لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَصَرَّفُ كَيْفَ يُرِيدُ، فَإِنَّمَا هُوَ جُنْدِيٌّ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيُدَافِعُ عَنِ الدَّعْوَةِ فِي أَيِّ مَكَانٍ يَرَاهُ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَعَلَى أَيِّ جَبْهَةٍ يَخْتَارُهَا .

دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتَهُ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَلَبَسَ لَأَمْتَهُ وَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ نَدِمَ النَّاسُ، وَقَالُوا: أَسْتَكْرَهَنَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَنَا ذَلِكَ فَلَمَّا خَرَجَ عَلَيْهِمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَسْتَكْرَهْنَاكَ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَنَا، فَإِنْ شِئْتَ فَاقْعُدْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ إِذَا لَبَسَ لَأَمْتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ، ثُمَّ سَارَ بِأَصْحَابِهِ، وَمَا إِنْ قَطَعَ مَسَافَةً خَارِجَ الْمَدِينَةِ حَتَّى أَنْخَذَلَ عَنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي آيِبٍ سُلُوكَ بَثْلَثِ النَّاسِ، وَهُوَ يَوْمَذَلِكَ رَأْسُ الْمُنَافِقِينَ .

وَصَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَبَلٍ أَحَدٍ، فَوَضَعَ خَمْسِينَ مِنَ الرُّمَاهُ عَلَى الْجَبَلِ الَّذِي عُرِفَ بِأَسْمِهِمْ، وَأَمَرَهُمْ أَلَّا يَبْرَحُوا مَكَانَهُمْ، مَهْمَا كَانَ مِنْ أَمْرٍ، وَأَدَارَ ظَهْرَهُ لِلْجَبَلِ، وَابْتَدَأَتْ الْمَعْرَكَةُ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ نَصْرَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَصَدَقَهُمْ وَعْدُهُ، وَكَانَتْ هَزِيمَةً قَرِيشٍ لَا شَكَّ فِيهَا، وَظَنَّ الرُّمَاهُ أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ أَنْتَهَى، وَأَسْرَعُوا يَلَاْحِقُونَ الْمُشْرِكِينَ، وَيَجْمَعُونَ الْغَنَائِمَ، فَأَنْكَشَفَ ظَهْرُ الْمُسْلِمِينَ، فَالْتَفَّ عَلَيْهِمْ مِنْ خَلْفِ الْجَبَلِ خَالِدٌ



ابْنُ الْوَلِيدِ بِخَيْلِهِ - لَمْ يَكُنْ قَدْ أَسْلَمَ بَعْدُ - وَوَقَعَ الْمُسْلِمُونَ  
 بَيْنَ نَارَيْنِ وَنَادَى مُنَادِي الْمُشْرِكِينَ أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ،  
 وَعَادَتْ قُرَيْشٌ إِلَى لِيَاثِهَا، فَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ وَأَصَابَ فِيهِمْ  
 الْعَدُوُّ، وَكَانَ يَوْمَ بَلَاءٍ عَظِيمٍ . وَأَنخَذَ الْمُسْلِمُونَ عَن  
 رَسُولِهِمْ، فَشَجَّ وَجْهُهُ الْكَرِيمُ، وَجُرِحَتْ شَفْتُهُ، وَكُسِرَتْ  
 رُبَاعِيَّتُهُ، وَوَقَعَ فِي حُفْرَةٍ مِّنَ الْحُفْرِ الَّتِي حَفَرَهَا أَبُو عَامِرٍ  
 الْفَاسِقُ<sup>(١)</sup> قَبْلَ بَدْءِ الْمَعْرَكَةِ وَلَمْ يَعْرِفْهَا الْمُسْلِمُونَ . وَتَبَتَ مَن  
 تَبَتَ، وَكَانَ مِنْهُمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَارْتَقَى  
 الْمُسْلِمُونَ بِرَسُولِهِمُ الْجَبَلَ، وَأَنْصَرَفَتْ قُرَيْشٌ بَعْدَ أَنْ نَادَى  
 أَبُو سُفْيَانَ: إِنَّ مَوْعِدَكُمْ بَدْرٌ لِلْعَامِ الْقَابِلِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ  
 ﷺ لِرَجُلٍ مِّنْ أَصْحَابِهِ: قُلْ: نَعَمْ هُوَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ مَوْعِدٌ .

وَكَانَ قَدْ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبْعُونَ رَجُلًا مِنْهُمْ حَمَزَةُ  
 ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ<sup>(٢)</sup> وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ<sup>(٣)</sup> وَسَعْدُ بْنُ

(١) أبو عامر: هو ابن صيفي النعمان بن مالك بن أمة بن ضبيعة من الأوس  
 وقد ذهب إلى قریش، وأخبرهم بأن الأوس إن رأوه لم يختلف عليه اثنان، وعندما  
 ناداهم قبل أحد خذلوهم وكان يدعى الراهب فسماه رسول الله ﷺ الفاسق، وهو  
 والد حنظلة الذي استشهد يوم أحد رضي الله عنه .

(٢) حمزة بن عبد المطلب: عم رسول الله ﷺ وأخوه في الرضاعة من  
 ثويبة .

(٣) عبد الله بن جحش: ابن عمه رسول الله ﷺ أمه أُميمة بنت عبد =

الرَّيْبِ<sup>(١)</sup> وَعَمَرُو أَبْنُ مُعَاذٍ أَخُو سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ  
أَوْسٍ أَبْنُ أَخِي سَعْدٍ، وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ.<sup>(٢)</sup>

وَكَانَ يَوْمَ أَحَدِ يَوْمِ بَلَاءٍ وَمُصِيبَةٍ وَتَمَحِيصٍ، اخْتَبَرَ اللَّهُ  
بِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَحَقَ بِهِ الْمُنَافِقِينَ مِمَّنْ كَانَ يُظْهَرُ الْإِيمَانُ  
بِلِسَانِهِ، وَهُوَ مُخْفٍ الْكُفْرَ فِي قَلْبِهِ، وَكَانَ يَوْمًا أَكْرَمَ اللَّهُ فِيهِ  
مَنْ أَرَادَ كَرَامَتَهُ بِالشَّهَادَةِ مِنْ أَهْلِ وَلَايَتِهِ.

وَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَقَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا  
جَاءَتْ أُمُّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ تَعْدُو نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ  
عَلَى فَرَسِهِ، وَسَعْدٌ آخِذٌ بِلِجَامِهَا فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ  
أُمِّي... فَقَالَ: مَرْحَبًا بِهَا، فَوَقَفَ لَهَا، فَلَمَّا دَنَتْ مِنْ رَسُولِ  
اللَّهِ ﷺ عَزَّاهَا بِأَبْنِهَا عَمَرُو بْنِ مُعَاذٍ.

فَقَالَتْ: أَمَا إِذْ رَأَيْتُكَ سَالِمًا فَقَدْ أَشْتُوتُ<sup>(٣)</sup> عِنْدِي  
الْمُصِيبَةُ.

= المطلب من السابقين في الاسلام وهو أيضاً أخ لرسول الله في الرضاعة من ثوبية .

(١) سعد بن الربيع: أحد سادات الخزرج . وأحد النقباء الاثني عشر .

(٢) مصعب بن عمير: كانت زوجة حنة بنت جحش أخت عبد الله بن

جحش، وأبنة عمه رسول الله ﷺ وتزوجها طلحة بن عبيد الله بعده .

(٣) اشتويت: قلت وهانت .

ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَهْلِ مَنْ قُتِلَ بِأَحَدٍ، وَقَالَ لَأَمْ سَعْدُ: يَا أُمَّ سَعْدٍ أَبْشِرِي، وَبَشِّرِي أَهْلَهُمْ أَنَّ قَتْلَاهُمْ تَرَافَقُوا فِي الْجَنَّةِ جَمِيعًا، وَقَدْ شَفَعُوا فِي أَهْلِهِمْ جَمِيعًا.

قَالَتْ: رَضِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَبْكِي عَلَيْهِمْ بَعْدَ هَذَا؟ ثُمَّ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَدْعُ لِمَنْ خَلَفُوا مِنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اَللَّهُمَّ أَذْهِبْ حُزْنَ قُلُوبِهِمْ، وَاجْبُرْ مُصِيبَتَهُمْ، وَأَحْسِنْ عَلَى مَنْ خَلَفُوا.

وَمَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِدَارٍ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي (عَبْدِ الْأَشْهَلِ) وَ (ظَفَرٍ)، فَسَمِعَ الْبُكَاءَ وَالنَّوَائِحَ عَلَى قَتْلَاهُمْ، فَذَرَفَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَبَكَى ثُمَّ قَالَ: لَكِنَّ حَمْزَةَ لَا بَوَاكِي لَهُ، فَلَمَّا رَجَعَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ إِلَى دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، أَمَرَ نِسَاءَهُمْ أَنْ يَتَحَرَّضْنَ، ثُمَّ يَذْهَبْنَ فَيَبْكِينَ عَلَى عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بُكَاءَهُنَّ عَلَى حَمْزَةَ خَرَجَ عَلَيْهِنَّ وَهَنَّ عَلَى بَابِ مَسْجِدِهِ يَبْكِينَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَرْجِعْنَ يَرْحَمُكُنَّ اللَّهُ، فَقَدْ آسَيْتُنَّ بِأَنْفُسِكُنَّ، وَنَهَى يَوْمِئِذٍ عَنِ النَّوْحِ. وَقِيلَ: إِنَّهُ لَمَّا سَمِعَ بُكَاءَهُنَّ، قَالَ: رَحِمَ اللَّهُ الْأَنْصَارَ،

فَإِنَّ الْمَوَاسَاةَ - ما عمت<sup>(١)</sup> - لَقَدِيمَةٌ، مُرُوهُنَ فَلْيَنْصَرِفْنَ وَعَلَى  
الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ لَحِقُوا قُرَيْشًا إِلَى حَمْرَاءِ  
الْأَسَدِ<sup>(٢)</sup> لِيُرْهِبُوا الْعَدُوَّ وَلِتَعْرِفَ قُرَيْشٌ أَنَّ بِهِمْ قُوَّةً، وَأَنَّهُمْ  
عَلَى غَيْرِ مَا ظَنَّتْ وَأَنَّ مَا أَصَابَهُمْ لَمْ يَفْتِ فِي عَضْدِهِمْ، إِلَّا أَنَّ  
يَوْمَ أَحَدٍ كَانَ حَادِثًا أَلِيًّا أَضْعَفَ قُوَّةَ الْمُسْلِمِينَ فِي نَظَرِ  
الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ وَمَنْ حَوْلَ الْمَدِينَةِ مِنَ الْأَعْرَابِ، فَطَمِعُوا فِي  
غَزْوِ الْمَدِينَةِ.

وَكَانَتْ حَادِثَةُ الرَّجِيعِ حَيْثُ غَدَرَتْ عَضْلٌ وَالْقَارَةُ<sup>(٣)</sup>  
بِسِتَّةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْسَلَهُمْ مَعَهُمْ لِيَقْفَهُوهُمْ  
فِي الدِّينِ .

ثُمَّ كَانَتْ حَادِثَةُ بَنِي مَعُونَةَ حَيْثُ غَدَرَتْ بَنُو سُلَيْمٍ بِسَبْعِينَ  
مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْسَلَهُمْ لِيَدْعُوا أَهْلَ نَجْدٍ .

وَحَاوَلَ بَنُو النَّضِيرِ مِنَ الْيَهُودِ قَتْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَدْرًا،  
فَحَاصَرَهُمْ، وَأَجْلَاهُمْ عَنِ الْمَدِينَةِ، فَخَرَجُوا إِلَى خَيْبَرَ،

(١) ما علمت .

(٢) حمراء الاسد: موقع جنوب غربي المدينة على بعد ١٠٠ كم منها ويقع  
شمال شرق بدر .

(٣) عضل والقارة: اسم قبيلتين .

وَمِنْهُمْ مَنْ سَارَ إِلَى الشَّامِ .

وَقَدْ قَسَمَ غَنَائِمَ بَنِي النَّضِيرِ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ دُونَ الْأَنْصَارِ  
بَعْدَ اسْتِشَارَةِ الْأَنْصَارِ وَمُوَافَقَتِهِمْ عَلَى ذَلِكَ، وَلَمْ يُعْطِ أَحَدًا  
مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ غَنَائِمِ بَنِي النَّضِيرِ إِلَّا رَجُلَيْنِ فَقِيرَيْنِ، هُمَا:  
سَهْلُ بْنُ حَنْفٍ وَأَبُو دُجَانَةَ، وَقَدْ أُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَيْفَ  
سَيِّدِ بَنِي النَّضِيرِ سَلَامُ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ إِلَى سَيِّدِ الْأَوْسِ  
سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ لِذَلِكَ السَّيْفِ ذِكْرٌ عِنْدَ  
الْعَرَبِ (١) .

---

(١). انظر للتوسع بشأن هاتين الغزوتين: أحد وبني النضير، كتابنا: السيرة النبوية، صدر عن المكتب الاسلامي .

سَعَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ

وَصَلَ خَبَرٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ سَيِّدَ بَنِي الْمُصْطَلِقِ  
الْحَارِثَ بْنَ أَبِي ضِرَارٍ قَدْ أَخَذَ يَحْشُدُ قَوْمَهُ وَمَنْ أَطَاعَهُ مِنْ  
قَبَائِلِ الْعَرَبِ لِيُغْزِيَ الْمَدِينَةَ، وَقَدْ جَمَعَ لِذَلِكَ جُمُوعًا كَثِيرَةً.

وَلَمَّا تَأَكَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْخَبَرِ، أَسْرَعَ إِلَيْهِمْ فِي  
أَوَائِلِ شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِلْهِجْرَةِ، وَعِنْدَمَا أَلْتَقَى بِهِمْ  
أَحَاطَ بِهِمْ، فَمَا أَفْلَتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ عَشْرَةٌ  
قَتَلَى، ثُمَّ اسْتَوْلَى الْجَيْشُ الْإِسْلَامِيُّ عَلَى مَنَازِلِهِمْ وَعَلَى كُلِّ  
مَا فِيهَا، وَاسْتَأَقَ كُلَّ مَا يَمْلِكُونَ مِنَ الْخَيْلِ وَالْشَّاءِ وَالْأَبْلِ،  
وَسَبَى نِسَاءَهُمْ وَذُرَارِيَهُمْ.

وَقَدْ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِنْتَ الْحَارِثِ زَعِيمِ بَنِي  
الْمُصْطَلِقِ بَعْدَ أَنْ أَفْتَدَاهَا أَبُوهَا، وَأَسْلَمَتْ هِيَ وَأَبُوهَا.

ثُمَّ أَطْلَقَ سَرَاحَ الْأَسْرَى وَالسَّبَايَا، وَأَثْنَاءَ عَوْدَةِ الْمُسْلِمِينَ  
إِلَى الْمَدِينَةِ حَدَّثَتْ حَادِثَةُ الْأَفْكِ، وَتَكَلَّمَ فِيهَا رَأْسُ الْنِفَاقِ  
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي.

وَحَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ عَلَى الْمِنْبَرِ: مَنْ  
يُعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي؟ فَوَ اللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى  
أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا،  
وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ  
اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا وَاللَّهِ أُعْذِرُكَ مِنْهُ، إِنْ كَانَ  
مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ  
أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرًا.

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ وَقَدْ  
أَخَذَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ، لَا  
تَقْتُلُهُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ.

فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ: كَذَبْتَ، لَعَمْرُ  
اللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ. <sup>(١)</sup>

---

(١) انظر كتابنا «السيرة النبوية».

## سَعْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَعْرِكَةِ الْخَنْدَقِ

اسْتَطَاعَ الْيَهُودُ الَّذِينَ أَجْلَوْا عَنِ الْمَدِينَةِ، وَاتَّجَّهُوا نَحْوَ خَيْبَرَ، أَنْ يُخْضِعُوا أَهْلَ خَيْبَرَ لِنُفُوذِهِمْ، كَمَا اسْتَطَاعَ بَعْضُ زُعَمَائِهِمْ أَمْثَالِ: سَلَامِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ وَحَيِّ بْنِ أَخْطَبَ أَنْ يُحَرِّضُوا قُرَيْشًا وَعَظَفَانَ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنْ يُحَرِّبُوا الْأَحْزَابَ ضِدَّهُ.

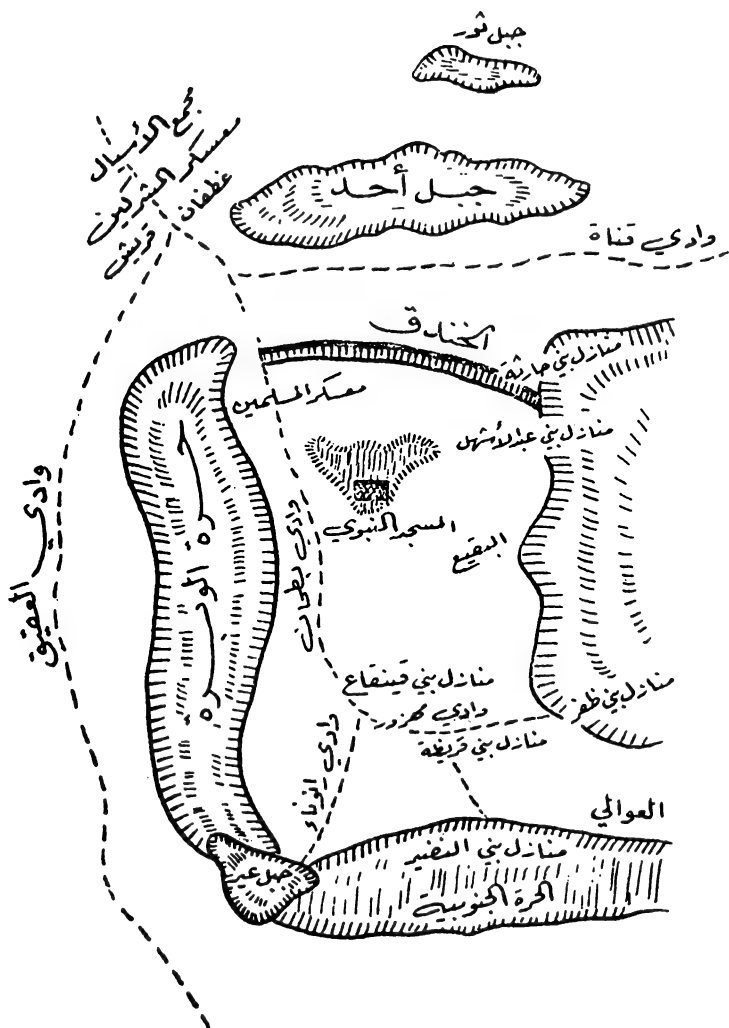
خَرَجَتْ هَذِهِ الْأَحْزَابُ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ، وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ يَقُودُ قُرَيْشًا، وَعَيْيَنَةُ بْنُ حِصْنٍ بْنُ حَذِيفَةَ ابْنِ بَدْرِ<sup>(١)</sup> وَالْحَارِثُ<sup>(٢)</sup> بْنُ عَوْفٍ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ الْمُرِّيَّ يَقُودَانِ عَظَفَانَ. وَعِنْدَمَا وَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَعَلَ الْخَنْدَقَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ بِاقْتِرَاحِ مِنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ.

---

(١) عيينة لقب واسمه الصحيح حذيفة، وإنما لقب بـ (عيننة) لشر كان في إحدى عينيه، وكان زعيم بني فزارة، أسلم، ثم ارتد، وكان مع طليحة المتنبئ، أخذ أسيراً أثناء حروب الردة، ومنّ عليه أبو بكر رضي الله عنه فأظهر الإسلام وكان رسول الله ﷺ يسميه الأحق المطاع.

(٢) الحارث زعيم بني مرة.





وَصَلَّتِ الْأَحْزَابُ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَبَلَغَ تَعْدَادُ جُنْدِهَا عَشْرَةَ  
 آلَافٍ مُقَاتِلٍ وَتَمَرَّكُزُوا جَنُوبَ غَرْبِيِّ جَبَلٍ أَحَدٍ فِي مَجْمَعِ  
 الْأَسْيَالِ وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ  
 وَتَمَرَّكُزُوا شِمَالَ جَبَلٍ سَلْعٍ، وَيفصلُ الْخَنْدَقُ بَيْنَ  
 الْمُعْسَكِرَيْنِ .

نَزَلَ حَيٍّ بْنُ أَخْطَبَ دَارَ بَنِي قُرَيْظَةَ فِي الْمَدِينَةِ، وَدَخَلَ  
 عَلَى كَعْبِ بْنِ أَسَدٍ زَعِيمِ بَنِي قُرَيْظَةَ وَصَاحِبِ عَقْدِهِمْ  
 وَعَهْدِهِمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى نَقَضَ الْعَهْدَ  
 وَبَرَىءَ مِمَّا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ،  
 وَنَزَلَ حَيٍّ مَعَهُ فِي حِصْنِهِ .

وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ نَقْضَ بَنِي قُرَيْظَةَ  
 الْعَهْدَ؛ بَعَثَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ وَسَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ  
 وَخَوَاتَ بْنَ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: انْطَلِقُوا حَتَّى تَنْظُرُوا أَحَقَّ مَا بَلَّغْنَا  
 عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْ لَا؟ فَإِنْ كَانَ حَقًّا، فَالْحَنُوا لِي لِحْنًا  
 أَعْرِفُهُ، <sup>(١)</sup> وَلَا تَفْتُوا فِي أَعْضَادِ النَّاسِ وَإِنْ كَانُوا عَلَى الْوَفَاءِ  
 فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَاجْهَرُوا بِهِ لِلنَّاسِ، فَخَرَجُوا حَتَّى أَتَوْهُمْ،

---

(١) لَحَنَ لَهُ: قَالَ لَهُ قَوْلًا يَفْهَمُهُ وَيَخْفَى عَلَى غَيْرِهِ .

فَوَجَدُوهُمْ عَلَىٰ أَحْبَبَ مَا بَلَغَهُمْ عَنْهُمْ، فِيمَا نَالُوا مِنْ رَسُولِ  
 اللَّهِ ﷺ، وَقَالُوا: مَنْ رَسُولُ اللَّهِ؟ لَا عَهْدَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ  
 وَلَا عَهْدَ، فَشَاتَمَهُمْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيهِ  
 حِدَّةٌ فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: دَعْ عَنْكَ مَشَاتِمَهُمْ، فَمَا بَيْنَنَا  
 وَبَيْنَهُمْ أَرَبِيٌّ مِنَ الْمُشَاتِمَةِ وَنَصَحَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ بَنِي قُرَيْظَةَ  
 وَهُمْ حُلَفَاؤُهُ فِي مُحَاوَلَةِ آخِرَةِ يَدْعُوهُمْ بِالرَّجُوعِ عَنْ غِيهِمْ،  
 وَيُخَوِّفُهُمْ مِنْ عَاقِبَةِ نَفْضِ الْعَهْدِ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ  
 الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ يَا بَنِي قُرَيْظَةَ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ  
 بَنِي النَّضِيرِ أَوْ أَشَدَّ مِنْهُ وَلَكِنَّهُمْ سَخِرُوا مِنْ سَيِّدِ الْأَوْسِ  
 وَتَكَلَّمُوا مَعَهُ كَلِمَاتٍ قَذِرَةً.

فَقَالَ لَهُمْ سَعْدُ: «غَيْرُ هَذَا الْقَوْلِ كَانَ أَجْمَلَ بِكُمْ وَأَحْسَنَ  
 يَا بَنِي قُرَيْظَةَ» فَتَمَادَى يَهُودُ فِي غِيهِمْ، وَنَالُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَلَمَّا يَتَسَّ سَعْدُ، وَتَتَسَّ الْوَفْدُ الَّذِي مَعَهُ تَرَكَوهُمْ، وَعَادُوا  
 إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالُوا: عَظَلْ  
 وَالْقَارَةُ<sup>(١)</sup> فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أَبْشِرُوا يَا مَعْشَرَ  
 الْمُسْلِمِينَ.

(١) أي كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع، خبيب وأصحابه.

وَعَظَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ الْبَلَاءِ وَاشْتَدَّ الْخَوْفُ، وَأَتَاهُمْ عَدُوُّهُمْ  
 مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، حَتَّى ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ كُلَّ ظَنٍّ،  
 وَتَجَمَّ الْإِنْفَاقُ مِنْ بَعْضِ الْمُنَافِقِينَ حَتَّى قَالَ مُعْتَبُ بْنُ  
 قُشَيْرٍ: <sup>(١)</sup> كَانَ مُحَمَّدٌ يَعِدُنَا أَنْ نَأْكُلَ كُنُوزَ كِسْرَى وَقِصْرٍ  
 وَأَحَدُنَا الْيَوْمَ لَا يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْغَائِطِ،  
 وَحَتَّى قَالَ أَوْسُ بْنُ قَيْظِيٍّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ  
 عَلَى الْعَدُوِّ، وَذَلِكَ عَلَى مَلَأٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَذَنْ لَنَا أَنْ نَخْرُجَ،  
 فَنَرْجِعَ، إِلَى دَارِنَا، فَإِنَّهَا خَارِجَ الْمَدِينَةِ.. فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ:

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ  
 جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا  
 تَعْمَلُونَ بَصِيرًا، إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ  
 زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ  
 الظَّنُّونَ: هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا، وَإِذْ  
 يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ  
 وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا، وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا  
 مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا، وَيَسْتَأْذِنَ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ

---

(١) معتب بن قشير من الانصار من قبيلة الاوس من بني عمرو بن عوف،  
 ولم يكن من المنافقين وقد شهدا بدرًا.

يُؤْتَنَا عَوْرَةً وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ، إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا» فَأَقَامَ  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَقَامَ الْمُشْرِكُونَ بَضْعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً، وَلَمْ  
تَكُنْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ إِلَّا الرَّمْيُ بِالنَّبْلِ وَالْحِصَارَ. فَلَمَّا أَشَدَّ عَلَى  
النَّاسِ الْبَلَاءُ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عِيْنَةَ بْنِ حِصْنِ بْنِ  
حَذِيفَةَ بْنِ بَدْرٍ، وَإِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَوْفٍ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ  
الْمُرِّيِّ، وَهُمَا قَائِدَا غَطَفَانَ، فَأَعْطَاهُمَا ثُلُثَ ثِمَارِ الْمَدِينَةِ،  
عَلَى أَنْ يَرْجِعَا بِمَنْ مَعَهُمَا عَنْهُ وَعَنْ أَصْحَابِهِ، فَجَرَى بَيْنَهُ  
وَبَيْنَهُمَا الصُّلْحُ، حَتَّى كَتَبُوا الْكِتَابَ وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الشَّهَادَةُ  
وَلَا عَزِيمَةُ الصُّلْحِ إِلَّا الْمُرَاوَحَةَ فِي ذَلِكَ، وَاسْتِشَارَةَ زُعَمَاءِ  
الْأَنْصَارِ. فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ، بَعَثَ إِلَى  
سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَسَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُمَا وَاسْتَشَارَهُمَا  
فِيهِ فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْرًا تُحِبُّهُ فَتَصْنَعُهُ، أَمْ شَيْئًا أَمَرَكَ  
اللَّهُ بِهِ، لَا بُدَّ لَنَا مِنَ الْعَمَلِ بِهِ، أَمْ شَيْئًا تَصْنَعُهُ لَنَا؟ قَالَ: بَلْ  
شَيْءٌ أَصْنَعُهُ لَكُمْ، وَاللَّهِ مَا أَصْنَعُ ذَلِكَ إِلَّا لِأَنِّي رَأَيْتُ الْعَرَبَ  
قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَكَالَبُوكُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.  
فَأَرَدْتُ أَنْ أَكْسِرَ عَنْكُمْ مِنْ شَوْكَتِهِمْ إِلَى أَمْرٍ مَا، فَقَالَ لَهُ سَعْدُ  
ابْنُ مُعَاذٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ كُنَّا نَحْنُ وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَى  
الشَّرْكِ بِاللَّهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، لَا نَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا نَعْرِفُهُ، وَهُمْ لَا

يَطْمَعُونَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا تَمَرَةً وَاحِدَةً إِلَّا قَرِيًّا أَوْ بَيْعًا، أَفَحِينَ  
أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، وَهَدَانَا لَهُ، وَأَعَزَّنَا بِكَ وَبِهِ، نُعْطِيهِمْ  
أَمْوَالَنَا؟ وَاللَّهُ مَالَنَا بِهَذَا مِنْ حَاجَةٍ، وَاللَّهُ لَا نُعْطِيهِمْ إِلَّا  
السَّيْفَ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :  
فَأَنْتَ وَذَاكَ، فَتَنَاولَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الصَّحِيفَةَ، فَمَحَا مَا فِيهَا مِنْ  
الْكِتَابِ ثُمَّ وَجَّهَ كَلَامَهُ إِلَى سَيِّدِي غُظْفَانَ عِيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ  
وَالْحَارِثِ بْنِ عَوْفٍ، وَرَفَعَ صَوْتَهُ وَقَالَ أَرْجِعَا لَيْسَ بَيْنَنَا  
وَبَيْنَكُمْ سِوَى السَّيْفِ، ثُمَّ قَالَ: لِيَجْهَدُوا عَلَيْنَا وَكَانَ لِهَذَا  
الْكَلَامِ أَثَرُهُ الْحَسَنُ فِي إِضْعَافِ مَعْنَوِيَّاتِ الْخُصْمِ، وَزِيَادَةِ  
مَعْنَوِيَّاتِ الْمُسْلِمِينَ بِمَا فِيهِ مِنْ قُوَّةِ الْعَقِيدَةِ وَشِحَنَاتِ الْإِيمَانِ  
الشَّدِيدَةِ.

وَأَقَامَ الْمُسْلِمُونَ خَلْفَ الْخَنْدَقِ، وَالْأَحْزَابُ يُحَاصِرُونَ  
الْمَدِينَةَ مِنْ خَلْفِهِ، وَحَاوَلَ بَعْضُ أَبْطَالِ الْأَحْزَابِ أَقْتِحَامَ  
الْخَنْدَقِ مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدِّ الْعَامِرِيُّ وَعِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي  
جَهْلٍ وَغَيْرُهُمْ وَبَرَزَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِعَمْرُو  
ابْنِ عَبْدِ وَدِّ الْعَامِرِيِّ الَّذِي دَعَا إِلَى الْمُبَارَاةِ فَقَتَلَهُ عَلِيُّ رَضِيَ  
اللَّهُ عَنْهُ فَوَلَّتْ خِيْلُ الْأَحْزَابِ الْأَذْبَارَ وَافْتَحَمَتِ الْخَنْدَقَ  
مُنْهَزِمَةً إِلَى خَلْفِهِ.

وَلَمْ يَكُنْ مِنْ قِتَالِ بَيْنِ الطَّرَفَيْنِ غَيْرِ ذَلِكَ إِلَّا الرَّمْيَ  
بِالنِّبَالِ وَالْحِصَارَ وَأُثْنَاءَ هَذَا الْحِصَارِ كَانَتْ نِسَاءُ الْمُسْلِمِينَ  
فِي الْحُصُونِ ، كَمَا كَانَ بَعْضُ الرِّجَالِ يَحْمُونَ الْحُصُونَ ،  
وَيُدَافِعُونَ عَنِ النِّسَاءِ فِيمَا إِذَا تَعَرَّضْنَ لِغَارَةٍ أَوْ لِمَكِيدَةٍ مِنَ  
الْخَلْفِ مِنْ قِبَلِ بَنِي قُرَيْظَةَ .

وَكَانَتْ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي حِصْنِ بَنِي  
حَارِثَةَ ، وَكَانَ مِنْ أَحْرَزِ حُصُونِ الْمَدِينَةِ . وَكَانَتْ أُمُّ سَعْدِ بْنِ  
مُعَاذٍ مَعَهَا فِي الْحِصْنِ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : يَا أُمَّ سَعْدٍ وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ  
أَنْ دِرَعَ سَعْدٍ كَانَتْ أَسْبَغَ<sup>(١)</sup> مِمَّا هِيَ ، وَقَالَتْ عَائِشَةُ فِي نَفْسِهَا  
وَحِفْتُ عَلَيْهِ حَيْثُ أَصَابَ السَّهْمُ مِنْهُ ، وَكَانَ قَدْ مَرَّ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ  
مُقْلَصَةٌ<sup>(٢)</sup> ، قَدْ خَرَجَتْ مِنْهَا ذِرَاعُهُ كُلُّهَا ، وَفِي يَدِهِ حَرْبَتُهُ  
يَرْقُدُ<sup>(٣)</sup> بِهَا وَيَقُولُ :

لَبِثْتُ قَلِيلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَا جَمَلُ

لَا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ—<sup>(٤)</sup>

( ١ ) أَسْبَغَ : أَكْمَلَ وَأَطْوَلَ .

( ٢ ) قَصِيرَةٌ ، تَقْلُصُ الشَّيْءَ ارْتِفَعًا وَانْقِبَاضًا .

( ٣ ) يَرْقُدُ ، يَسْرِعُ . أَرْقَدَ : أَسْرَعَ فِي السَّرِّ . لَبِثْتُ : اُنْتَصِرَ .

( ٤ ) الْبَيْتُ لَيْسَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَإِنَّمَا كَانَ يَتَمَثَّلُ بِهِ .

وَمَا إِنْ وَصَلَ سَعْدٌ إِلَى جَانِبِ الْخَنْدَقِ حَتَّى رُمِيَ بِسَهْمٍ  
 أَصَابَهُ فِي الْأَكْحَلِ، <sup>(١)</sup> وَيُقَالُ إِنَّ الَّذِي رَمَاهُ هُوَ حِبَانُ بْنُ  
 قَيْسٍ ابْنِ الْعَرَقَةِ. <sup>(٢)</sup> فَلَمَّا أَصَابَهُ، قَالَ: خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا ابْنُ  
 الْعَرَقَةِ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: عَرَّقَ اللَّهُ وَجْهَكَ فِي النَّارِ، اَللَّهُمَّ إِنْ  
 كُنْتُ أَبْقَيْتَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا، فَأَبْقِنِي لَهَا، فَإِنَّهُ لَا قَوْمَ  
 أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَجَاهِدَهُمْ مِنْ قَوْمٍ آذَوْا رَسُولَكَ وَكَذَّبُوهُ  
 وَأَخْرَجُوهُ، اَللَّهُمَّ وَإِنْ كُنْتُ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ  
 فَأَجْعَلْهَا لِي شَهَادَةً، وَلَا تُمِتَّنِي حَتَّى تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي  
 قُرَيْظَةَ <sup>(٣)</sup>.

---

(١) الْأَكْحَلُ: عِرْقٌ فِي الْبَيْدِ.

(٢) هُوَ ابْنُ قَيْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنْفٍ بْنِ مَنْقَذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَعِيصِ بْنِ عَامِرِ بْنِ  
 لُؤَيٍّ وَالْعَرَقَةُ هِيَ قَلَابَةُ بِنْتُ سَعْدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَهْمٍ وَتَكْنَى أُمُ فَاطِمَةَ، وَاسْمُهَا  
 الْعَرَقَةُ لَطِيبٌ رِيحُهَا وَهِيَ جَدَّةُ خَدِيجَةَ، أُمُّ أُمِّهَا هَالَةُ.

وَيُرْوَى أَنَّ الَّذِي أَصْحَابَ سَعْدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ إِسَامَةُ الْجَشْمِيُّ حَلِيفُ بَنِي  
 مَخْزُومٍ، كَمَا وَيُرْوَى أَنَّ الَّذِي رَمَى سَعْدًا هُوَ خَفَاجَةُ بْنُ عَاصِمِ بْنِ حِبَانَ.

(٣) انْظُرْ كِتَابَنَا «السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ».



سَعْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
فِي غَزْوَةِ بَنِي قُرَيْظَةَ

أَقَامَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْخَوْفِ وَالشَّدَّةِ، لِيَتَظَاهَرِ عَدُوَّهُمْ عَلَيْهِمْ: وَإِتْيَانِهِمْ إِيَّاهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ أَسْفَلِ مِنْهُمْ، حَتَّى جَاء رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ غَطَفَانَ وَهُوَ نَعِيمُ بْنُ مَسْعُودٍ وَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، وَإِنْ قَوْمِي لَمْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي فَمُرْنِي بِمَا شِئْتَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّمَا أَنْتَ فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَخَذَلْ عَنَّا إِنْ أَسْتَطَعْتَ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ، فَخَرَجَ نَعِيمُ بْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَتَى بَنِي قُرَيْظَةَ، وَكَانَ لَهُمْ نَدِيمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَالَ: يَا بَنِي قُرَيْظَةَ، قَدْ عَرَفْتُمْ وَدِّي إِيَّاكُمْ، وَخَاصَّةً مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، قَالُوا: صَدَقْتَ، لَسْتَ عِنْدَنَا بِمُتَّهَمٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ قُرَيْشًا وَغَطَفَانَ لَيْسُوا كَأَنْتُمْ، الْبَلَدُ بَلَدُكُمْ، فِيهِ أَمْوَالُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ، لَا تَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ تَتَحَوَّلُوا مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَإِنَّ قُرَيْشًا وَغَطَفَانَ جَاءُوا لِحَرْبِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، وَقَدْ ظَاهَرْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ. وَبَلَدُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ بِغَيْرِهِ، فَلَيْسُوا كَأَنْتُمْ، فَإِنْ رَأَوْا نُهْزَةً أَصَابُوهَا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ لَحَقُوا بِبِلَادِهِمْ وَخَلَّوْا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الرَّجُلِ بِلَدِكُمْ، وَلَا

طَاقَةً لَكُمْ بِهِ إِنْ خَلَا بِكُمْ، فَلَا تُقَاتِلُوا مَعَ الْقَوْمِ حَتَّى تَأْخُذُوا مِنْهُمْ رَهْنًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ يَكُونُونَ بِأَيْدِيكُمْ ثِقَةً لَكُمْ، عَلَى أَنْ تُقَاتِلُوا مَعَهُمْ مُحَمَّدًا حَتَّى تُتَاجَزُوهُ، فَقَالُوا لَهُ: لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ .

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا، فَقَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ: قَدْ عَرَفْتُمْ وَدِّيَ لَكُمْ وَفِرَاقِي مُحَمَّدًا، وَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَمْرٌ قَدْ رَأَيْتُ عَلَيَّ حَقًّا أَنْ أَبْلِغَكُمْوهُ، نَصْحًا لَكُمْ، فَاکْتُمُوا عَنِّي، إِنَّ مَعْشَرَ يَهُودَ قَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ، وَقَدْ اتَّفَقُوا أَنْ يَأْخُذُوا رَهَائِنَ مِنْكُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَأَنْ يُقَاتِلُوا مَعَ مُحَمَّدٍ، فَإِنْ بَعَثُوا إِلَيْكُمْ يَلْتَمِسُونَ مِنْكُمْ رَهْنًا مِنْ رِجَالِكُمْ فَلَا تَدْفَعُوا إِلَيْهِمْ مِنْكُمْ رَجُلًا وَاحِدًا .

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى غَطَفَانَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ غَطَفَانَ، إِنَّكُمْ أَصْلِي وَعَشِيرَتِي، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَلَا أَرَاكُمْ تَتَّهَمُونِي، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ مَا قَالَ لِقُرَيْشٍ، وَحَذَرَهُمْ مَا حَذَرَهُمْ .

وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ بَيْنَ الْأَحْزَابِ، وَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رِيحًا عَاتِيَةً فِي لَيَالٍ شَاتِيَةٍ بَارِدَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ، فَجَعَلَتْ تُطْفِئُ قُدُورَهُمْ، وَتَقْلَعُ خِيَامَهُمْ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا مَعْشَرَ

قُرَيْشٍ ، إِنَّكُمْ وَاللَّهِ مَا أَصْبَحْتُمْ بِدَارِ مُقَامٍ ، لَقَدْ هَلَكَ  
 الْكُرَاعُ وَالْخَفُّ ، وَأَخْلَفْتَنَا بَنُو قُرَيْظَةَ ، وَبَلَّغْنَا عَنْهُمْ الَّذِي  
 نَكَرَهُ ، وَلَقِينَا مِنْ شِدَّةِ الرِّيحِ مَا تَرَوْنَ ، مَا تَطْمِئِنُّ لَنَا قِدْرٌ ،  
 وَلَا تَقُومُ لَنَا نَارٌ ، وَلَا يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ ، فَأَرْتَحِلُوا إِنِّي  
 مُرْتَحِلٌ .

وَسَمِعَتْ غَطَفَانُ بِمَا فَعَلَتْ قُرَيْشٌ فَأَنْشَمَرُوا رَاجِعِينَ إِلَى  
 بِلَادِهِمْ . أَرْتَحَلْتَ الْأَحْزَابُ ، وَأَنْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ  
 الْخَنْدَقِ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَوَضَعَ الْمُسْلِمُونَ السِّلَاحَ .

فَلَمَّا كَانَ الظُّهْرُ ، أَتَى جَبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : أَوْقَدْ  
 وَضَعْتَ السِّلَاحَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ  
 السَّلَامُ ، فَمَا وَضَعْتَ الْمَلَائِكَةُ السِّلَاحَ بَعْدُ . إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ  
 يَأْمُرُكَ يَا مُحَمَّدُ بِالْمَسِيرِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَإِنِّي عَامِدٌ إِلَيْهِمْ  
 فَمُرُّزِلُ بِهِمْ ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُؤَدِّنًا فِي النَّاسِ : مَنْ كَانَ  
 سَامِعًا مُطِيعًا ، فَلَا يُصَلِّينَ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ .

وَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ بِرَأْيِهِ إِلَى بَنِي  
 قُرَيْظَةَ ، وَسَارَعَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ . وَتَحَصَّنَ الْيَهُودُ  
 دَاخِلَ حُصُونِهِمْ وَطَالَ الْأَمْرُ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَجِدُوا بُدَاءً مِنْ

النَّزُولِ عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ حِصَارِ دَامَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً.

فَلَمَّا أَصْبَحُوا نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَوَأَّبَتْ الْأَوْسُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ مَوَالِينَا دُونَ الْخَزَرَجِ، وَقَدْ فَعَلْتَ فِي مَوَالِي إِخْوَانِنَا بِالْأَمْسِ مَا قَدْ فَعَلْتَ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ بَنِي قُرَيْظَةَ قَدْ حَاصَرَ بَنِي قَيْنُقَاعَ، وَكَانُوا حُلَفَاءَ الْخَزَرَجِ، فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ. فَسَأَلَهُ إِيَّاهُمْ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ، فَوَهَبَهُمْ لَهُ، فَلَمَّا كَلَّمَتْهُ الْأَوْسُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ أَنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَذَاكَ إِلَى سَعْدِ ابْنِ مُعَاذٍ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ جَعَلَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ فِي خِيْمَةٍ لَأَمْرَأَةٍ مِنْ (أُسْلَمَ)، يُقَالُ لَهَا (رُفَيْدَةٌ)، وَفِي مَسْجِدِهِ، كَانَتْ تُدَاوِي الْجَرَحَى، وَتَحْتَسِبُ بِنَفْسِهَا عَلَى خِدْمَةِ مَنْ كَانَتْ بِهِ ضَيْعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَالَ لِقَوْمِهِ حِينَ أَصَابَهُ أَلْسَهُمْ بِالْخَنْدَقِ اجْعَلُوهُ فِي خِيْمَةِ رُفَيْدَةَ، حَتَّى أَعُوْدَهُ مِنْ قَرِيبٍ، فَلَمَّا حَكَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، أَتَاهُ قَوْمُهُ فَحَمَلُوهُ عَلَى حِمَارٍ وَقَدْ وَضَعُوا لَهُ وَسَادَةً مِنْ أَدَمٍ، وَكَانَ رَجُلًا جَسِيمًا جَمِيلًا، ثُمَّ أَقْبَلُوا مَعَهُ عَلَى

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَهُمْ يَقُولُونَ: يَا أَبَا عَمْرٍو، أَحْسِنْ فِي مَوَالِكَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِنَّمَا وَلَّاكَ ذَلِكَ لِتُحْسِنَ فِيهِمْ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ قَالَ: لَقَدْ أَنْ لِسَعْدٍ أَلَّا تَأْخُذَهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً . فَرَجَعَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ إِلَى دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، فَنَعَى لَهُمْ رِجَالُ بَنِي قُرَيْظَةَ ، قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمْ سَعْدٌ ، عَنْ كَلِمَتِهِ الَّتِي سَمِعَهَا مِنْهُ فَلَمَّا أَنْتَهَى سَعْدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ . فَأَمَّا الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَيَقُولُونَ: إِنَّمَا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْأَنْصَارَ ، وَأَمَّا الْأَنْصَارُ ، فَيَقُولُونَ: قَدْ عَمَّ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَامُوا إِلَيْهِ ، فَقَالُوا: يَا أَبَا عَمْرٍو، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ وَلَّاكَ أَمْرَ مَوَالِكَ لِتُحْكَمَ فِيهِمْ ، فَقَالَ سَعْدٌ: أَخْشَى أَلَّا أَصِيبَ فِيهِمْ حُكْمَ اللَّهِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَحْكُمْ ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ - وَقَدْ أَتَجَهَّ نَحْوَ الْأَوْسِ - عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ ، أَنَّ الْحُكْمَ فِيهِمْ كَمَا حَكَمْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ ، وَعَلَى مَنْ هَاهُنَا؟ فِي

النَّاحِيَةِ الَّتِي كَانَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ مُعْرِضٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِجْلَالًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : نَعَمْ ، قَالَ سَعْدٌ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الرَّجَالُ ، وَتُقَسَّمِ الْأَمْوَالُ ، وَتُسَبَّى

الذَّرَارِي وَالنِّسَاءَ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ  
بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقَعَةٍ <sup>(١)</sup> ثُمَّ اسْتَنْزَلُوا ، فَحَبَسَهُمُ  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي دَارِ رَمْلَةٍ بِنْتُ الْحَارِثِ <sup>(٢)</sup> مِنْ بَنِي  
النَّجَّارِ ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى سُوقِ الْمَدِينَةِ ، فَخَنَّدَقَ  
بِهَا خَنَادِقَ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمْ فَضْرَبَ أَعْنَاقَهُمْ فِي تِلْكَ الْخَنَادِقِ ،  
يُخْرِجُ بِهِمْ إِلَيْهِ أَرْسَالًا <sup>(٣)</sup> وَفِيهِمْ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ رَأْسُ الْقَوْمِ ،  
وَحَيِّ بْنُ أَخْطَبَ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ ، وَهُوَ الَّذِي حَرَّضَ بَنِي  
قُرَيْظَةَ عَلَى نَقْضِ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَكَانَ قَدْ نَزَلَ مَعَهُمْ  
فِي حُصُونِهِمْ ، وَكَانَ عَدَدُ بَنِي قُرَيْظَةَ سِتِّمِائَةٍ أَوْ سَبْعِمِائَةٍ ،  
وَتَقُولُ بَعْضُ الرِّوَايَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا بَيْنَ الثَّمَانِمِائَةِ وَالْتِسْعِمِائَةِ .

( ١ ) أَرْقَعَةٌ : جَمْعُ رَقِيعٍ وَهُوَ السَّمَاءُ .

( ٢ ) رَمْلَةٌ بِنْتُ الْحَارِثِ : قَدْ اخْتَلَفَ فِي نَسَبِهَا وَهِيَ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ .

( ٣ ) أَرْسَالًا : طَائِفَةٌ بَعْدَ أُخْرَى .

## وَفَاةُ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

فَلَمَّا أَنْقَضَى شَأْنُ بَنِي قُرَيْظَةَ أَنْفَجَرَ بِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ جُرْحُهُ، وَقَدْ كَانَ بَرًّا حَتَّى مَا يُرَى مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا مِثْلَ الْخُرْصِ . وَاسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَهُ . وَقَدْ شَهِدَ مَصِيرَ بَنِي قُرَيْظَةَ وَجَعَلَهَا اللَّهُ لَهُ شَهَادَةً، وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَقَدْ ذَكَرَ الْحَمِيُّ: مَنْ كَانَتْ بِهِ فِيهِ حَظَّةٌ مِنَ النَّارِ، فَسَأَلَهَا سَعْدُ ابْنُ مُعَاذٍ رَبَّهُ، فَلَزِمَتْهُ فَلَمْ تُفَارِقْهُ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا، وَأَجَابَهُ اللَّهُ عَلَى سُؤَالِهِ، وَسَمِعَ دُعَاءَهُ .

أُعِيدَ سَعْدٌ إِلَى قَبْتِهِ الَّتِي ضَرَبَهَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، فَحَضَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لَأَعْرِفُ بُكَاءَ أَبِي مِنْ بُكَاءِ عُمَرَ وَأَنَا فِي حُجْرَتِي، وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَ سَعْدٍ وَوَضَعَهُ فِي حِجْرِهِ، وَسَجَّيَ بِثَوْبٍ أَبْيَضَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: اللَّهُمَّ إِنَّ سَعْدًا قَدْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِكَ، وَصَدَّقَ رَسُولَكَ، وَقَضَى الَّذِي عَلَيْهِ، فَتَقَبَّلْ رُوحَهُ بِخَيْرٍ مَا تَقَبَّلْتَ بِهِ رُوحًا . فَلَمَّا سَمِعَ سَعْدٌ كَلَامَ رَسُولِ اللَّهِ فَتَحَ عَيْنَيْهِ ثُمَّ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا

رَسُولَ اللَّهِ، أَمَا إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَمَّا رَأَى أَهْلُ  
سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ وَضَعَ رَأْسَهُ فِي حِجْرِهِ ذُعِرُوا وَاعْتَقَدُوا  
أَنَّ أَجَلَهُ قَدْ حَانَ، وَقَالَ سَعْدٌ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ  
مِنْ سَيِّدِ قَوْمٍ، فَقَدْ أَنْجَزْتَ اللَّهَ مَا وَعَدْتَهُ، وَلَيُنْجِزَنَّكَ اللَّهُ مَا  
وَعَدَكَ.

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ  
حِينَ فُبِضَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ مُعْتَمِرًا بِعِمَامَةٍ مِنْ  
إِسْتَبْرَقٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ هَذَا أَلْمَيْتُ الَّذِي فَتَحَتْ لَهُ  
أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَاهْتَزَّ لَهُ الْعَرْشُ؟ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجُرُّ  
ثَوْبَهُ إِلَى سَعْدٍ، فَوَجَدَهُ قَدْ مَاتَ.

وَجَاءَ بَنُو عَبْدِ الْأَشْهَلِ وَاحْتَمَلُوا سَعْدًا إِلَى دِيَارِهِمْ.  
وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: هَنِيئًا لَكَ أبا عَمْرٍو، هَنِيئًا لَكَ  
أبا عَمْرٍو ثُمَّ غُسِّلَ، وَكَانَتْ أُمُّهُ تَبْكِي وَتَقُولُ:

وَيْلَ أُمِّ سَعْدٍ سَعْدًا صَرَامَةً وَحَدًا  
وَسُوْدُدًا وَمَجْدًا وَفَارِسًا مُعْدًا  
سُدَّ بِهِ مَسَدًا يَقْدُ هَامًا قَدًا

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَهْلًا أُمَّ سَعْدٍ لَا



تَذَكِّرِي سَعْدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كُلُّ نَائِحَةٍ تَكْذِبُ إِلَّا نَائِحَةَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ.

وَحَمَلَ النَّاسُ جِنَازَتَهُ، فَوَجَدُوا لَهُ خِفَّةً، مَعَ أَنَّهُ كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلًا جَسِيمًا، فَقَالُوا ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ لَهُ حِمْلَةً غَيْرَكُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ اسْتَبَشَرَتِ الْمَلَائِكَةُ بِرُوحِ سَعْدٍ، وَاهْتَزَّ لَهُ الْعَرْشُ، وَلَمَّا دُفِنَ سَعْدٌ تَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَبَّحَ، فَسَبَّحَ النَّاسُ مَعَهُ، ثُمَّ كَبَّرَ، فَكَبَّرَ النَّاسُ مَعَهُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مِمَّ سَبَّحْتَ؟ قَالَ: لَقَدْ تَضَاقَقَ عَلَى هَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ قَبْرُهُ، حَتَّى فَرَجَهُ اللَّهُ عَنْهُ.

وَرَوَتْ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ لِلْقَبْرِ لَضَمَّةً لَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنْهَا نَاجِيًا لَكَانَ سَعْدُ ابْنِ مُعَاذٍ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَأَمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: أَلَا يَرَقَا دَمْعَكَ وَيَذْهَبُ حُزْنُكَ أَنْ أَبْنِكَ أَوَّلَ مَنْ ضَحِكَ اللَّهُ لَهُ وَاهْتَزَّ لَهُ الْعَرْشُ؟ وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِثَوْبٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ لِينِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَلْيَنُ مِنْ هَذَا.

وَرَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَدْ حَضَرَ جَنَازَةَ سَعْدِ بْنِ  
مُعَاذٍ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ نَزَلُوا إِلَى الْأَرْضِ لَأَوَّلِ مَرَّةٍ ،  
وَذَكَرَ مَنْ حَضَرَ قَبْرَهُ أَنَّ رَائِحَةَ الْمِسْكِ كَانَتْ تَفُوحُ مِنْ ذَلِكَ  
الْتَّرَابِ .

وَذُفِنَ بِالْبَقِيعِ ، وَكَانَ عُمُرُهُ يَوْمَئِذٍ سَبْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَمَا  
كَانَ أَحَدٌ أَشَدَّ فَقْدًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
وَصَاحِبِيهِ أَوْ أَحَدِهِمَا مِنْ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ .

وَقَضَى سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَهِيدًا وَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ  
فِي كُلِّ أَعْمَالِهِ فَأَثَابَهُ اللَّهُ جَنَّةَ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ  
أَعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ .

وَنَرْجُو مِنَ اللَّهِ أَنْ تَكُونَ دِرَاسَةً هَذَا الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ  
أُسْوَةً حَسَنَةً لَنَا فِي أَعْمَالِنَا وَسُلُوكِنَا وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ  
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

## الخاتمة

إِنَّ حَيَاةَ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
لَتُبَيِّنُ أَنَّهُ كَانَ أَحَدَ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِينَ آمَنُوا  
بِرَجَاحَةِ عَقْلِهِمْ وَعَظِيمِ إِيْمَانِهِمْ وَكَبِيرِ ثِقَتِهِمْ بِرَبِّهِمْ، وَلَمْ تَكُنْ  
أَقْوَالُهُ مُجَرَّدَ كَلِمَاتٍ يُلقِيهَا وَإِنَّمَا كَانَتْ تُترجمُ إِلَى أَعْمَالٍ  
وَأَفْعَالٍ تَنبُتُ عَنْ إِخْلَاصٍ كَبِيرٍ وَإِيْمَانٍ عَمِيقٍ، فَإِنَّ الْفِكْرَةَ لَا  
تُؤْخَذُ بِالنَّظَرِيَّاتِ وَمِنْ صَفَحَاتِ الْكُتُبِ وَإِنَّمَا مِنَ الرِّجَالِ  
الَّذِينَ يَتِمَثَّلُونَهَا.

وإِنَّ قُوَّةَ إِيْمَانِهِ قَدْ جَعَلَتْهُ يَخْلَعُ كُلَّ رَوَاسِبِ الْجَاهِلِيَّةِ دَفْعَةً  
وَاحِدَةً، وَيَأْخُذُ الْإِسْلَامَ جُمْلَةً وَاحِدَةً عَقِيدَةً وَعِبَادَةً وَتَشْرِيعاً.  
وَقَدْ صَقَلَهُ هَذَا الْإِسْلَامُ بِتَرْبِيَّتِهِ فَكَانَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الَّذِي  
عَرَفْنَا حَيَاتَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلَقَدْ كَانَ قَائِدَ حَرَسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ بَعْضُ أَهْلِ  
الْأَوْسِ أَمْثَالُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ وَعَبَادِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُمَا.



بُيُوتَةُ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ

- ٨ -

عَبَّاد بن بشر  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ



# بسم الله الرحمن الرحيم

- قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: « ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد يسمو عليهم فضلاً سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وعباد بن بشر » .

- وقالت رضي الله عنها: تهجد رسول الله فسمع صوت عبّاد فقال اللهم اغفر له .

- روى البخاري في صحيحه « ان رجلين خرجا من عند النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة، وإذا نور بين أيديهما حتى تفرقا فتفرق النور معهما » .

- « كان أسيد بن حضير وعبّاد بن بشر عند النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت عصا عبّاد تضيء له إذا خرج من عند رسول الله في ظلمة » .





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ  
الْمُرْسَلِينَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ الصَّحَابَةَ  
ذَلِكَ الْجِيلَ الَّذِي تَرَبَّى عَلَى يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى كَثْرَتِهِ  
كَانَ جَيْلًا مِثَالِيًّا، وَكُلٌّ فَرْدٍ مِنْهُمْ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ  
قُدْوَةً يُتَقَدَّى بِهَا وَأُسْوَةً يُهْتَدَى بِهَا، وَإِذَا كَانَ بَعْضُهُمْ قَدْ  
عُرِفَ لَدَى النَّاسِ جَمِيعًا، وَيَذْكُرُهُ الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ مُنَاسَبَةٍ  
لِمَا لَهُ فِي نَفْسِهِمْ مِنْ أَحْتِرَامٍ وَتَقْدِيرٍ؛ فَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّهُ قَدْ  
تَسَلَّمَ مَسْئُولِيَّةً، الْأَمْرُ الَّذِي جَعَلَهُ عَلَى صِلَةٍ بِالنَّاسِ جَمِيعًا،  
أَوْ جَعَلَ وَضْعَهُ الْأَجْتِمَاعِيَّ عَلَى تَمَاسٍ بِالْآخِرِينَ، يَحُلُّ لَهُمْ  
الْمُشْكِلَاتِ، وَيَحْتَكِمُونَ إِلَيْهِ، فَأَصْبَحَ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعُهُمْ  
يَعْرِفُونَهُ، وَيَأْخُذُونَ مِنْ حُكْمِهِ قَوَاعِدَ يَسِيرُونَ عَلَيْهَا وَمَنْهَجًا  
يَتَّخِذُونَهُ نَبْرَاسًا يَسْتَقُونَ مِنْهُ، وَيَقِيسُونَ فِيهِ سُلُوكَ الْحَاكِمِ  
وَالْمَحْكُومِ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ، وَيُقَارِنُونَ بِهِ مَعَ أَنْفُسِهِمْ صِفَةً  
الْمُسْلِمِ الْمُسْتَسْلِمِ لِأَوَامِرِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الرَّاضِي

بِحُكْمِهِ، الْمُنْقَادِ لِتَعَالِيمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، هَذَا بِالْإِضَافَةِ إِلَى  
التَّارِيخِ الَّذِي يُسَجِّلُ تَارِيخَ الْحُكَامِ وَالْمَسْئُولِينَ، وَيَتَخَطَّى  
الْعُظَمَاءَ فِي نَفُوسِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ لِيُدَوِّنَهَا عُلَمَاءُ الْاجْتِمَاعِ  
وغيرِهِمْ، وَيَهْتَمُّ بِهَا الْأَتْبَاعُ وَالْمُقَلِّدُونَ. وَلَرُبَّمَا كَانَ مِنَ  
الصَّحَابَةِ مَنْ يُوَازِي إِخْوَانَهُمُ الْمَعْرُوفِينَ، وَيَفُوقُ بِلَا شَكِّ مَنْ  
جَاءَ بَعْدَهُمْ مَهْمَا سَمَا بِهِ الْوَضْعُ، وَمَعَ هَذَا فَقَدْ بَقِيَ  
مَجْهُولاً، فَهُوَ لَا يُرِيدُ الظُّهُورَ، وَلَمْ يَتَسَلَّمْ مَرْكَزاً مَشْهُوراً  
بَيْنَ النَّاسِ .

وَكُلُّ صَحَابِيٍّ سِوَاكَ تَسَلَّمَ مَرْكَزاً أَمْ لَا هُوَ عَظِيمٌ بِإِيمَانِهِ،  
عَظِيمٌ بِسُلُوكِهِ، يَأْخُذُ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُ جِهَادَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
أَنْمُودَجاً لِقِتَالِهِمْ، وَمِنْ حَيَاتِهِ الْفَرْدِيَّةِ صُورَةً لَأَنْفُسِهِمْ، وَمِنْ  
أَعْمَالِهِ قُدُورَةً لَهُمْ، وَمِنْ تَضَحِّيَاتِهِ طَرِيقَةً لِلتَّضَحِّيَةِ، وَمِنْ  
إِخْلَاصِهِ صُورَةً حَيَّةً عَنِ الْإِخْلَاصِ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْعُظَمَاءِ  
عَبَادُ بْنُ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَلَمَّا كُنَّا نَحْنُ - أَتْبَاعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - نَقْتَدِي بِهِ  
وَبِصَحَابَتِهِ الْكَرَامِ كَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَتَعَرَّفَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْعُظَمَاءِ،  
وَيَكْفِي أَنْ نَذْكُرَ مَا قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي شَأْنِ هَؤُلَاءِ  
الْكَرَامِ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ خَيْرَ أُمَّتِي قِرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يَسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمِنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمْنُ ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَسْبُوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ جَبَلٍ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَرَجُّوا مِنَ اللَّهِ الْعَلِيِّ الْقَدِيرِ أَنْ نَكُونَ قَدْ وَفَيْنَا فِي إِظْهَارِ شَخْصِيَّةِ هَذَا الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ عَبَادِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَأَنْ تَكُونَ أَعْمَالُنَا خَالِصَةً لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَأَنْ يُمِدَّنَا بِالْعَوْنِ مِنْ عِنْدِهِ، فَهُوَ نِعَمُ الْمَوْلَى وَنِعَمُ النَّصِيرِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .



## عَبَادُ بَنِ بَشَرٍ

عَبَادُ بَنِ بَشَرٍ بَنِ وَقْشٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ذُرْوَةَ بَطُونِ  
الْأَوْسِ ، وَأَكْثَرَهَا جِهَادًا ، وَأَعْلَاهَا مَرْتَبَةً ، سَيِّدُهَا سَيِّدُ  
الْأَوْسِ كُلِّهِمْ ، وَكَانَ يَوْمَ ذَاكَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،  
وَهُوَ سَيِّدُ الْأَنْصَارِ جَمِيعِهِمْ ، وَمَنْزِلَتُهُ بَيْنَ الْأَنْصَارِ كَمَنْزِلَةِ  
أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ . وَلَمْ يُعْرِفِ  
الْتِفَاقُ بَيْنَ أَفْرَادِ هَذِهِ الْقَبِيلَةِ أَبَدًا .

كَانَ عَبَادُ بَنِ بَشَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْبُوعَ الْقَامَةِ ، أَبْيَضَ  
الَّلَّوْنِ ، وَضِيَاءَ الْوَجْهِ ، أُمِيلَ إِلَى الْعَافِيَةِ ، قَلِيلَ الْكَلَامِ ، كَثِيرَ  
الْكَرَمِ ، دَائِمَ الْعِبَادَةِ ، مُسْرِعًا لِتَلْبِيَةِ النِّدَاءِ ، شَدِيدَ الْحُبِّ لِلَّهِ  
وَلِرَسُولِهِ ، مُوَظِّبًا عَلَى التَّأْمُلِ وَالتَّفْكِيرِ ، كَثِيرَ الْخُشُوعِ ،  
وَكَانَ سَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، تَرَاهُ فِي الصَّفُوفِ الْأُولَى أَثْنَاءَ  
الْقِتَالِ ، تَنْظُرُ إِلَيْهِ فِي مَيْدَانِ الْجِهَادِ فَتَجِدُهُ فِي كُلِّ سَاحَةِ  
حِمِيٍّ فِيهَا الْوُطَيْسُ ، وَتَبْحَثُ عَنْهُ أَثْنَاءَ تَقْسِيمِ الْغَنَائِمِ فَلَا  
تَجِدُهُ إِلَّا بِصُعُوبَةٍ .

أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَاعِيَةً وَمُقَرَّنًا لِلْقُرْآنِ فِي الْمَدِينَةِ مَعَ أَصْحَابِ الْعَقَبَةِ الْأُولَى بَعْدَ بَيْعَتِهِمْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَانَ مُصْعَبٌ يَلْتَقِي مَعَ النَّفَرِ فِي الْمَدِينَةِ فَيُسَلِّمُونَ، وَقَدْ عَاشُوا مِنْ قَبْلُ فِي تِيهِ الْجَاهِلِيَّةِ وَحِمَايَتِهَا، عَاشُوا فِي ضَيَاعٍ لَا يَعْرِفُونَ شَيْئًا عَنْ حَيَاتِهِمْ الْأَخْرَوِيَّةِ، وَلَا يَدْرُونَ إِلَّا عَمَّا يَأْكُلُونَ وَكَأَنَّ ذَلِكَ هَمُّهُمْ الْأَوَّلُ، وَلَا يَعْلَمُونَ إِلَّا مَا يَتَنَاقَحُونَ وَكَأَنَّ ذَلِكَ مُبْتَغَاهُمْ، وَتِلْكَ هِيَ الْحَيَاةُ الْبَهِيمِيَّةُ، وَلَا يَشْعُرُونَ إِلَّا بِمَا يَكِيدُونَ خُصُومَهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ يَرْتَبِطُونَ مَعَهُمْ بِالْعَصِيَّةِ، وَيَحْيُونَ مَعَهُمْ بِالْجَوَارِ، فَكَانَتْ قُلُوبُهُمْ ظُمَاً إِلَى الْإِيمَانِ، عَطَشَى إِلَى النَّظَامِ، وَبِحَاجَةٍ إِلَى النَّاحِيَةِ الرُّوحِيَّةِ لِتَجِدَ النَّفْسُ فِيهَا غَايَتَهَا مِنَ السَّكِينَةِ وَالرَّاحَةِ وَالطَّمَأْنِينَةِ، فَعِنْدَمَا بَدَؤُوا يَسْتَمِعُونَ إِلَى مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقْرَأُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ بِصَوْتِهِ الْنَدِيِّ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ أَهْدَافَ الْحَيَاةِ، وَجَدُوا أَنْفُسَهُمْ يَسْعَوْنَ إِلَيْهِ، وَنُفُوسُهُمْ تَتَوَقَّ إِلَى مَزِيدِ التَّلَقِّي مِنْ ذَلِكَ النَّبْعِ الصَّافِي، فَأَقْبَلُوا عَلَى الْإِسْلَامِ.

وَالْتَقَى سَيِّدَا بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ وَهُمَا: سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ بِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَقَدْ رَأَيَاهُ فِي أَحَدِ بَسَاتِينِهِمْ مَعَ مُضِيفِهِ أَبِي أَمَامَةَ سَعْدِ بْنِ زُرَّارَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَهَمَّا بِطَرْدِهِ، وَسَارَ إِلَيْهِ أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ، فَلَمَّا سَمِعَ مِنْهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ أَسْلَمَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ سَعْدًا فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ أَسْلَمَ. وَعَادَ سَعْدٌ إِلَى قَبِيلَتِهِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فِي نَادِيهَا، فَسَأَلَهُمْ عَنْ وَضْعِهِ بَيْنَهُمْ فَقَالُوا لَهُ: سَيِّدُنَا، وَابْنُ سَيِّدِنَا، وَأَكْثَرُنَا حِلْمًا، وَأَكْبَرُنَا عَقْلًا، وَلَا نَصُدُّ عَنْ رَأْيٍ إِلَّا بِرَأْيِكَ، فَقَالَ: فَإِنَّ كَلَامَكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ حَتَّى تُسَلِّمُوا، فَاسْلَمُوا تِلْكَ اللَّيْلَةَ جَمِيعًا لَمْ يَتَخَلَّفَ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَتَبَتُوا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَكَانَ عَبَادُ ابْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ.

إِذِ التَّقَى عَبَادُ بْنُ بَشِيرٍ بِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ وَسَمِعَ مِنْهُ الْقُرْآنَ فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنَّهُ أَحَسَّ بِوُقُوعِهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ الَّتِي يَسْعَى إِلَيْهَا، وَأَنَّ دُنْيَاهُ قَدْ تَغَيَّرَتْ كُلَّهَا، وَدَرَفَتْ عَيْنَاهُ عَلَى مَا مَضَى مِنْ حَيَاتِهِ، وَمِمَّا سَمِعَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَاهَدَ نَفْسَهُ عَلَى أَنْ يَكُونَ عَمَلُهُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَأَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - مَا اسْتَطَاعَ - لَا يَحِيدُ عَنْ ذَلِكَ مَا عَاشَ.

وَأَشْتَدَّ أَدَى قُرَيْشٍ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ فِي مَكَّةَ، وَكَانَ الْإِسْلَامُ  
 قَدْ فَشَا فِي الْمَدِينَةِ، فَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَصْحَابِهِ أَنْ  
 يَتَوَجَّهُوا إِلَى إِخْوَانِهِمْ فِي الْمَدِينَةِ، وَبَدَأَ الْمُهَاجِرُونَ يُفَارِقُونَ  
 مَكَّةَ قَرَدًا بَعْدَ قَرْدٍ وَجَمَاعَةً إِثْرَ أُخْرَى، وَفُتِحَتْ دُورُ  
 الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَدِينَةِ تَسْتَقْبِلُ الْقَادِمِينَ مِنْ مَكَّةَ، وَقَدْ غَدَوْا  
 إِخْوَةً. اللَّهُ أَكْبَرُ لَقَدْ جَمَعَ الْإِيمَانُ بَيْنَ الْمُتَبَاعِدِينَ، وَوَحَّدَ  
 بَيْنَ الْمُتَنَافِرِينَ، وَصَمَّ الْمُخْتَلِفِينَ، وَغَدَوْا جَمِيعًا إِخْوَةً يَلْتَقُونَ  
 فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَتَرْتَبُ بِبَعْضِهِمْ مَعَ بَعْضٍ بِرَابِطٍ هُوَ أَقْوَى  
 الرِّوَابِطِ الَّتِي عَرَفَهَا النَّاسُ مُذْ خَلَقُوا. لَقَدْ كَانَ الْفَرْدُ يَتَرَكُ  
 بَيْتَهُ فِي مَكَّةَ، وَيُعَادِرُ أَهْلَهُ، وَيُفَارِقُ عَشِيرَتَهُ، وَيَنْتَقِلُ إِلَى  
 الْمَدِينَةِ فَيَجِدُ فِيهَا الْبَيْتَ جَاهِزًا، وَيَجِدُ أَهْلًا أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ  
 أَهْلِهِ، وَيَجْتَمِعُ بِعَشِيرَةِ أَحَبِّ إِلَيْهِ مِنْ عَشِيرَتِهِ، وَمَا إِنْ يَصِلُ  
 إِلَى مُهَاجِرِهِ حَتَّى يَتَسَاقَى إِخْوَانُهُ الْجَدُّ إِلَى أَخْذِهِ، كُلُّ  
 يُحَاوِلُ أَنْ يَكُونَ نَزِيلَهُ، وَقَدْ يَكُونُ هُوَ وَصَاحِبُ الْبَيْتِ الَّذِي  
 يَنْزِلُ فِيهِ لَمْ يَلْتَقِيَا قَطُّ، فَإِذَا بِهِمَا مَرَّةً وَاحِدَةً، كَأَنَّهُمَا قَدْ  
 قَضَيَا الْعُمَرَ مَعًا فِي هَذَا الْبَيْتِ، نَشَأَ فِيهِ، وَإِذَا الْأَقَارِبُ أَقَارِبُهُ  
 وَالصَّحْبُ صَحْبُهُ وَالْقَبِيلَةُ قَبِيلَتُهُ بَلْ هُمْ أَسْمَى مِنْ هَذَا بِكَثِيرٍ؛



إِنَّهُمْ إِخْوَةٌ فِي اللَّهِ . وَلَعَلَّ مِنْ أَوَائِلِ الْبُيُوتِ الَّتِي فُتِحَتْ فِي  
الْمَدِينَةِ كَانَتْ دَارَ عَبَادِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَدْ  
اسْتَقْبَلَ فِيهَا أَخَاهُ عُتْبَةَ بْنَ غَزْوَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

### ٣

وَهَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ وَاسْتَقْبَلَهُ الْمُسْلِمُونَ  
هُنَاكَ اسْتِقْبَالًا لَا يُوصَفُ، إِذْ لَا تُقَارَنُ الْأُمُورُ الْمَعْنَوِيَّةُ  
بِالْمَادِّيَةِ أَبَدًا، فَمَا لَا يَذَرُكَ إِلَّا بِالْحَوَاسِّ تُعْبَرُ عَنْهُ فَقَطِ  
الْحَوَاسِّ، وَمَا يَعْلُو عَنْهَا يَعْجِزُ عَنْ وَصْفِهِ الْقَلَمُ مَهْمَا جَدَّ،  
وَالْفِكْرُ مَهْمَا كَدَّ وَيَصْعَبُ التَّعْبِيرُ عَنْهُ، وَآخِيَ رَسُولُ اللَّهِ  
ﷺ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَيْسَ مَعْنَى هَذَا أَنَّ الْأَنْصَارَ قَبْلَ هَذَا  
قَدْ قَصَرُوا فِي وَاجِبِهِمْ، وَأَهْمَلُوا حَقَّ الْأُخُوَّةِ الَّذِي يَطْلُبُهُ  
مِنْهُمْ دِينُهُمْ، وَلَمْ يَقُومُوا بِالْوَاجِبِ إِلَّا عِنْدَمَا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ  
ﷺ إِلَيْهِمْ وَتَمَّتِ الْمُوَاخَاةُ، أَبَدًا . بَلْ قَامُوا بِمَا عَلَيْهِمْ مِنْ  
قَبْلُ، وَالْمُوَاخَاةُ كَانَتْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَيْسَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ  
وَالْأَنْصَارِ، وَمَا هَذِهِ الْمُوَاخَاةُ إِلَّا لِيَكُونَ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا  
كُنْتَلَةً وَاحِدَةً أَمَامَ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَعْتَرِضَهُمْ مِنْ اتِّفَاقِ الْيَهُودِ  
الْمَوْجُودِينَ فِي الْمَدِينَةِ بِجَانِبِهِمْ . فَقَدْ كَانَ الْأَنْصَارُ مِنْ قَبْلُ  
بُطُونًا وَقَبَائِلَ مُتَفَرِّقَةً، وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْيَهُودِ أَخْلَافٌ، إِذْ كَانَ

الْأَوْسُ عَلَى اتِّفَاقٍ مَعَ يَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَكَانَ الْخَزْرَجُ  
 وَيَهُودُ بَنِي قَيْنَقَاعَ وَبَنِي النَّضِيرِ حِلْفًا وَاحِدًا، وَكَانَ بَيْنَ  
 الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ أَيَّامٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَأَيَّامٌ، حَتَّى بَيْنَ  
 بَطُونِ الْقَبَائِلِ الْوَاحِدَةِ كَانَتْ إِحْنٌ وَخِلَافَاتٌ، وَإِذَا كَانَ قَدْ  
 قَامَ كُلُّ فَرْدٍ مِنَ الْأَنْصَارِ بِدَوْرِهِ الْكَامِلِ وَبَوَاجِبِهِ الْكَامِلِ  
 تَجَاهَ إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ مَكَّةَ قَبْلَ هِجْرَةِ  
 رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا أَنَّ تَكَتُّلَاتٍ فِئَاتِ الْأَنْصَارِ كَانَتْ لَا  
 تَرَالُ قَائِمَةً، وَلِكُلِّ فِئَةٍ نَادِيهَا الْخَاصُّ وَمَكَانُ لِقَائِهَا الْخَاصُّ،  
 فَلَمَّا وَصَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ بَنَى مَسْجِدَهُ  
 هُنَاكَ، فَكَانَ أَنْ حُلَّ هَذَا الْمَسْجِدُ بَدَلَ الْأَنْدِيَةِ الَّتِي كَانَتْ  
 قَائِمَةً، وَغَدَا مَكَانَ اجْتِمَاعِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا، ثُمَّ كَانَتْ  
 الْمُؤَاخَاةُ فَعَدَّتِ الْبُطُونُ وَالْقَبَائِلُ مِنَ الْأَنْصَارِ أَوْسَهَا  
 وَخَزْرَجَهَا مَعَ الْمُهَاجِرِينَ كُلِّهِمْ كِتْلَةً وَاحِدَةً وَيَدًا وَاحِدَةً  
 يُمَكِّنُ أَنْ تَحْمِلَ سَيْفًا وَاحِدًا أَمَامَ أَيِّ عَدُوٍّ يُمَكِّنُ أَنْ يَقِفَ فِي  
 وَجْهِهَا، وَيَحَاوِلُ أَنْ يَنَالَ أَيَّ جُزْءٍ مِنْهَا. وَكَانَ عَبَادُ بْنُ بَشِيرٍ  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ بْنُ رَبِيعَةَ أَخَوَيْنِ فِي  
 اللَّهِ، وَكِلَاهُمَا لَا يَقِلُّ عَنْ أَخِيهِ فِي جِهَادِهِ وَنُبْلِهِ وَتَضَاحِيَتِهِ  
 وَإِخْلَاصِهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وَأَسْتَدَارَ الْعَامُ. وَأَنْطَلَقَتْ غَزَوَاتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
بِالْمُهَاجِرِينَ فِي كُلِّ جِهَةٍ يَتَفَقُّ مَعَ الْقَبَائِلِ ، وَيَدْرُسُ أَرْضَ  
الْمَعْرَكَةِ الْمُرْتَقِبَةِ، وَيَرْصُدُ عِيرَ قُرَيْشٍ فِي ذَهَابِهَا وَإِيَابِهَا فِي  
تِجَارَتِهَا إِلَى الشَّامِ ، وَيُحَاوِلُ لِقَاءَهَا، وَسَارَتْ سَرَايَا  
الْمُهَاجِرِينَ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ لِلْغَرَضِ نَفْسِهِ، وَلَمْ يَشْرِكِ الْأَنْصَارُ  
فِي بَدَايَةِ الْأَمْرِ فِيهَا حَسَبَ تَعْلِيمَاتِ رَسُولِهِمُ الْكَرِيمِ ﷺ ،  
إِلَّا أَنْ عَبَادَ بْنَ بَشْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ذَلِكَ أَلْفَتَى الْوَسِيمِ  
الْمُمْتَلِيءِ حَيَوِيَّةً وَالْمُتَعَطِّشِ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، كَانَ يَنْتَظِرُ  
الْأَوَامِرَ لِلانْخِرَاطِ فِي صُفُوفِ الْمُجَاهِدِينَ، عَسَى أَنْ يُعَوِّضَ  
عَمَّا مَضَى مِنْ حَيَاتِهِ، فَيَحْصَلَ عَلَى الشَّهَادَةِ، أَوْ يَتِمَّ لِلْمُسْلِمِينَ  
النَّصْرُ، وَيَكُونَ بِأَيِّ شَيْءٍ وَقَعَ لَهُ قَدْ أَرْضَى اللَّهُ وَرَسُولَهُ، ثُمَّ  
كَانَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ، إِذْ نَدَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَلَاقَاةِ عِيرِ  
قُرَيْشٍ، فَخَرَجَ عَبَادُ بْنُ بَشْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي أَوَائِلِ  
الَّذِينَ خَرَجُوا، وَلَمْ تَكُنِ الْعِيرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الْقِتَالُ لِأَمْرِ أَرَادَهُ  
اللَّهُ، وَكَانَ عَبَادُ مِنْ أَكْثَرِ الْمُتَحَمِّسِينَ لِلْإِشْتِبَاكِ مَعَ الْعَدُوِّ،  
وَمَا إِنْ نَشِبَ الْقِتَالُ؛ حَتَّى كَانَ فِي بَدَايَةِ الصُّفُوفِ يُقَاتِلُ  
يَمَنَةً وَيَسْرَةً أَيْنَمَا اتَّجَهَتْ تَرَاهُ أَمَامَكَ بِوَجْهِهِ الْمُسْرِقِ وَطَلْعَتِهِ

الْوَسِيمَةِ وَشَجَاعَتِهِ الْفَائِقَةِ وَإِقْدَامِهِ الْمُنْقَطِعِ النَّظِيرِ ، وَأَنْتَهَتْ  
الْمَعْرَكَةُ ، وَبَدَأَ تَقْسِيمُ الْغَنَائِمِ ، فَكَانَ شَأْنُهُ فِي نَهَايَةِ كُلِّ مَعْرَكَةٍ  
أَنْ يُقْتَسَمَ عَنْهُ إِخْوَانُهُ فَلَا يَكَادُوا يَجِدُونَهُ إِلَّا بِمَشَقَّةٍ ، إِذْ لَمْ  
يَكُنْ لَهُ مِنْ أَمَلٍ سِوَى إِرْضَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

## ٥

وَأَنْتَهَتْ غَزْوُهُ بِدْرٍ ، وَكَانَتْ فُرْقَانًا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ،  
وَهِيَ أَوَّلُ مَعْرَكَةٍ نَصَرَ اللَّهُ فِيهَا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى قُلَّتِهِمْ ،  
وَهَزَمَ أَعْدَاءَهُ الْمُشْرِكِينَ مَعَ كَثَرَتِهِمْ ، وَكَانَتْ نَصْرًا مُؤَزِّدًا  
قَتَلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ سَبْعِينَ قَتِيلًا مِنْ أَشْدَاءِ الْمُشْرِكِينَ ، وَأَسْرَوْا  
سَبْعِينَ مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ اسْتَأْفَوْهُمْ أَمَامَهُمْ . وَأَرْسَلَ رَسُولُ  
اللَّهِ ﷺ رَسُولَيْنِ مِنْ قِبَلِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ يُخْبِرَانِ أَهْلَهَا ،  
وَيُبَشِّرَانِ سَاكِنَيْهَا مِمَّنْ لَمْ يَحْضُرُوا الْمَعْرَكَةَ بِنَصْرِ اللَّهِ ،  
وَكَانَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ الَّذِي أَنْطَلَقَ إِلَى  
الْمَنَاطِقِ السُّفْلَى مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ هُوَ الَّذِي سَارَ إِلَى أَعَالِيهَا . وَوَصَلَ الْبَدَاءُ إِلَى مَسَامِعِ  
يَهُودَ ، فَصُعِقُوا مِنْ هَوْلِ الْخَبَرِ عَلَيْهِمْ ، فَلَمْ تَكُنْ يَهُودُ لِرَتْضَى  
عَنْ خَبَرِ يَسْرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَكَيْفَ بِالنَّصْرِ مِنَ اللَّهِ ، وَالتَّمَكُّنِ  
لَهُمْ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ أَنْ عَبَدُوا اللَّهَ وَنَصَرُوهُ ، فَبَدَّلَهُمْ مِنْ بَعْدِ

خَوْفِهِمْ أَمْنًا، وَكَانَ أَشَدَّ يَهُودَ حِقْدًا، وَأَكْثَرَهُمْ غِيظًا مِنْ هَذَا  
النَّصْرِ كَعَبُ بْنُ الْأَشْرَفِ الَّذِي قَالَ: إِنْ صَحَّ الْخَبَرُ لَبَطُنُ  
الْأَرْضِ خَيْرٌ مِنْ ظَهْرِهَا. لَقَدْ حَكَمَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمَوْتِ فَنَالَهُ  
بِإِذْنِ اللَّهِ. فَلَمَّا تَيَقَّنَ مِنَ الْخَبَرِ، وَرَأَى بِأَمْعَيْنِهِ رِجَالَ  
قُرَيْشٍ مُكَبَّلَةً أَيْدِيهِمْ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ، يَمْشُونَ أَذِلَاءَ بَعْدَ أَنْ  
هَزَمَهُمُ اللَّهُ، خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ يُحَرِّضُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،  
وَيَبْكِي قَتْلَى قُرَيْشٍ، وَعِنْدَمَا شَعَرَ أَنَّ النَّفُوسَ لَدَى  
الْمُشْرِكِينَ قَدْ تَعَبَّتْ بِالْحِقْدِ، وَشُحِنَتْ بِالْغَيْظِ رَجَعَ إِلَى  
الْمَدِينَةِ وَبَدَأَ يُشَيِّبُ بِنِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَيَتَغَزَلُ بِفَتَاتِهِمْ، وَهُوَ  
شَاعِرٌ - فَجَّحَهُ اللَّهُ -، وَيتَكَلَّمُ بِكَلِمَاتٍ مَا أَعْتَادَتْ أَلْسِنَةُ  
الْمُسْلِمِينَ أَنْ تَتَفَوَّهَ بِمِثْلِهَا، وَتَأْذَى الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ أَشَدَّ  
الْأَذَى، وَتَأْذَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قَالَ: مَنْ لِي بِأَبْنِ  
الْأَشْرَفِ؟ فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ: أَنَا يَا  
رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أَنْتَ لَهُ. وَمُحَمَّدُ بْنُ  
مَسْلَمَةَ هُوَ مِنْ حُلَفَاءِ الْأَوْسِ وَمِنْ رِجَالِهِمُ الْمَعْدُودِينَ وَعَادَ  
أَبْنُ مَسْلَمَةَ يُفَكِّرُ بِالْأَمْرِ، وَيَدْرُسُهُ، وَاخْتَارَ عَدَدًا مِنْ قَوْمِهِ،  
كُلُّهُمْ مِنَ الْأَوْسِ، كَانَ فِيهِ طَلِيعَتُهُمْ عَبَادُ بْنُ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ، وَكَانَ مِنْهُمْ الْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ ابْنِ أَخِي سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ،  
وَأَبُو نَائِلَةَ سِلْكَانُ بْنُ سَلَامَةَ بْنُ وَقْشٍ الَّذِي كَانَ أَخَ كَعَبِ

أَبْنِ الْأَشْرَفِ مِنَ الرِّضَاعَةِ ، وَهُوَ أَبْنُ عَمِّ عَبْدِ بْنِ بِشْرِ .

كَانَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ يَبِيتُ فِي حِصْنٍ مَنِيعٍ لَهُ ، فَقَدَّمَ الْمُسْلِمُونَ ذَاتَ لَيْلَةٍ أَخَاهُ أَبَا نَائِلَةَ إِلَيْهِ ، فَسَبَقَهُمْ بِسَاعَةٍ جَلَسَ فِيهَا عِنْدَهُ يُنَاشِدُهُ الشَّعْرَ ، ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَبِيعَهُ الطَّعَامَ وَالْتَمَرَ ، وَقَالَ لَهُ : رَمَتْنَا الْقَبَائِلُ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَقَطَعَتْ عَنَّا السُّبُلَ حَتَّى ضَاعَ الْعِيَالُ ، وَجَهَدَتِ الْأَنْفُسُ .

قَالَ كَعْبٌ : أَتَرْهَنُونِي نِسَاءَ كُمْ ؟ - عَلَى عَادَةِ يَهُودَ فِي الْأَحْتِكَارِ ، وَمُحَاوَلَةِ تَأْمِينِ الْمَالِ ، وَتَحْقِيقِ الشَّهَوَاتِ ، وَإِلْقَاءِ النَّاسِ بِالْمَقَاسِدِ وَحِمَاةِ الرِّذِيلَةِ ، وَإِذْلَالِهِمْ .

قَالَ أَبُو نَائِلَةَ : كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَشَبُّ أَهْلِ يَثْرِبَ وَأَعْظَرُهُمْ ؟ .

قَالَ كَعْبٌ : أَتَرْهَنُونِي أَبْنَاءَ كُمْ ؟ .

قَالَ أَبُو نَائِلَةَ : أَتُرِيدُ أَنْ تَفْضَحَنَا ؟ وَإِنَّ مَعِيَ أَصْحَابًا لِي عَلَى مِثْلِ رَأْيِي ، وَلَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ آتِيكَ بِهِمْ ، فَتَبِيعَهُمْ ، وَتُحْسِنَ ذَلِكَ ، وَنَرْهَنُكَ السِّلَاحَ .

قَالَ كَعْبٌ : نَعَمْ ، إِنَّ فِي السِّلَاحِ لَوْفَاءً .

خَرَجَ أَبُو نَائِلَةَ مِنْ عِنْدِ كَعْبٍ، وَجَاءَ بِأَصْحَابِهِ، فَلَمَّا  
وَصَلُوا إِلَى قُرْبِ الْحِصْنِ نَادَاهُ أَبُو نَائِلَةَ، وَحَاوَلَتْ زَوْجَهُ أَنْ  
تَمْنَعَهُ مِنَ الْخُرُوجِ فِي مِثْلِ هَذِهِ السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ، وَلَكِنَّهُ  
أَصَرَ عَلَى الْخُرُوجِ وَاجَابَةَ الدَّاءِ إِذْ سَالَ لُعَابُهُ عَلَى الرَّيْحِ،  
وَلَمَّا خَرَجَ اسْتَدْرَجُوهُ بَعِيداً عَنْ حِصْنِهِ، وَأَمَلَهُ كَبِيرُ بَرَنِينَ  
الَّذِي يَلْعَبُ بِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ الْقَاضِيَّةَ، إِذْ كَثِيراً  
مَا يَجْرُ الْمَالُ صَاحِبَهُ إِلَى الْهَلَاكِ إِذَا كَانَ يَجْرِي وَرَاءَهُ. ثُمَّ  
أَمْسَكَ أَبُو نَائِلَةَ شَعْرَ رَأْسِ ذَلِكَ الْيَهُودِيِّ، وَقَالَ: أَقْتُلُوا عَدُوَّ  
اللَّهِ، فَانْهَلَتْ سُوفُهُمْ عَلَيْهِ، إِلَّا أَنَّهَا اعْتَرَضَتْ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ  
تَقْتُلْهُ، وَجَرَحَ مِنْهَا الْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ بْنِ مُعَاذٍ فِي رَأْسِهِ،  
فَأَخْرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ سَكِيناً فَوَضَعَهَا فِي ثَنِيَّتِهِ، وَضَغَطَ  
عَلَيْهَا بِكُلِّ ثِقَلِهِ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى عَانَتِهِ، فَوَقَعَ عَدُوُّ اللَّهِ  
قَتِيلاً.

## ٦

وَعَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَجْداً فِي غَزْوَةِ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ  
الرِّقَاعِ، وَلَمْ يَحْدُثْ قِتَالٌ فِيهَا، إِذْ رَهَبَ كِلَا الطَّرَفَيْنِ  
خَصْمُهُ، وَهَرَبَ الْمُشْرِكُونَ، إِلَّا أَنَّ مُسْلِمًا قَدْ أَصَابَ امْرَأَةً  
رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ كَانَ غَائِباً آنَذَاكَ عَنْ قَوْمِهِ، فَعِنْدَمَا

حَضَرَ زَوْجُهَا ، لَحِقَ بِالْمُسْلِمِينَ يُرِيدُ النَّيْلَ مِنْهُمْ ، وَكَانُوا قَدْ رَجَعُوا بِاتِّجَاهِ الْمَدِينَةِ ، وَبَاتُوا فِي مَكَانٍ فِي شَعْبٍ وَادٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَنْ يَكْلُونَا لَيْلَتَنَا هَذِهِ ؟ فَقَامَ عَبَادُ بْنُ بَشِيرٍ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ، فَقَالَا : نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

قَالَ : فَكُونَا بِفَمِ الشَّعْبِ . فَخَرَجَا إِلَى فَمِ الشَّعْبِ .

قَالَ عَبَادُ لِعَمَّارٍ : أَيُّ اللَّيْلِ تُحِبُّ أَنْ أَكْفُلَهُ . أَوَّلُهُ أَمْ آخِرُهُ ؟ .

قَالَ عَمَّارٌ : بَلِ أَكْفِنِي أَوَّلَهُ . وَأَضْطَجَعَ عَمَّارٌ فَنَامَ .

وَشَعَرَ عَبَادُ بْنُ بَشِيرٍ بِالْأَمَانِ ، وَأَحْسَنَ بِنَسِيمِ الْجَبَلِ الْعَلِيلِ فَاسْتَرَوْحَ نَسَمَاتِ الْجَنَّةِ ، وَقَامَ يُصَلِّي ، فَاسْتَغْرَقَ فِي صَلَاتِهِ مُسْتَشْعِرًا عُذُوبَةَ الْقِرَاءَةِ فِي هُدُوءِ ذَلِكَ اللَّيْلِ ، وَاسْتَسَلَمَتْ جَوَارِحُهُ لِبَارِئِهَا ، وَارْتَفَعَتْ نَفْسُهُ عَمَّا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ، فَلَمْ يَعْذُ يَشْعُرُ بِشَيْءٍ حَوْلَهُ . وَجَاءَ زَوْجُ الْمَرْأَةِ الْمُشْرِكِ ، فَلَمَّا رَأَى عَبَادًا يُصَلِّي عَرَفَ أَنَّهُ طَلِيعَةُ الْقَوْمِ ، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَأَصَابَهُ ، فَنَزَعَهُ عَبَادُ مِنْ جِسْمِهِ ، وَتَبَتَ قَائِمًا ، وَلَمْ يَرْعَبْ فِي قَطْعِ صَلَاتِهِ ؛ فَكَأَنَّهُ خَارِجٌ عَنْ دُنْيَاهُ سَاعَتَيْهِ . فَعَادَ الرَّجُلُ فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ ثَانٍ فَلَمْ يُخْطِئْهُ ، فَنَزَعَ عَبَادُ السَّهْمَ تَارَةً



أُخْرَى وَثَبَتَ قَائِمًا، وَلَمْ يُحِبَّ أَنْ يَقْطَعَ عِبَادَتَهُ، فَهُوَ مُسْتَغْرِقٌ فِيهَا، وَالذُّ سَاعَةَ عِنْدَهُ هِيَ تِلْكَ، وَأَحَبُّ وَقْتٍ إِلَيْهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ. فَعَادَ الرَّجُلُ فَرَمَاهُ بِهِمْ ثَالِثٍ، فَوَقَعَ فِيهِ، فَتَأَثَّرَ عَبَادًا، فَرَكَعَ وَسَجَدَ، وَأَيَّقَظَ صَاحِبَهُ، وَقَالَ لَهُ قَدْ أَصِيبْتُ.

قَالَ عَمَّارٌ وَقَدْ رَأَى الدِّمَاءَ تَسِيلُ مِنْ عَبَادِهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَفَلَا أَيْقَظْتَنِي أَوَّلَ مَا رَمَاكَ.

قَالَ عَبَادٌ: كُنْتُ فِي سُورَةٍ أَقْرَأُهَا، فَلَمْ أَحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا حَتَّى أَنْفِدَهَا، فَلَمَّا تَابَعَ الرَّمِيَّ رَكَعْتُ وَأَيَّقَظْتُكَ، وَآيَمُ اللَّهِ، لَوْلَا أَنْ أَضَيَّعَ نَعْرًا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِهِ لَقُطِعَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَقْطَعَهَا.

وَشَعَرَ الرَّجُلُ أَنَّ الرِّكْبَ قَدْ تَيَقَّظَ عَلَيْهِ فَفَرَ.

## ٧

وَكَانَ إِذَا دَعَا دَاعِي الْجِهَادِ كَانَ عَبَادُ بْنُ بِشْرِ أَوَّلَ أَوْلِيكَ الَّذِينَ يُلَبُّونَ الدَّعَاءَ وَيُسْرِعُونَ فِي تَأْدِيَةِ الْوَاجِبِ وَمَا أَسْرَعَ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَنْهُمْ فِي هَذَا، رَغْبَةً فِي إِرْضَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَأَغَارَ عَيْنُهُ بْنُ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ فِي خَيْلٍ مِنْ غَطَفَانَ عَلَى إِبْلِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَتْ تَرَعَى عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْ

الْمَدِينَةِ، فَقَتَلُوا رَاعِيَهَا، وَحَمَلُوا أَمْرَأَتَهُ، وَاسْتَأْفُوا الْإِبِلَ،  
وَوَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَنَادَى فِي الْمَدِينَةِ: الْفَزَعُ  
الْفَزَعُ، فَتَرَامَتْ خَيْلُ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ  
انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو ثُمَّ عَبَادُ بْنُ  
بَشْرٍ، حَتَّى إِذَا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، أَمَرَ عَلَيْهِمْ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ  
اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ لَهُ: أَخْرُجْ فِي طَلَبِ الْقَوْمِ، حَتَّى الْحَقَّكَ فِي  
النَّاسِ. وَمَا هِيَ إِلَّا لَحَظَاتٌ حَتَّى كَانَتْ خِيُولُ الْمُسْلِمِينَ  
تُطَارِدُ الْمُعْتَدِينَ، وَقَدْ شَاغَلَهَا مُسْلِمٌ وَاحِدٌ، وَلَمْ يَمْضِ إِلَّا  
قَلِيلٌ مِنَ الْوَقْتِ حَتَّى كَانَ الْجَيْشُ الْإِسْلَامِيُّ فِي أَثَرِ  
الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَرُّوا لَا يَلُوءُونَ عَلَى شَيْءٍ، وَلَمْ يَتَوَقَّعْ أَمْرُو  
أَنْ يَكُونَ إِعْدَادُ جَيْشٍ وَتَجْمَعُهُ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ وَفِي هَذِهِ  
السَّرْعَةِ... إِنَّهُمْ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

## ٨

لَقَدْ كَانَ عَبَادُ بْنُ بَشْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ  
ﷺ، يَضْرِبُ بِهِ مَنْ يَسْتَحِقُّ الضَّرْبَ، وَيُنْفِذُ حُكْمَ اللَّهِ بِهِ  
لِمَنْ تَلَزَّمَهُ الْعُقُوبَةُ، إِذْ عُرِفَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالشَّدَّةِ وَالشَّجَاعَةِ  
وَالرَّغْبَةِ فِي تَنْفِيزِ أَوَامِرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسُرْعَةٍ، لَا يَخَافُ فِي  
اللَّهِ لَوْمَةً لَأَيِّمٍ، يُنْفِذُ أَوَامِرَ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ دُونَ

تَرَدَّدَ وَمَهْمَا كَانَتِ النَّتَائِجُ، وَلَمَّا عُرِفَ عَنْهُ ذَلِكَ، كَانَ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَنْهُمْ إِذَا رَأَوْا شَيْئًا أَوْ أَمْرًا يَسْتَحِقُّ الْقِصَاصَ قَالُوا لِرَسُولِهِمُ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ : مُرْ عَبَادَ بْنَ بَشْرٍ فَلْيَفْعَلْ كَذَا، مُرْ عَبَادَ بْنَ بَشْرٍ، فَلْيَضْرِبْ عُنُقَ فُلَانٍ ... وَبِخَاصَّةٍ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى قِصَاصٍ مِنَ الْأَنْصَارِ.

اِخْتَلَفَ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْآخَرُ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى مَاءٍ أَثْنَاءَ غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ ، وَوَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى رَأْسِ الْمُنَافِقِينَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بِنِ سُلُولٍ ، فَوَجَدَهَا فُرْصَةً مُنَاسِبَةً يُظْهَرُ فِيهَا حِقْدُهُ، وَيَشْفِي غَيْظَ صَدْرِهِ الدَّفِينِ، فَيُوقِعُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَرْمِي الْفُرْقَةَ بَيْنَهُمْ، فَتَكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ بِحَقِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَالَ مِمَّا قَالَ « أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ »، وَوَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مُرْ عَبَادَ بْنَ بَشْرٍ فَلْيَقْتُلْهُ .

٩

لَقَدْ كَانَ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَمِيعًا أَمْنَاءَ فِي الْحَقِّ أَمْنَاءَ عَلَى النَّفْسِ وَعَلَى الْمَالِ ، لَا يَسْتَطِيعُ رَجُلٌ مَهْمَا أُوتِيَ

أَنْ يَطْعَنَ بِأَقْلَقَرِدٍ مِنْهُمْ، وَلَمَّا عُرِفَ ذَلِكَ عَنْهُمْ كُلِّهِمْ فَإِنَّ  
 أَيَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُمَكِّنُ أَنْ يَقُومَ بِأَيَّةِ عَمَلِيَّةٍ تَتَعَلَّقُ بِالْأَمْوَالِ ،  
 وَيَنْجَحُ فِيهَا النَّجَاحَ كُلَّهُ، وَقَدْ أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبَادَ بَنَ  
 بَشَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَجْمَعُ صَدَقَاتِ الْقَبَائِلِ .

وَيَوْمَ خَرَجَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ مَكَّةَ تَحْتَ لِوَاءِ رَسُولِ اللَّهِ  
 ﷺ إِلَى تَجَمُّعِ هَوَازِنَ وَتَقِيفِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ غَزْوَ مَكَّةَ  
 وَقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ أَنْ يَشْتَدَّ سَاعِدُهُمْ - عَلَى زَعْمِ الْمُشْرِكِينَ  
 - ، وَفَاجَأَتْ هَوَازِنُ الْمُسْلِمِينَ فِي حُنَيْنٍ ، الْأَمْرُ الَّذِي أَجْبَرَهُمْ  
 عَلَى أَنْ يُؤَلُّوا الْأَدْبَارَ مَعَ كَثَرَتِهِمْ، وَثَبَّتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
 وَقَلَّةٌ مَعَهُ حَتَّى ثَابَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى رُشْدِهِمْ، وَعَادُوا فَتَجَمَّعُوا  
 حَوْلَ نَبِيِّهِمُ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، وَحَمَلُوا  
 حَمَلَةً وَاحِدَةً أَزَالُوا بِهَا الْمُشْرِكِينَ عَنْ مَوَاقِعِهِمْ، فَفَرُّوا مِنْ  
 أَمَامِهِمْ لَا يَلُودُونَ عَلَى شَيْءٍ وَقَدْ خَلَفُوا وَرَاءَهُمْ شِيَاهُهُمْ وَإِبِلَهُمْ  
 وَأَمْوَالَهُمْ وَذَرَارِيَهُمْ بِأَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ جِدًّا « لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي  
 مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ  
 عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ  
 مُدْبِرِينَ. ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ  
 وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ

الْكَافِرِينَ»<sup>(١)</sup>، وَجُمِعَتْ تِلْكَ الْغَنَائِمُ الْكَثِيرَةُ فِي مِثْقَلَةِ  
الْجَعْرَانَةِ، وَسَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الطَّائِفِ تَحْتَ لِوَاءِ رَسُولِ  
اللَّهِ ﷺ، وَخَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْغَنَائِمِ عَبَادُ بْنُ بَشْرٍ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى رَأْسِ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ يَحْمُونَهَا مِنْ  
أَيِّ أَدَى.

## ١٠

وَخَرَجَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى تَبُوكٍ تَحْتَ لِوَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛  
يُخِيفُونَ الرُّومَ الَّذِينَ حَاوَلُوا أَنْ يُهَدِّدُوا الْمُسْلِمِينَ، وَيُرْهَبُونَ  
الْقَبَائِلَ الْعَرَبِيَّةَ الْمُتَنَصِّرَةَ الَّتِي قَاتَلَتْ يَوْمَ مُوتَةَ، وَفِي كُلِّ  
يَوْمٍ كَانَتْ تَقِفُ بِجَانِبِهِمْ وَيَبَاسْتَمِرَّارٍ تَحْتَ رَابِطَةِ الْعَقِيدَةِ،  
وَكَانَتْ هَذِهِ الْقَبَائِلُ بِتَحْرِيطِ الرُّومِ تُحَاوِلُ الْإِغَارَةَ عَلَى  
الْمُسْلِمِينَ. وَكَانَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ مِنْ أَصْعَبِ الْغَزَوَاتِ الَّتِي  
سَبَقَتْهَا أَنَّ الْمَسَافَةَ طَوِيلَةً تَزِيدُ عَلَى ٦٧٥ كم، وَفِيهَا مَشَقَّةٌ،  
وَفِي وَقْتٍ مِنَ الْحَرِّ اللَّافِحِ، وَالنَّاسُ فِي ضَيْقٍ شَدِيدٍ، الْأَمْرُ  
الَّذِي جَعَلَهُمْ يُطْلِقُونَ عَلَى هَذِهِ الْغَزْوَةِ اسْمَ غَزْوَةِ الْعُسْرَةِ.

وَأَنْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْمُسْلِمِينَ، وَالْقَائِدُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ

(١) التوبة: ٢٥ - ٢٦.

حَرَسَ يَحْمِيهِ، إِذْ أَنَّ الْعَدُوَّ يَعُدُّ الْقَائِدَ الْخَصَمَ الْهَدَفَ الْأَوَّلَ لَهُ، وَبِالْقَضَاءِ عَلَيْهِ يُمَكِّنُ أَنْ يَحْصَلَ عَلَى أَكْبَرِ نَصْرِ. وَالْقَائِدُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَخْتَارَ أَقْوَى الْجُنْدِ حَرَسًا لَهُ، وَأَفْضَلَهُمْ حِرْصًا عَلَيْهِ، وَأَكْثَرَهُمْ يَقَظَةً، وَأَحْسَنَهُمْ طَاعَةً. وَاخْتَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبَادَ بَنِ بَشْرٍ؛ لِيَكُونَ قَائِدَ حَرَسِهِ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، فَكَانَ نِعَمَ الْقَائِدُ.

## ١١

وَأَنْتَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، وَاخْتَارَ الْمُسْلِمُونَ أَبَا بَكْرَ الصِّدِّيقَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - خَلِيفَةً لِرَسُولِ اللَّهِ، وَاسْتَغْلَتْ قَبَائِلُ كَثِيرَةٌ وَفَاةَ رَسُولِ اللَّهِ فَارْتَدَّتْ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَسَيَّرَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَهَا الْجُيُوشَ، وَأَنْضَوَى الصَّحَابَةَ فِي تِلْكَ الْبُعُوثِ، سِوَى عَدَدٍ قَلِيلٍ مِنْهُمْ بَقِيَ فِي الْمَدِينَةِ يُسَاعِدُ الْخَلِيفَةَ فِي تَدْبِيرِ شُؤْنِ الْمَدِينَةِ وَحِفْظِ الْأَمْنِ فِيهَا خَوْفًا مِنْ مُدَاهِمَةِ الْقَبَائِلِ الْمُرْتَدَّةِ وَالْمُتَنَعَةِ عَنْ دَفْعِ الزَّكَاةِ، إِذْ لَمْ يَبْقَ عَلَى الْإِسْلَامِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ سِوَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالطَّائِفِ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ مِنَ الْعَرَبِ فَقَدْ آرَتَدَّ، أَوْ أَمْتَنَعَ عَنْ دَفْعِ الزَّكَاةِ، وَحَاوَلَ الْهُجُومَ عَلَى الْمَدِينَةِ.

وَسَارَ عَبَادُ بْنُ بَشْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ تِلْكَ الْبُعُوثِ بِأَمْرِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِاتِّجَاهِ وَادِي حَنِيفَةَ حَيْثُ يَقُودُ مُسَيْلَمَةُ الْكَذَّابُ قَوْمَهُ - بَنِي حَنِيفَةَ، وَقَدْ اتَّبَعُوا أَمْرَهُ وَمَا أَمَرَهُ بِرَشِيدٍ، «يَقْدَمُ قَوْمُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُورِدُهُمُ النَّارَ، وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمُرُودُ»<sup>(١)</sup> وَعَدَّ عَبَادُ بْنُ بَشْرِ نَفْسَهُ مَسْئُولاً عَنْ مُقَاوَمَةِ هَذِهِ الرَّدَّةِ، وَإِعَادَةِ قُوَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَهَيْبَتِهِمْ وَنَشْرِ عَقِيدَتِهِمْ. وَهُنَاكَ فِي الْيَمَامَةِ فِي مَنَاطِقَةٍ يُقَالُ لَهَا عَقْرَبَاءُ<sup>(٢)</sup> أَشْتَدَّتْ الْمَعْرَكَةُ وَحَمِيَ الْوُطَيْسُ حَيْثُ كَانَ جَيْشُ مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّابِ يَضُمُّ الْعَدَدَ الْكَبِيرَ مِمَّنِ اتَّبَعُوهُ.

لَقَدْ كَانَتْ بَدَايَةُ الْمَعْرَكَةِ لِمَصْلَحَةِ الْمُتَرَدِّينَ، فَلَمَّا رَأَى عَبَادُ بْنُ بَشْرِ ذَلِكَ؛ بَدَأَ يُنَادِي الْأَنْصَارَ وَيَصِيحُ بِهِمْ، فَاتَّجَهُوا نَحْوَهُ، فَقَادَهُمْ هُوَ وَأَبُو دُجَانَةَ وَالْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَكَانَ عَبَادُ يَكْرَهُ عَلَى الْأَعْدَاءِ كَرًّا فَيَحْصُدُهُمْ حَصْدًا، وَيَفْرُونَ مِنْهُ، وَهُوَ يَدْفَعُهُمْ، وَيَخِرُّ الشُّهَدَاءُ مِنْ جَانِبَيْهِ خَرًّا، وَيَسْقُطُ الْمَوْتَى مِنْ أَعْدَائِهِ أَمَامَهُ صَرْعًا، وَبَقِيَ ذَلِكَ دَيْدَنَهُ،

(١) سورة هود الآية ٦٨ .

(٢) عقرباء: تعرف اليوم بالجبيلة، وتقع في أعلى وادي حنيفة على بعد ٤٠ كم إلى الشمال من الرياض .

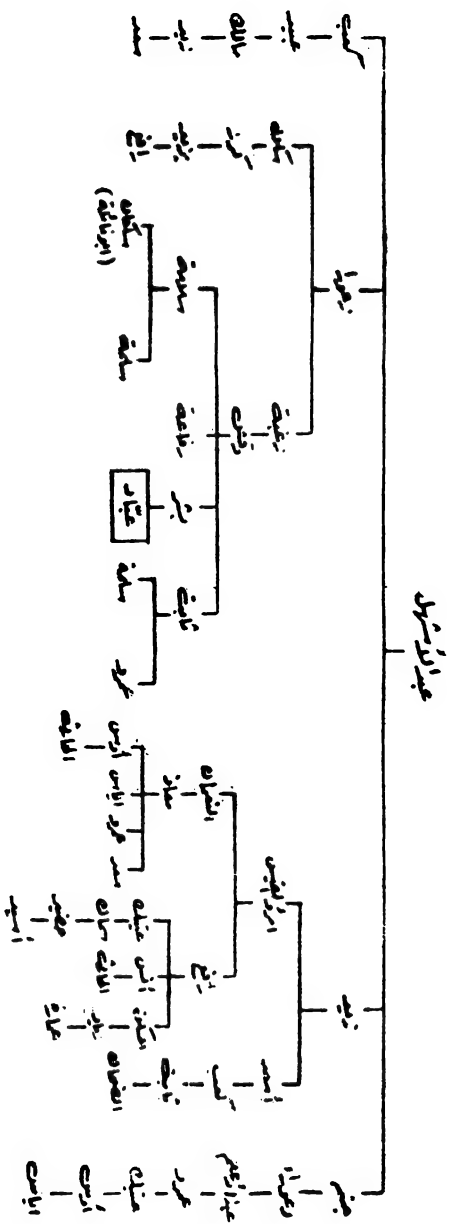
وَعَمِلَ إِخْوَانُهُ مِثْلَهُ حَتَّى سَاقُوا الْأَعْدَاءَ إِلَى حَدِيقَةِ الْمَوْتِ  
 حَيْثُ يَتَحَصَّنُ مُسْلِمُهُ الْكَذَّابُ، وَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَتْهُ  
 ضَرْبَةٌ غَادِرَةٌ صَدَمَتْ مِغْفَرَهُ، فَانْطَلَقَتْ شَرَارَةٌ أَشْرَقَ بِهَا  
 الْحُجُوءُ، وَأَنْشَقَّتْ لَهَا الْحُجُبُ، وَشَدَخَتِ الضَّرْبَةُ وَجْهَ عَبَّادٍ  
 وَرَأْسَهُ، فَأَثَرَتْ مَعَ ضَرْبَاتٍ سَابِقَةٍ أَخْفَ مِنْهَا، وَسَقَطَ شَهِيداً  
 إِلَى الْأَرْضِ، وَارْتَفَعَتْ رُوحُهُ إِلَى بَارِئِهَا فِي الْأَعْلَى، وَسَادَ  
 صَمْتُ رَهيبٍ لَحْظَةً مِنْ زَمَنِ أَغْمَضَ إِثْرَهَا عَبَّادٌ عَيْنِيهِ، وَوَدَعَ  
 هَذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةَ؛ لِيَعِيشَ فِي جَنَّاتِ الْخُلْدِ الْبَاقِيَةِ، وَذَلِكَ قَبْلَ  
 أَنْ تَكْتَحِلَ عَيْنَاهُ بِالنَّصْرِ، إِذْ دَخَلَ الْمُسْلِمُونَ حَدِيقَةَ الْمَوْتِ،  
 وَقَتَلُوا مُسْلِمَةَ الْكَذَّابِ، وَقَضَوْا عَلَى الرَّدَّةِ، وَتَحَقَّقَ أَمْلُ  
 عَبَّادِ بْنِ بَشِيرٍ.

كَانَ عَبَّادٌ يَتَمَنَّى الشَّهَادَةَ، وَلِرَغْبَتِهِ بِهَا، فَقَدْ رَأَى رُؤْيَا  
 قَبْلَ تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ الْحَامِيَةِ، وَقَدْ قَصَّهَا فِي الصَّبَاحِ لِأَخِيهِ  
 الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -  
 الَّذِي يَقُولُ: « قَالَ لِي - عَبَّادُ بْنُ بَشِيرٍ - يَا أَبَا سَعِيدٍ: رَأَيْتُ  
 اللَّيْلَةَ، كَأَنَّ السَّمَاءَ قَدْ فُرِجَتْ لِي، ثُمَّ أَطْبَقَتْ عَلَيَّ، وَإِنِّي  
 لَأَرَاهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ الشَّهَادَةَ، فَقُلْتُ لَهُ: خَيْرٌ وَاللَّهِ رَأَيْتُ.  
 وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْيَمَامَةِ، وَإِنَّهُ لَيَصِيحُ بِالْأَنْصَارِ: أَحْطِمُوا



جُفُونِ السُّيُوفِ ، وَتَمَيَّزُوا عَنِ النَّاسِ ، فَسَارَعَ إِلَيْهِ أَرْبَعُمِائَةٍ  
 رَجُلٍ مِنْهُمْ ، كُلُّهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى أَنْتَهَوْا إِلَى بَابِ  
 الْحَدِيقَةِ ، فَقَاتَلُوا أَشَدَّ الْقِتَالِ ، وَأَسْتَشْهَدَ عَبَادُ بْنُ بَشِيرٍ رَحِمَهُ  
 اللَّهُ ... وَرَأَيْتُ فِي وَجْهِهِ ضَرْبًا كَثِيرًا ، وَمَا عَرَفْتُهُ إِلَّا بِعَلَامَةٍ  
 كَانَتْ فِي جَسَدِهِ .

لَقَدْ نَالَ الشَّهَادَةَ وَهِيَ أُمْنِيَّتُهُ عَنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً ،  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ .



بُيْنَةُ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ

٩-

مُحَمَّدُ بْنُ مَسَايِمَةَ



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ  
الْمُرْسَلِينَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ نَهَجَ مِنْهُمْ إِلَى يَوْمِ  
الَّذِينَ أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمَةَ ابْنَ  
خَالِدٍ كَانَ مِنْ أَوْلِيكَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ أَنْعَمَ  
اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِالْإِيمَانِ فَنَصَرُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَنَصَرَهُمُ اللَّهُ  
وَأَعَزَّهُمْ، وَكَانَ يَوْمَ هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي  
الْخَامِسَةِ وَالثَّلَاثِينَ مِنَ الْعُمُرِ، أَيَّ أَصْغَرَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
بِشْمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، وَفِي سِنِّ النَّضْجِ، فَأَسْلَمَ عَنْ عَقِيدَةِ  
وَيْقِينَ، وَبَدَّلَ كُلَّ مَا فِي طَاقَتِهِ لِنُصْرَةِ هَذَا الدِّينِ، وَعَمِلَ  
بِكُلِّ امْكِتَانَةٍ لِرَفْعِ رَايَةِ الْإِسْلَامِ.

كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ مِنَ الْأَوْسِ وَهُمْ الْأَقْلُ عِدَدًا مِنْ  
إِخْوَانِهِمُ الْخَزَرَجِ، وَلَكِنْ لَيْسَتْ الْقُوَّةُ بِالْأَعْدَادِ، وَلَيْسَتْ  
الْجُيُوشُ بِالْكَثَرَةِ، وَإِنَّمَا الْقَضَايَا كُلُّهَا بِالْإِيمَانِ وَارْتِفَاعِ

الْمَعْنَوَاتِ، وَيَبْدُو أَنَّ الرِّجَالَ الْأَكْثَرَ جِهَادًا كَانُوا بَيْنَ  
الْأَوْسِ، وَكَذَلِكَ الْأَبْطَالُ الْأَكْثَرُ تَضَحِيَّةً كَانَتْ بَيْنَهُمْ أَكْثَرُ  
مِمَّا هِيَ بَيْنَ أَشْقَائِهِمُ الْخَزْرَجِ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ سَيِّدُ الْأَوْسِ  
هُوَ سَيِّدُ الْأَنْصَارِ جَمِيعًا، كَمَا أَنَّ أَسِيدَ بْنَ حُضَيْرٍ، وَعَبَادَ بْنَ  
بُشَيْرٍ، وَمُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ وَهُمْ مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ مِنَ الْأَنْصَارِ  
أَمْثَالُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، وَسَعْدِ بْنِ الرَّيْعِ، وَأَبِي دُجَانَةَ،  
وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ، وَالْحَبَابِ ابْنِ الْمُنْذِرِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ  
الْخَزْرَجِ .

كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ بْنِ الْحَارِثِ، وَهُمْ  
حُلَفَاءُ بَنِي عُبَيْدٍ أَحَدِ بُطُونِ الْأَوْسِ، وَلَيْسَ مَعْنَى الْحَلِيفِ -  
كَمَا يَتَوَهَّمُ بَعْضُهُمْ - أَقَلُّ رُبَّةً أَوْ أضعَفَ شَأْنًا مِنْ بَقِيَّةِ  
الْبُطُونِ الْمَشْهُورَةِ وَالْقَبَائِلِ الْمَعْرُوفَةِ، وَإِنَّمَا عَلَى مُسْتَوَى  
حَلِيفِهِ نَفْسِهِ، تَحَالَفَ مَعَ نِدٍّ لَهُ لِيُطْرُوفَ أَحَاطَتْ بِهِ أَوْ لِأَسْبَابِ  
طَرَأَتْ عَلَى وَضْعِهِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ أَحَدُ هَؤُلَاءِ الْحُلَفَاءِ  
لِبَنِي عُبَيْدٍ، وَعَلَى مُسْتَوَى رِجَالَتِهِمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ شُهْرَةً  
وَأَعْلَاهُمْ رُبَّةً .

لَمْ تَكُنِ الْعَرَبُ لِتَسْمِيَ مُحَمَّدًا قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا  
نَادِرًا، وَلَعَلَّهُ لَا يُعْرَفُ غَيْرَ اسْمِ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ فِي مِثْلِ

سِنَّهُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ لَتَتَجَاوَزَ الْخَامِسَةَ وَالثَّلَاثِينَ قَبْلَ هِجْرَةِ  
الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ .

لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيَطْلُبَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ طَلَبًا إِلَّا  
وَيَكُونُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ - إِنْ كَانَ حَاضِرًا - أَوَّلَ مَنْ يَسْتَعِدُّ  
لِتَلْبِيَةِ طَلَبِ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ وَتَحْقِيقِ رَغْبَتِهِ عَلَى الْفَوْرِ .

شَهِدَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ بَدْرًا وَكَانَ مِنْ أَبْطَالِ الْمُسْلِمِينَ  
فِيهَا . وَكَانَ لِهَزِيمَةِ قُرَيْشٍ وَمَقْتَلِ زُعَمَائِهَا الْأَثَرِ السَّيِّئِ فِي  
نُفُوسِ الْيَهُودِ الَّذِينَ شَعَرُوا بِقُوَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَهُمْ يَحْقِدُونَ  
عَلَى كُلِّ مَنْ فَوْقَهُمْ، وَيَتَمَنَّوْنَ لَهُ الضَّعْفَ وَالذَّلَّ حَتَّى يَتِمَكَّنُوا  
مِنَ السَّيْطَرَةِ عَلَيْهِ، وَابْتِرَازَ مَالِهِ، وَامْتِصَاصِ دَمِهِ، لِذَا قَالَ  
أَحَدُ زُعَمَائِهِمْ، وَهُوَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ عِنْدَمَا وَصَلَ إِلَيْهِ نَبَأُ  
مَعْرَكَةِ بَدْرٍ: لَئِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ أَصَابَ هَوْلَاءِ الْقَوْمِ لَبَطُنُ  
الْأَرْضِ خَيْرٌ مِنْ ظَهْرِهَا، فَلَمَّا تَيَقَّنَ عَدُوُّ اللَّهِ الْخَبَرَ انْتَقَلَ  
إِلَى مَكَّةَ، وَبَدَأَ يُحَرِّضُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَبْكِي قَتْلَ  
بَدْرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ - وَكَانَ شَاعِرًا - . وَلَمَّا تَمَّ لَهُ مَا أَرَادَ مِنَ  
التَّحْرِيطِ وَإِثَارَةِ الْحِقْدِ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَصَارَ يُشَبِّبُ  
بِنِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى آذَاهُمْ . . .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَنْ لِي بِابْنِ الْأَشْرَفِ ؟ .

فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ : أَنَا لَكَ بِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَا أَقْتُلُهُ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَأَفْعَلْ إِنْ قَدَرْتَ عَلَى ذَلِكَ .

وَمَكَثَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ عِدَّةَ أَيَّامٍ فِي الْبَيْتِ لَا يَتَنَاوَلُ الطَّعَامَ ، وَهُوَ يُفَكِّرُ فِي الْمَوْضُوعِ ، وَيَخْشَى أَلَّا يَسْتَطِيعَ أَنْ يُحَقِّقَ مَا وَعَدَ بِهِ ، وَعَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْخَبَرَ فَسَأَلَ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ عَنْ عَدَمِ تَنَاوُلِهِ الطَّعَامَ ، فَأَخْبَرَهُ مَا بِهِ ، فَدَعَا لَهُ ، وَطَلَبَ مِنْهُ الْعَمَلَ . أَخَذَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ جَمَاعَةً مِنَ الْأَوْسِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ مِنْهُمْ أَبُو نَائِلَةَ ، وَهُوَ أَخٌ لِكَعْبِ ابْنِ الْأَشْرَفِ فِي الرِّضَاعَةِ ، وَأَنْطَلَقَ الْجَمْعُ إِلَى حِصْنِ كَعْبٍ ، وَنَادَاهُ أَبُو نَائِلَةَ ، وَحَدَّثَهُ وَحْدَهُ فِي شِرَاءِ بَعْضِ الْمَوَادِّ مِنْهُ دِينًا هُوَ وَأَصْدِقَائِهِ لَهُ ، وَسَالَ لُعَابُ الْيَهُودِيِّ عَلَى الرِّيحِ ، وَاسْتَشْعَرَ بَرْنِينَ أَلْمَالِ بَيْنَ يَدَيْهِ كَعَادَةِ يَهُودَ دَائِمًا وَفِي كُلِّ وَقْتٍ ، وَوَافَقَ مُقَابِلَ رَهَائِنَ يُقَدِّمُونَهَا لَهُ ، وَطَلَبَ أَنْ يَأْتِيَهُ لَهُ بِأَصْدِقَائِهِ ، فَعَادَ وَجَاءَ بِهِمْ إِلَيْهِ ، وَخَرَجَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ مِنْ



حِصْنِهِ لِلإِتِّقَاءِ بِهِمْ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْوَقْتَ كَانَ لَيْلًا، وَفِي سَاعَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ مِنْهُ، وَالْيَهُودُ يَخْشَوْنَ الْخُرُوجَ لَيْلًا، إِلَّا أَنْ حُبَّ الْمَالِ وَالطَّمَعِ فِي الْأَرْبَاحِ قَدْ أَخْرَجَهُ وَغَطَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَحْذِيرِ زَوْجِهِ لَهُ، وَاسْتَدْرَجَهُ الصَّحَابَةُ بَعِيدًا عَنِ الْحِصْنِ، وَسَارُوا بِهِ مَسَافَةً يَتَحَدَّثُونَ مَعَهُ عَنْ نَوَاعِي الرِّهَائِنِ، حَتَّى اتَّفَقُوا عَلَى رَهْنِ السِّلَاحِ. وَكَانَ كَعْبٌ مُتَعَطِّرًا، فَقَالَ لَهُ أَبُو نَائِلَةَ: مَا أَجْمَلَ هَذِهِ الرَّائِحَةَ! وَقَرَّبَ رَأْسَهُ مِنْهُ كَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَزِيدَ مِنْ شَمِّ رَائِحَةِ الْعِطْرِ، إِلَّا أَنَّهُ جَذَبَهُ مِنْ شَعْرِهِ، وَقَالَ لِأَخْوَانِهِ: أَضْرِبُوا عَدُوَّ اللَّهِ، وَعَمِلَتْ فِيهِ أَسْيَافُهُمْ، وَلَكِنْ خَوْفًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ لَمْ يَسْقُطْ، إِذْ لَمْ تَنْشُهِ السُّيُوفُ، فَأَخْرَجَ مُحَمَّدٌ بْنُ مَسْلَمَةَ سَكِينًا، وَوَضَعَهَا فِي نَنْتِهِ<sup>(١)</sup>، وَتَحَامَلَ عَلَيْهِ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى عَانَتِهِ، فَوَقَعَ عَدُوُّ اللَّهِ، وَرَجَعَ الصَّحَابَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَخْبَرَ مُحَمَّدٌ بْنُ مَسْلَمَةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنَّ كَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفِ قَدْ قُتِلَ.

وَفِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ مِنْ هِجْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَتْ غَزْوَةُ

(١) النَّتَّةُ: الْعَانَةُ.

أَحَدٍ الَّتِي أَرَادَتْ قُرَيْشٌ مِنْهَا أَنْ تَثَارَ لِنَفْسِهَا، فَأَصِيبَ فِيهَا  
الْمُسْلِمُونَ، وَلَكِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ قُرَيْشٌ الْوُصُولَ إِلَى مَا أَرَادَتْ  
إِذْ بَقِيَتْ مَعْنَوِيَّاتُ الْمُسْلِمِينَ عَالِيَةً، وَإِمْكَانَاتُهُمْ فِي مُتَابَعَةِ  
الْقِتَالِ وَالذَّوْدِ عَنِ الْمَدِينَةِ قَائِمَةً، وَسَقَطَ مِنْهُمْ عَدَدٌ مِنَ  
الشَّهَدَاءِ الْبَرَّةِ. وَاشْتَغَلَ الْمُسْلِمُونَ إِثْرَ الْمَعْرَكَةِ بِقِتْلَاهُمْ،  
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لِي مَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ  
الرَّبِيعِ؟ أَفِي الْأَحْيَاءِ هُوَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ؟ فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ  
مَسْلَمَةَ: أَنَا أَنْظُرُ إِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فَعَلَ سَعْدٌ. وَأَنْطَلَقَ  
فَنَظَرَ فَوَجَدَهُ جَرِيحًا فِي الْقَتْلِ وَبِهِ رَمَقٌ. فَقَالَ لَهُ: إِنَّ رَسُولَ  
اللَّهِ أَمَرَنِي أَنْظُرَ، أَفِي الْأَحْيَاءِ أَنْتَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ؟ قَالَ: أَنَا  
فِي الْأَمْوَاتِ، فَأَبْلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِّي السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: إِنَّ  
سَعْدَ بْنَ الرَّبِيعِ يَقُولُ لَكَ: جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا خَيْرَ مَا جَزَى نَبِيًّا  
عَنْ أُمَّتِهِ، وَأَبْلَغَ قَوْمَكَ عَنِّي السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ سَعْدَ بْنَ  
الرَّبِيعِ يَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَا عُذْرَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ، إِنْ خُلِصَ  
لِنَبِيِّكُمْ ﷺ وَمِنْكُمْ عَيْنٌ تَطْرَفُ. وَلَمْ يَبْرَحْ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ  
حَتَّى مَاتَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ.

وَبَعْدَ غَزْوَةِ أَحَدٍ سُرَّ الْيَهُودُ فِي الْمَدِينَةِ بِمَا أَصَابَ  
الْمُسْلِمِينَ، وَفَكَرُوا بِالتَّخْلَصِ مِنْهُمْ بَعْدَ أَنْ اسْتَضَعَفُوهُمْ

وَطَمِعُوا فِيهِمْ، لِذَا قَرَّرَ بَنُو النَّضِيرِ مِنْ يَهُودَ آغْتِيَالَ رَسُولِ  
اللَّهِ ﷺ، وَسَمَحَتْ لَهُمُ الْفُرْصَةُ - حَسَبَ زَعْمِهِمْ - إِذْ زَارَ  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دِيَارَهُمْ لِيَطْلُبَ مِنْهُمْ الْمُشَارَكَةَ فِي دَفْعِ الدِّيَةِ  
لِرَجُلَيْنِ قَتَلَهُمَا عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَنَّ  
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَعْطَاهُمَا عَهْدًا. وَرَحَبَ يَهُودُ بَنِي النَّضِيرِ  
بِرَسُولِ اللَّهِ، وَوَعَدُوهُ بِدَفْعِ مَا يُرِيدُ، وَمَكَثَ يَتَنَظَّرُ هُوَ  
وَأَصْحَابُهُ إِنْجَازَ مَا وَعَدَتْ يَهُودُ، وَقَدْ جَلَسُوا فِي ظِلِّ جِدَارٍ،  
فَقَرَّرَتْ يَهُودُ الْقَاءَ صَخْرَةً عَلَيْهِ، وَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ  
السَّمَاءِ بِمَا هَمَّتْ بِهِ يَهُودُ، وَهَذَا مَا جَعَلَهُ يَتْرُكُ مَكَانَهُ،  
وَيَرْجِعُ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَتَبِعَهُ أَصْحَابُهُ. وَعَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا هَمَّ  
بِهِ الْيَهُودُ مِنَ الْغَدْرِ نَقْضًا لِلْعَهْدِ لِذَا قَرَّرَ إِجْلَاءَهُمْ عَنْ  
الْمَدِينَةِ، وَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ إِنْذَارًا حَمَلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، إِذْ  
أَسْتَدْعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ لَهُ: أَذْهَبَ إِلَى يَهُودِ بَنِي  
النَّضِيرِ، وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ أَنْ أَخْرُجُوا  
مِنْ بِلَادِي، لَقَدْ نَقَضْتُمْ الْعَهْدَ الَّذِي جَعَلْتُ لَكُمْ بِمَا هَمَمْتُمْ بِهِ  
مِنَ الْغَدْرِ، لَقَدْ أَجَلْتُكُمْ عَشْرًا فَمَنْ رُؤِيَ بَعْدَ ذَلِكَ ضَرِبَتْ  
عُنُقُهُ. وَذَهَبَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يُنْكِرُوا مَا هَمُّوا  
بِهِ، وَأَنْهَارَتْ مَعْنَوِيَاتُهُمْ، إِلَّا أَنَّ الْمُنَافِقِينَ قَدْ طَلَبُوا مِنْهُمْ  
رَفْضَ الْإِنْذَارِ النَّبَوِيِّ، فَفَعَلُوا، فَسَارَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

فَحَاصِرَهُمْ، وَضَعُوا بَعْدَ قَطْعِ نَخِيلِهِمْ، وَفَاوَضُوا رَسُولَ اللَّهِ فِي الصَّلْحِ وَالْجَلَاءِ عَنِ الْمَدِينَةِ بَعْدَ أَنْ تَدَخَّلَ الْمَنَافِقُونَ فِي الْأَمْرِ وَعَلَى رَأْسِهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنٍ سَلُولٍ .

وَزَنَّتْ قُرَيْشٌ أَنَّ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ ضَعُفَ بَعْدَ غَزْوَةِ أُحُدٍ وَمَا تَلَاَهَا فِي يَوْمِ الرَّجِيعِ وَبَثِرِ مَعُونَةٍ وَغَيْرِهَا، فَأَرَادَتْ قُرَيْشٌ أَنْ تَشُنَّ حَرْبًا وَاسِعَةً تَقْضِي فِيهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَحَزَبَتْ الْأَحْزَابَ، وَجَمَعَتْ أَعْدَاءَ الْمُسْلِمِينَ فِي حِلْفٍ، وَمِنْهُمْ يَهُودُ بَنِي قُرَيْظَةَ الَّذِينَ بَقُوا وَحَدَّهُمْ فِي الْمَدِينَةِ بَيْنَمَا أَجْلَيْتْ بَقِيَّةَ يَهُودَ لِتَأْمُرِهِمْ وَخِيَانَتِهِمْ، وَخَطَطَ الْأَحْزَابُ وَمَكَرُوا، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَدَّ كَيْدَهُمْ فِي نَحْرِهِمْ، فَتَرَكُوا حِصَارَ الْمَدِينَةِ، وَبَقِيَ بَنُو قُرَيْظَةَ فِي مَوَاقِعِهِمْ دَاخِلَهَا . فَسَارَ إِلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ وَحَاصَرُوهُمْ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ رَئِيسًا لِلْحَرَسِ النَّبَوِيِّ، وَكَثِيرًا مَا تَوَلَّى هَذِهِ الْمُهْمَّةَ بَعْدَ أَنْ أُصِيبَ سَيِّدُ الْأَنْصَارِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فِي غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ، وَقَدْ مَاتَ شَهِيدًا إِثْرَ غَزْوَةِ بَنِي قُرَيْظَةَ مُتَأَثِّرًا بِجِرَاحِهِ، وَغَالِبًا مَا كَانَتْ هَذِهِ الْمُهْمَّةُ فِي الْأَوْسِ، وَلَا شَكَّ فَإِنَّ تَوَلَّى قِيَادَةَ الْحَرَسِ النَّبَوِيِّ لَيَدُلُّ عَلَى مَدَى ثِقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِهِ، وَثِقَتِهِ بِشَجَاعَتِهِ وَإِمْكَانَاتِهِ .

وَكَانَ مُحَمَّدٌ بْنُ مَسْلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى عِلْمٍ بِالرِّجَالِ  
 وَخَبْرَةٍ بِالْكَرَامِ، وَقَدْ مَرَّ بِهِ عَمْرُو بْنُ سَعْدَى الْقُرْظِيُّ يَوْمَ نَزَلَ  
 بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ: مَنْ  
 هَذَا؟ قَالَ: عَمْرُو بْنُ سَعْدَى، وَكَانَ عَمْرُو قَدْ أَبِي أَنْ يَدْخُلَ  
 مَعَ بَنِي قُرَيْظَةَ فِي غَدْرِهِمْ بِرَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ بْنُ  
 مَسْلَمَةَ: اأَلْهَمَ لَا تَحْرِمْنِي عَثَرَاتِ الْكَرَامِ، ثُمَّ خَلَى سَبِيلَهُ. وَلَا  
 شَكَّ فَإِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ لَتَدُلُّ عَلَى مَدَى تَقْدِيرِهِ لِعَمْرُو الَّذِي  
 حَافَظَ عَلَى الْعَهْدِ وَرَفَضَ الْغَدْرَ كَمَا فَعَلَ بَقِيَّةُ يَهُودَ.

وَكَانَتْ إِذَا انْطَلَقَتْ سَرِيَّةٌ مِنَ السَّرَايَا إِلَى جِهَةٍ مِنَ  
 الْجِهَاتِ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ فِيهَا، أُعْطِيَ قِيَادَتَهَا إِلَى رَجُلٍ  
 مِنَ الْمَعْرُوفِينَ بِالشَّجَاعَةِ الْمُتَمَيِّزِينَ بِالْعَبْقَرِيَّةِ الْمَشْهُورِينَ  
 بِالْقُدْرَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ وَالْإِمْكَانَاتِ الْحَرْبِيَّةِ، وَلَقَدْ تَوَلَّى مُحَمَّدٌ  
 ابْنُ مَسْلَمَةَ قِيَادَةَ عَدَدٍ مِنْ هَذِهِ السَّرَايَا الَّتِي خَرَجَتْ تُقَاتِلُ فِي  
 سَبِيلِ اللَّهِ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ.

فِي مَطْلَعِ السَّنَةِ السَّادِسَةِ لِلْهِجْرَةِ أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
 مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ فِي ثَلَاثِينَ رَاكِبًا لِيَشَنَّ غَارَةَ عَلَى بَنِي بَكْرِ بْنِ  
 كِلَابٍ، وَكَانُوا يَنْزِلُونَ شِمَالَ شَرْقِي الْمَدِينَةِ عَلَى بُعْدِ ١٥٠  
 كِيلُو مِتْرًا مِنْهَا عَلَى طَرِيقِ الْبَصْرَةِ، فَسَارَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

إِلَيْهِمْ، وَكَانَ يَكْمُنُ فِي النَّهَارِ، وَيَتَحَرَّكُ فِي اللَّيْلِ حَتَّى اسْتَطَاعَ أَنْ يُبَاغِتَهُمْ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ عَشْرَةَ أَشْخَاصٍ، وَفَرَّ الْبَاقُونَ، فَسَاقَ إِبِلَ وَشِيَاهَ الْعَدُوِّ أَمَامَهُ، وَعَادَ بِسَرِيَّتِهِ دُونَ أَنْ يُصَابَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِأَذَى. وَأَثْنَاءَ طَرِيقِ الْعُودَةِ التَّقَى بِثُمَامَةَ ابْنِ أَثَالِ الْحَنْفِيِّ، أَحَدِ زُعَمَاءِ بَنِي حَنْفِيَّةَ، وَمُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمَةَ لَا يَعْرِفُ ثُمَامَةَ، كَمَا لَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ مِنْ سَرِيَّتِهِ، فَأَسْرَهُ، وَحَمَلَهُ مَعَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ. فَلَمَّا سَارَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَرَفَهُ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ، فَعَامَلَهُ مُعَامَلَةً طَيِّبَةً عَلَى طَبِيعَةِ مُعَامَلَةِ رَسُولِ اللَّهِ لِلْأَعْيَانِ وَالْكَرَامِ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَلَكِنَّهُ رَفَضَهُ، فَأُطْلِقَ سَرَّاحَهُ، فَسَارَ ثُمَامَةُ أَشْوَاطًا ثُمَّ رَجَعَ فَأَعْلَنَ إِسْلَامَهُ بَعْدَ مَا رَأَى مِنْ آيَاتِ مَا رَأَى وَشَعَرَ بِالْمُعَامَلَةِ الْكَرِيمَةِ إِذْ رَفَضَ أَنْ يَتَّبِعَ هَوَاهُ، وَيُصِرَّ عَلَى رَأْيِهِ، وَيَسْتَكْبِرَ بِغَيْرِ حَقٍّ بَعْدَ أَنْ تَبَيَّنَ لَهُ الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ، وَظَهَرَ لَهُ الْخَطُّ الْمُسْتَقِيمُ، وَسَطَعَ أَمَامَهُ النُّورُ، وَسَارَ إِلَى بِلَادِهِ عَنْ طَرِيقِ مَكَّةَ، فَأَعْتَمَرَ وَأَشْهَرَ إِسْلَامَهُ، وَأَغَاطَ قُرَيْشًا، وَأَرَادَتْ بِهِ كَيْدًا فَهَدَدَهَا بِقَطْعِ الْمِيرَةِ عَنْهَا، وَكَادَ يَفْعَلُ لَوْلَا تَدَخُّلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَفِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ نَفْسَهَا فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ أَرْسَلَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيْضاً مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ عَلَى رَأْسِ عَشْرَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى (ذِي الْقَصَةِ) الَّتِي تَقَعُ عَلَى طَرِيقِ (الرَّبَذَةِ) عَلَى بُعْدِ ٣٧ كِيلُو مِثْرًا مِنَ الْمَدِينَةِ لِتَأْدِيبِ أَهْلِهَا مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ الَّذِينَ كَانُوا يُرِيدُونَ الْإِغَارَةَ عَلَى إِبِلِ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي تَرَعَى عَلَى مَقَرَّةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي مَنْطِقَةِ (الْهَيْفَاءِ)، وَوَصَلَ خَبَرُ هَذِهِ السَّرِيَّةِ إِلَى أَعْدَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَنَصَبُوا كَمِينًا لَهُمْ، وَنَامَ الْمُسْلِمُونَ، وَلَكِنْ لَمْ يَلْبُثُوا أَنْ شَعَرُوا بِالْهُجُومِ عَلَيْهِمْ، فَقَتَلَ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا مَا عَدَا أَمِيرَهُمْ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ الَّذِي أَثَخَّنَتْهُ الْجِرَاحُ، وَظَنَّ الْأَعْدَاءُ أَنَّهُ قُتِلَ، فَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَأَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَا حَدَثَ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْقَوْمِ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ لِيُودَّبَ أَعْدَاءُ اللَّهِ، فَسَارَ إِلَى دِيَارِهِمْ فَوَلَّوْا هَارِبِينَ، وَقَدْ تَرَكُوا إِبِلَهُمْ، فَاسْتَأَقَهَا أَبُو عُبَيْدَةَ وَرَجَعَ رَاضِيًا اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْمَدِينَةِ .

وَفِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ نَفَسَهَا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ لِيُودِّيَ الْعُمْرَةَ، وَكَانَ مَعَهُ أَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، إِلَّا أَنَّ قُرَيْشًا وَقَفَتْ فِي وَجْهِهِمْ، وَحَالَتْ دُونَهُمْ وَالْبَيْتِ، وَجَرَى صُلْحُ الْحُدَيْبِيَّةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَقُرَيْشٍ . وَأَصْبَحَتْ الْجَنْهَةُ الْجَنُوبِيَّةُ لِلْمُسْلِمِينَ فِي وَقْتِ صُلْحِ

وَمُهَادَنَةٍ، الْأَمْرُ الَّذِي جَعَلَ الْمُسْلِمِينَ يَتَجَهُّونَ إِلَى الْجِهَةِ  
الشَّمَالِيَّةِ حَيْثُ يَتَجَمَّعُ الْيَهُودُ فِي خَيْبَرَ وَ(فَدَكْ) وَ(تَيْمَاءَ)  
وَ(وَادِي الْقُرَى) وَمَنْ سَارَ إِلَيْهِمْ مِمَّنْ جَلَا عَنْ الْمَدِينَةِ مِنْ  
أَبْنَاءِ عَقِيدَتِهِمْ، كَمَا شَجَّعَ أُولَئِكَ الْأَعْدَاءُ الْأَعْرَابَ وَرِجَالَ  
الْقَبَائِلِ الَّتِي لَا تَزَالُ عَلَى وَثْنَيْتِهَا وَشُرُكُهَا .

سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْمُسْلِمِينَ إِلَى خَيْبَرَ فِي مَطْلَعِ السَّنَةِ  
السَّابِعَةِ، وَلَمْ يَقْبَلْ فِي حِمْلَتِهِ هَذِهِ إِلَّا مَنْ حَضَرَ الْحُدُوبِيَّةَ،  
وَوَصَلَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى خَيْبَرَ الَّتِي تَبْعُدُ حَوَالِي ١٦٠ كيلو متراً  
إِلَى الشِّمَالِ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ مَجْمُوعَةً مِنَ الْحُصُونِ،  
وَقَدْ هُزِمَ الْيَهُودُ، وَهَرَبُوا أَمَامَ الْمُسْلِمِينَ، وَدَخَلُوا الْحِصْنَ،  
وَأَغْلَقُوا الْأَبْوَابَ، وَبَدَّوْا بِرُمِي الْمُسْلِمِينَ بِالْحِجَارَةِ مِنَ  
الْأَبْرَاجِ وَأَعَالِي الْحِصْنِ، وَقَدْ اسْتَشْهَدَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ  
أَخُو مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ إِذْ أُلْقِيَ عَلَيْهِ حَجَرٌ رَحَى، وَنَتِيجَةُ هَذَا  
الرَّمْيِ تَرَاجَعَ الْمُسْلِمُونَ عَنِ الْحِصْنِ، فَخَرَجَ الْيَهُودُ مِنْهُ،  
وَقَاتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ، وَتَرَسَّ الْمُسْلِمُونَ عَنِ النَّبِيِّ وَذَادُوا عَنْهُ،  
وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فِي مُقَدِّمَةِ الذَّائِدِينَ، وَاسْتَمَرَ الْقِتَالُ  
حَتَّى الْمَسَاءِ حَيْثُ تَمَّ لَيْلاً تَغْيِيرَ مَقَرِّ قِيَادَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،  
إِذْ بَعَثَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ قَائِدَ حَرَسِهِ الْخَاصِّ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ



لِيَفْتِشَ عَنْ مَقَرِّ جَدِيدٍ بِنَاءٍ عَلَى رَأْيِ الْحَبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ،  
وَقَدْ وَجَدَ مُحَمَّدٌ بْنُ مَسْلَمَةَ مَقَرًّا مُنَاسِبًا فِي وَادِي الرَّجِيعِ  
يَتَّفِقُ وَالْمَوَاصِفَاتِ الَّتِي قَدَّمَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

وَلَمْ يَسْقُطْ هَذَا الْحِصْنُ وَهُوَ الْحِصْنُ الْأَوَّلُ مِنْ حُصُونِ  
خَيْبَرَ حَتَّى قُتِلَ قَادَةُ الْمُدَافِعِينَ عَنْهُ وَهُمْ: (مَرْحَبٌ) وَأَخَوَاهُ  
(يَاسِرٌ) وَ(الْحَارِثُ) وَقَادَةُ آخَرُونَ، فَقَدْ قُتِلَ (الْحَارِثُ)، ثُمَّ  
قُتِلَ (مَرْحَبٌ) عَلَى يَدِ بَطْلَانَا مُحَمَّدٍ بْنِ مَسْلَمَةَ، إِذْ خَرَجَ  
(مَرْحَبٌ) يَطْلُبُ الْمُبَارَزَةَ، وَهُوَ مِنْ أَشِدَّاءِ الْيَهُودِ وَأَكْثَرِهِمْ  
شَجَاعَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ لِهَذَا؟ فَقَالَ مُحَمَّدٌ بْنُ  
مَسْلَمَةَ: أَنَا لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا وَاللَّهِ الْمَوْتُورُ الثَّائِرُ، قُتِلَ  
أَخِي بِالْأَمْسِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: فَقُمْ إِلَيْهِ،  
اللَّهُمَّ أَعِنِّهِ عَلَيْهِ. فَلَمَّا دَنَا أَحَدُهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ، دَخَلَتْ بَيْنَهُمَا  
شَجَرَةٌ عَمْرِيَّةٌ (قَدِيمَةٌ) مِنْ شَجَرِ الْعُشْرِ، فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا يَلُودُ  
بِهَا مِنْ صَاحِبِهِ، كُلَّمَا لَازَ بِهَا مِنْهُ أَقْطَعَ صَاحِبُهُ بِسَيْفِهِ مَا دُونَهُ  
مِنْهَا، حَتَّى بَرَزَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ، وَصَارَتْ بَيْنَهُمَا  
كَالرَّجُلِ الْقَائِمِ مَا فِيهَا فَنَنْ، وَهَنَا حَمَلُ الْقَائِدِ (مَرْحَبِ)  
عَلَى ابْنِ مَسْلَمَةَ فَأَهْوَى إِلَيْهِ بِسَيْفِهِ فَاتَّقَاهُ بِدَرْقَتِهِ، وَكَانَتْ مِنْ  
جِلْدِ سَمِيكِ فَوَقَعَ سَيْفُ (مَرْحَبِ) فِيهَا، فَعَضَّتْ بِهِ فَأَمْسَكَتْهُ،

وَهَنَا ضَرْبُهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ حَتَّى قَتَلَهُ .

وَيُرَوَّى أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ لَمَّا بَرَزَ إِلَى (مَرْحَبٍ) قَطَعَ رَجْلَيْهِ ، وَبَعْدَ أَنْ طَرَحَهُ أَرْضًا ، قَالَ لَهُ مَرْحَبٌ : أَجْهَزَ عَلَيَّ ، فَقَالَ : لَا ، ذُقِ الْمَوْتَ كَمَا ذَاقَهُ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ ، فَمَرَّ بِهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَطَعَ رَأْسَهُ .

وَخَرَجَ (يَاسِرٌ) أَخُو (مَرْحَبٍ) الثَّانِي فَتَصَدَّى لَهُ الزَّبِيرُ ابْنُ الْعَوَّامِ وَقَتَلَهُ ، وَبَرَزَ قَائِدٌ رَابِعٌ يُدْعَى (عَامِرًا) فَقَتَلَهُ عَلِيُّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَخَرَجَ الْقَائِدُ الْخَامِسُ وَهُوَ (أَسِيرٌ) فَخَرَجَ لَهُ قَائِدُنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَضَرْبُهُ ضَرْبَةً أَرَادَاهُ قَتِيلًا .

وَبَعْدَ مَقْتَلِ قَادَةِ الْيَهُودِ الْخَمْسَةِ أَنْهَارَتْ مَعْنَوِيَّاتُ الْيَهُودِ دَاخِلَ الْحِصْنِ ، وَشَدَّدَ الْمُسْلِمُونَ هُجُومَهُمْ عَلَيْهِ حَتَّى أَقْتَحَمُوهُ فَفَتَحُوهُ ، وَهُوَ أَوَّلُ حُصُونِ خَيْبَرَ .

وَفَتَحَ الْمُسْلِمُونَ الْمَجْمُوعَةَ الْأُولَى مِنَ الْحُصُونِ فِي خَيْبَرَ ، وَانْتَقَلُوا إِلَى الْمَجْمُوعَةِ الثَّانِيَةِ ، وَكَانَتْ تَحْتَ إِمْرَةِ آلِ أَبِي الْحَقِيقِ ، وَصَمَدَتْ فِي بَدَايَةِ أَمْرِهَا ، ثُمَّ أَنْهَارَتْ الْمَعْنَوِيَّاتُ ، وَطَلَبَ الْمُدَافِعُونَ الصَّلْحَ ، وَأَبْرِمَتِ الْإِتْفَاقِيَّةُ ، وَوُقِعَتْ مِنَ الطَّرَفَيْنِ ، وَلَكِنَّ أَمْرَاءَ الْيَهُودِ فِي هَذَا الْجُزْءِ ،

وَهُمْ كِنَانَةُ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ ، وَأَخُوهُ الرَّبِيعُ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ  
 قَدْ خَانُوا الْعَهْدَ ، وَنَكثُوا بِالْوَعْدِ ، وَرَفَضَ أَوْلَهُمَا الْإِدْلَاءَ  
 بِمَكَانِ الْكُؤُوزِ كَذِبًا وَخِيَانَةً ، فَكَانَ أَنْ أُعْدِمَا ، وَقَدْ أَمَرَ  
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ أَنْ يَقْتَلَ كِنَانَةَ بْنَ أَبِي  
 الْحَقِيقِ بِأَخِيهِ مَحْمُودِ بْنِ مَسْلَمَةَ ، فَفَعَلَ .

وَأَتَمَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتْحَ خَيْبَرَ وَبَقِيَّةَ مَعَاوِلِ يَهُودَ فِي  
 ( فَدَكَ ) وَ( تَيْمَاءَ ) وَ( وَادِي الْقُرَى ) وَبَدَأَ قَضَى عَلَى الْجَبْهَةِ  
 الشِّمَالِيَّةِ نِهَائِيًّا ، وَأَنْتَهَى دَوْرَ الْيَهُودِ الْعَلِيِّ فِي مُحَارَبَةِ  
 الْمُسْلِمِينَ فِي تِلْكَ الْحِقْبَةِ مِنَ التَّارِيخِ عَلَى حِينِ اسْتَمَرَ الدَّوْرُ  
 السَّرِيُّ وَالْمُمُوءَ .

وَبَنَاءً عَلَى صَلَاحِ الْحُدُيَّةِ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عُمَرَةَ  
 الْقَضَاءِ فِي شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ السَّابِعَةِ لِلْهَجْرَةِ ،  
 وَسَارَتْ أَمَامَهُ كَتِيبَةُ الْفُرْسَانِ الَّتِي يَرَأُسُهَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ  
 وَالَّتِي وَصَلَتْ إِلَى ( مَرَّالْظَهْرَانِ ) ( وَادِي فَاطِمَةَ ) فَسَأَلَتْ  
 قُرَيْشُ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ عَنِ الْخَبَرِ - وَقَدْ هَالَتْهَا الْقُوَّةُ -  
 فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سَيَكُونُ غَدَاةَ ذَلِكَ  
 الْيَوْمِ فِي ( مَرَّالْظَهْرَانِ ) .

وَفُتِحَتْ مَكَّةُ فِي أَلْسَنَةِ الثَّامِنَةِ لِلْهِجْرَةِ، وَأَسْلَمَتْ قُرَيْشٌ،  
وَأَنْتَهَى عِدَاؤُهَا، وَأَنْتَهَتْ جَبْهَةُ الْجَنْوِبِ، وَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ  
ﷺ يَتَجَهُّ ثَانِيَةً نَحْوَ الشِّمَالِ إِذْ بَدَأَ الرُّومُ يَتَحَرَّشُونَ  
بِالْمُسْلِمِينَ، وَيُحَرِّضُونَ الْعَرَبَ الْمُتَنَصِّرَةَ لِلْإِغَارَةِ عَلَى  
الْمَدِينَةِ، وَبَدَأَ فُتِحَتْ جَبْهَةُ الشِّمَالِ ثَانِيَةً، وَتَحَرَّكَ رَسُولُ اللَّهِ  
ﷺ إِلَى (تَبُوكَ) فِي أَلْسَنَةِ التَّاسِعَةِ لِلْهِجْرَةِ لِيُظْهِرَ قُوَّةَ  
الْمُسْلِمِينَ أَمَامَ الرُّومِ وَإِمْكَانِيَّةَ حَرَكَتِهِمْ، وَقَدَّرَتْهُمْ عَلَى  
الْمُجَابَهَةِ، وَقَبْلَ سَيْرِهِ ﷺ أَصْدَرَ أَمْرَهُ بِتَعْيِينِ مُحَمَّدِ بْنِ  
مَسْلَمَةَ أَمِيرًا عَلَى الْمَدِينَةِ مُدَّةَ غِيَابِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ .

وَبَدَأَتْ وَفُودُ الْقَبَائِلِ تَصِلُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ تُعْلِنُ  
الْإِسْلَامَ، وَتَدِينُ بِالطَّاعَةِ، وَمَنْ أَسْتَمَرَ فِي تَعْتَتِهِ وَعَلَى شِرْكِهِ  
وَوَثْنِيَّتِهِ أَرْسَلَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرَايَا تُخْضِعُهُ، وَكَانَ مِنْ هَذِهِ  
السَّرَايَا سَرِيَّةُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّتِي سَارَ بِهَا  
إِلَى (الْقُرْطَاءِ) مِنْ هَوَازَنَ .

وَأَسْتَمَرَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طِيلَةَ حَيَاةِ رَسُولِ  
اللَّهِ ﷺ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ لِيَوَاءِ الْإِسْلَامِ ،  
وَيُدَافِعُونَ عَنْهُ، وَيَتَذَوِّدُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَيَحْرُسُونَهُ،  
وَيُوقِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ ، وَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ خَلِيفَةً

لِرَسُولِ اللَّهِ وَكَانَ مُحَمَّدٌ بْنُ مَسْلَمَةَ مَعَهُ كَمَا كَانَ مَعَ رَسُولِ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَجَاءَ عَهْدُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرَأَى أَنْ  
يَبْقَى كِبَارُ الصَّحَابَةِ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ يَسْتَشِيرُهُمْ فِي  
الْأُمُورِ، وَيزَوِّدُونَهُ بِالْأَرَءَاءِ فَقَدْ كَفَاهُمْ جِهَادُهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ  
ﷺ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ بْنُ مَسْلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِمَّنْ بَقِيَ فِي  
الْمَدِينَةِ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا إِلَّا بِأَمْرِ الْخَلِيفَةِ، وَلَا مَرَّ الْخَلِيفَةِ،  
وَعَالِبًا مَا كَانَ يَقُومُ بِدَوْرِ مُحَاسَبَةِ أَوْلِيَاءِ وَالرِّجَالِ الَّذِينَ  
يَعْمَلُونَ فِي الْأَمْصَارِ.

وَجَاءَتْ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَكْوَى عَلَى  
سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ أَمِيرُ الْعِرَاقِ،  
فَالرَّجُلُ لَا يَخْلُو مِنْ خَصْمٍ، وَالنَّفُوسُ لَيْسَتْ كُلُّهَا عَلَى دَرَجَةٍ  
وَاحِدَةٍ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْحَسَدُ مَوْجُودٌ فِي النَّفْسِ، وَلَكِنْ لَا  
بَدَّ مِنْ تَحْقِيقٍ، فَالْحَقُّ فَوْقَ الرِّجَالِ، وَالْعَدْلُ أَسَاسٌ فِي  
الْحُكْمِ الْإِسْلَامِيِّ، وَلَكِنْ مَنْ يُحَقِّقُ مَعَ سَعْدٍ؟ وَسَعْدٌ مِنَ  
الْعَشَرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ، إِلَّا أَنَّ الرِّجَالَ يُعْرِفُونَ بِالْحَقِّ،  
وَالصَّحَابَةُ فَوْقَ هَذِهِ الْأُمُورِ، فَأَرْسَلَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ إِلَى سَعْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَأَرْسَلَ مَعَهُ

رِسَالَةً، وَقَالَ لَهُ: اَعْمِدْ إِلَى الْقَصْرِ حَتَّى تَحْرِقَ بَابَهُ، ثُمَّ أَرْجِعْ  
عَوْدَكَ عَلَىٰ بَدْئِكَ. فَخَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ حَتَّى قَدِمَ  
الْكُوفَةَ، فَاشْتَرَى حَطَبًا.... ثُمَّ أَتَى بِهِ إِلَى الْقَصْرِ، فَأَحْرَقَ  
الْبَابَ، وَأَتَى سَعْدٌ فَأَخْبَرَ الْخَبَرَ، فَقَالَ: هَذَا رَسُولُ أُرْسِلَ  
لِهَذَا الشَّانِ، وَبَعَثَ لِيَنْظُرَ مَنْ هُوَ؟ فَإِذَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ  
مَسْلَمَةَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولًا أَنْ أَدْخُلْ، فَأَبَى، فَخَرَجَ إِلَيْهِ  
سَعْدٌ، فَأَرَادَهُ عَلَى الدُّخُولِ وَالنُّزُولِ، فَأَبَى، وَعَرَضَ عَلَيْهِ  
نَفَقَةً فَلَمْ يَأْخُذْ..... اللَّهُ أَكْبَرُ مَا أَكْرَمَ هَذِهِ النَّفُوسَ!  
الْأَمِيرُ يَخْرُجُ بِنَفْسِهِ لِمُقَابَلَةِ الرَّسُولِ..... وَالرَّسُولُ  
يَتَمَنَعُ..... وَبَيْنَهُمَا مِنَ الْحُبِّ الْقَوِي الَّذِي لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ  
نَصِفَهُ إِلَّا أَنَّهُ حُبٌّ فِي اللَّهِ.

وَدَفَعَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ كِتَابَ عُمَرَ إِلَى سَعْدٍ، وَفِيهِ: بَلَّغْنِي  
أَنَّكَ بَنَيْتَ قَصْرًا اتَّخَذْتَهُ حِصْنًا، وَيُسَمَّى قَصْرَ سَعْدٍ، وَجَعَلْتَ  
بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ بَابًا، فَلَيْسَ بِقَصْرِكَ، وَلَكِنْ قَصْرُ  
الْخَبَالِ،<sup>(١)</sup> أَنْزَلَ مِنْهُ مَنْزِلًا مِمَّا يَلِي بُيُوتَ الْأَمْوَالِ وَأَغْلَقَهُ،  
وَلَا تَجْعَلْ عَلَى الْقَصْرِ بَابًا تَمْنَعُ النَّاسَ مِنْ دُخُولِهِ وَتَنْفِيهِمْ بِهِ

---

(١) الْخَبَالُ: النَّقْصَانُ - الْهَلَاكُ - صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ.

عَنْ حُقُوقِهِمْ، لِيُؤَافِقُوا مَجْلِسَكَ وَمَخْرَجَكَ مِنْ دَارِكَ إِذَا خَرَجْتَ . . . . . فَيَا شَتَانَ مَا بَيْنَ الْأَمِيرِ الْمُسْلِمِ الَّذِي يَجِبُ إِلَّا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ حِجَابٌ، يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَيَعْرِفُونَ سَاعَةَ دُخُولِهِ وَمَجْلِسَهُ وَخُرُوجَهُ، وَبَيْنَ الْحُكَّامِ الْآخَرِينَ الَّذِينَ يُحَاطُونَ بِسُورِ مِنَ الْجُنْدِ، وَلَا يَعْرِفُ أَحَدٌ دُخُولَهُمْ وَطَرِيقَهُمْ . . . . . وَحَلَفَ سَعْدٌ لِمُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ أَنَّهُ مَا قَالَ الَّذِي قَالُوا . وَرَجَعَ ابْنُ مَسْلَمَةَ مِنْ قَوْمِهِ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ الْمَدِينَةِ فَنِي زَادُهُ، فَتَبَلَّغَ بِلِحَاءٍ مِنْ لِحَاءِ الشَّجَرِ، وَأَقَاتَ نَفْسَهُ، فَقَدِمَ عَلَى عُمَرَ وَقَدْ تَعَبَ وَهَزَلَ، فَأَخْبَرَهُ خَبْرَهُ كُلَّهُ، فَقَالَ: فَهَلَّا قَبِلْتَ مِنْ سَعْدٍ! فَقَالَ: لَوْ أَرَدْتَ ذَلِكَ كَتَبْتَ لِي بِهِ، أَوْ أَذْنْتَ لِي فِيهِ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ أَكْمَلَ الرِّجَالِ رَأْيًا مَنْ إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ عَهْدٌ مِنْ صَاحِبِهِ عَمِلَ بِالْحَزْمِ، أَوْ قَالَ بِهِ، وَلَمْ يَتَّكِلْ، فَأَخْبَرَهُ بِيَمِينِ سَعْدٍ وَقَوْلِهِ، فَصَدَّقَ سَعْدًا، وَقَالَ: هُوَ أَصْدَقُ مِمَّا رُوِيَ عَلَيْهِ وَمَنْ أَبْلَغَنِي .

وَبَيْنَمَا كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسْتَعِدُّونَ لِلْمَسِيرِ إِلَى نَهَاوْنَدَ لِمُنَازَلَةِ الْفُرْسِ هُنَاكَ حَيْثُ تَجَمَّعُوا بِهَا، إِذْ جَاءَتْ شَكْوَى عَلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْجَرَّاحِ بْنِ سِنَانَ الْأَسَدِيِّ، فَأَرْسَلَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ،

فَقَدِمَ ابْنُ مَسْلَمَةَ عَلَى سَعْدٍ لِيَطُوفَ بِهِ فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ،  
وَالْبُعُوثُ تُضْرَبُ عَلَى أَهْلِ الْأَمْصَارِ إِلَى نَهَاوَنْدَ، فَطُوفَ بِهِ  
عَلَى مَسَاجِدِ أَهْلِ الْكُوفَةِ، لَا يَتَعَرَّضُ لِلْمَسْأَلَةِ عَنْهُ فِي السَّرِّ،  
وَلَيْسَتْ الْمَسْأَلَةُ فِي السَّرِّ مِنْ شَأْنِهِمْ إِذْ ذَاكَ؛ وَكَانَ لَا يَقِفُ  
عَلَى مَسْجِدٍ فَيَسْأَلُهُمْ عَنْ سَعْدٍ إِلَّا قَالُوا: لَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَلَا  
نَشْتَهِي بِهِ بَدِيلًا، وَلَا نَقُولُ فِيهِ، وَلَا نُعِينُ عَلَيْهِ، إِلَّا مَنْ مَالًا  
الْجَرَّاحُ بْنُ سِنَانٍ وَأَصْحَابُهُ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَسْكُتُونَ وَلَا يَقُولُونَ  
سُوءًا، وَلَا يَسُوعُغُ لَهُمْ، وَيَتَعَمَّدُونَ تَرَكَ الشَّيْءَ، حَتَّى أَنْتَهَوْا إِلَى  
بَنِي عَبْسٍ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: أَنْشُدْ بِاللَّهِ رَجُلًا يَعْلَمُ حَقًّا  
إِلَّا قَالَ! قَالَ أَسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ: اللَّهُمَّ إِنْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّهُ لَا يَقْسِمُ  
بِالسَّوِيَّةِ، وَلَا يَعْدِلُ فِي الرِّعْيَةِ، وَلَا يَغْزُو فِي السَّرِيَّةِ. فَقَالَ  
سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ قَالَهَا كَاذِبًا  
وَرِثَاءَ وَسُوءَ فَأَعْمِ بَصَرَهُ، وَأَكْثِرْ عِيَالَهُ، وَعَرِّضْهُ لِمَضَلَّاتِ  
الْفِتَنِ. فَعَمِيَ، وَاجْتَمَعَ عِنْدَهُ عَشْرُ بَنَاتٍ، وَكَانَ يَسْمَعُ بِخَبَرِ  
الْمَرْأَةِ فَيَأْتِيهَا حَتَّى يَجْسَهَا، فَإِذَا عُثِرَ عَلَيْهِ، قَالَ: دَعْوَةُ سَعْدِ  
الرَّجُلِ الْمُبَارَكِ..... وَكَذَا نَفَذَتْ دَعْوَتُهُ عَلَى كُلِّ مَنْ تَكَلَّمَ  
عَنْهُ.

وَتُوفِيَ الْخَلِيفَةُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبُويعَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ



رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَلِيفَةً فَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ بِجَانِبِهِ كَمَا كَانَ  
 بِجَانِبِ الْخُلَفَاءِ الَّذِينَ سَبَقُوهُ، وَفِي أَوَاخِرِ خِلَافَةِ سَيِّدِنَا  
 عُثْمَانَ حَدَّثَتِ الْفِتْنَةُ الْعَمِيَاءُ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ أَنْ يُرْسِلَ  
 إِلَى الْأَمْصَارِ رِجَالًا يَثِقُ بِهِمْ يَأْتُوهُ بِالْخَبَرِ فَدَعَا مُحَمَّدُ بْنُ  
 مَسْلَمَةَ مَعَ مَنْ دَعَا، وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْكُوفَةِ، وَكَانَ أَنْ أُرْسَلَ  
 أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ إِلَى الْبَصْرَةِ، وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ إِلَى مِصْرَ، وَعَبْدُ  
 اللَّهِ بْنُ عُمَرَ إِلَى الشَّامِ وَرِجَالًا آخَرِينَ سِوَاهُمْ، وَرَجَعُوا  
 جَمِيعًا وَلَمْ يُنْكِرْ أَحَدٌ مِنْهُمْ شَيْئًا، وَلَا أَنْكَرَهُ أَعْلَامُ الْمُسْلِمِينَ  
 وَعَوَامُّهُمْ.

وَوَقَفَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مَعَ سَيِّدِنَا عُثْمَانَ أَثْنَاءَ الْمِحَّةِ  
 الَّتِي ابْتُلِيَ بِهَا، وَالْفِتْنَةِ الَّتِي عَمَّتِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ ذَلِكَ، وَنَافَحَ  
 عَنِ الْحَقِّ بِكُلِّ إِمْكَانَاتِهِ وَدَافَعَ عَنِ الْخَلِيفَةِ بِكُلِّ طَاقَاتِهِ،  
 حَتَّى كَانَ أَمْرُ اللَّهِ وَقَتْلَ سَيِّدِنَا عُثْمَانَ مَظْلُومًا، وَمَضَى شَهِيدًا.

وَبَاعَ النَّاسُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِإِمَارَةِ  
 الْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ عَلَى كُرْهِهِ مِنْ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَسْتَبِ  
 الْوَضْعُ فِي الْمَدِينَةِ، وَيَهْدَأُ الْأَمْرَ الَّذِي آلَتْ إِلَيْهِ الْخِلَافَةُ،  
 وَلَكِنْ سَبَعَهُ مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ لَمْ يُبَايِعُوا وَهُمْ: سَعْدُ بْنُ أَبِي  
 وَقَّاصٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ

عُمَرَ، وَصُهَيْبٍ، وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، وَسَلَمَةَ بْنَ وَقْشٍ، وَلَمْ  
يَتَخَلَّفْ فِيْمَا عَدَا ذَلِكَ، وَكَانَ لَهُمْ أَجْتِهَادُهُمْ، وَلَهُمْ رَأْيُهُمْ،  
وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَطْعَنُوا فِي إِمَامَةِ عَلِيٍّ، وَلَمْ يَتَكَلَّمُوا عَنْهُ بِسُوءٍ -  
مَعَاذَ اللَّهِ - وَهُمْ أَدْرَى النَّاسِ بِسَيِّدِنَا عَلِيٍّ وَدَوْرِهِ فِي الْإِسْلَامِ .

وَبَقِيَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلَمَةَ حَتَّى انْتَهَتْ خِلَافَةُ عَلِيٍّ وَبُوعِ  
الْحَسَنِ، وَتَنَازَلَ لِمُعَاوِيَةَ، وَاجْتَمَعَتْ كَلِمَةُ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنْ  
كَانَتْ قَدْ انْتَهَتْ الْخِلَافَةُ الرَّاشِدَةُ، وَتُوْفِيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَامَ  
٤٣ هـ فِي الْمَدِينَةِ .

بُـنَاةُ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ

- ١٠ -

أُسَيدُ بْنُ الْمُحَضَّرِ

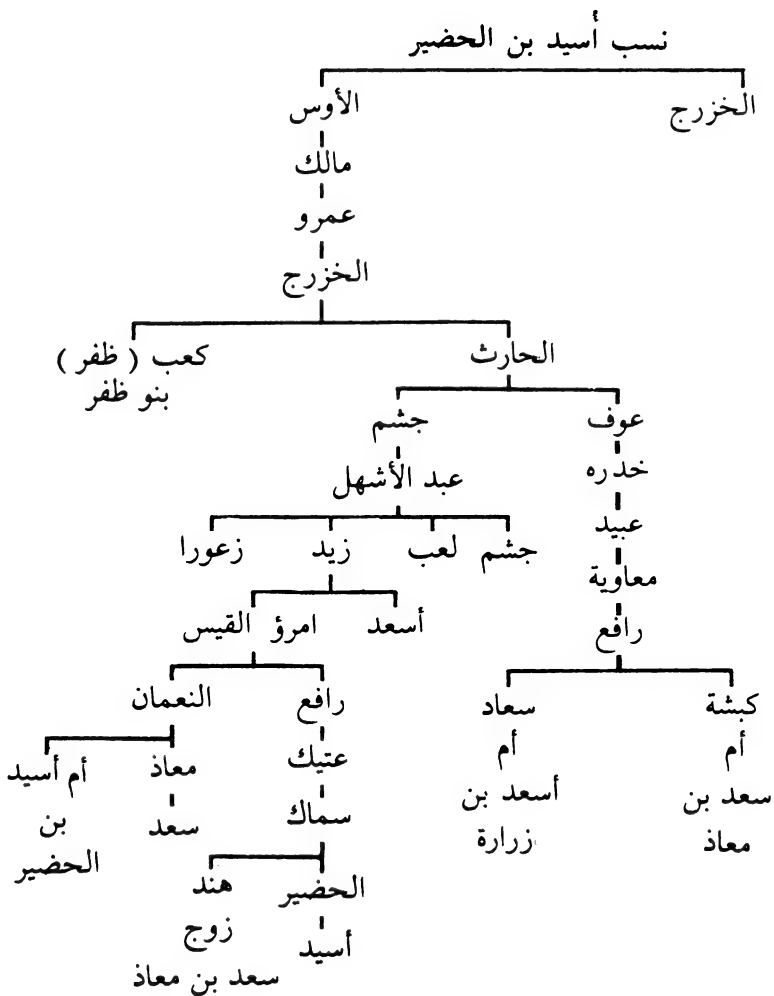


قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

«نِعَمَ الرَّجُلُ أُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ»

— كَانَ أُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ وَعَبَّادُ بْنُ بَشْرٍ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ،  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي لَيْلَةٍ ظَلَمَاءَ حُنْدِسٍ، فَتَحَدَّثَا عَنْهُ حَتَّى إِذَا خَرَجَا،  
أَضَاءَتْ لَهُمَا عَصَا أَحَدِهِمَا، فَمَشَى فِي ضَوْئِهَا، فَلَمَّا تَفَرَّقَ  
لَهُمَا الطَّرِيقُ؛ أَضَاءَتْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَصَاهُ، فَمَشَى فِي  
ضَوْئِهَا.

— قَالَتْ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ثَلَاثَةٌ مِنْ  
الْأَنْصَارِ، لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَسْمُو عَلَيْهِمْ فَضْلًا، سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ  
وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَعَبَّادُ بْنُ بَشْرٍ».



## نَسَبُ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ

كَانَتْ قَبِيلَتَا «الْأَوْس» وَ«الْخَزْجِ» تَسْكُنَانِ الْمَدِينَةَ،  
وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا إِحْنٌ وَعَدَاوَاتٌ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ قَرَابَتِهِمَا، إِذْ  
هُمَا أُخْتَانِ، إِلَّا أَنَّ يَهُودَ يُثِيرُونَ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ ضَعَائِنَ، وَلِكُلِّ  
مِنْ هَاتَيْنِ الْقَبِيلَتَيْنِ زَعِيمٌ، فَكَانَ سَيِّدَ «الْأَوْسِ» عِنْدَ ظُهُورِ  
دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ فِي الْمَدِينَةِ «سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ  
غَدَا سَيِّدَ الْأَنْصَارِ كَافَّةً، وَكَانَ سَيِّدَ «الْخَزْجِ» «سَعْدُ بْنُ  
عَبَادَةَ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَتْ الْخَزْجُ أَكْثَرُ عَدَدًا وَأَكْبَرُ  
نَفِيرًا.

وَلِكُلِّ قَبِيلَةٍ عِدَّةٌ بَطُونٍ، وَلَعَلَّ مِنْ أَشْهَرِ بَطُونِ الْأَوْسِ  
وَأَكْثَرِهَا تَمَاسُكًا «بَنُو عَبْدِ الْأَشْهَلِ»، وَمِنْهُمْ سَيِّدُ الْأَنْصَارِ  
«سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ»، كَمَا كَانَ مِنْهُمْ «أُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ» رَضِيَ  
اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ أَحَدُ سَادَةِ الْأَوْسِ أَيْضًا، وَزَعِيمٌ مِنْ زُعَمَائِهِمْ  
الْمَعْرُوفِينَ.

وَكَانَ بَيْنَ «سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ» وَ«أُسَيْدِ بْنِ الْحُضَيْرِ»

سَيِّدِي الْأَوْسَ صِلَاتٌ قَوِيَّةٌ وَعَلَاقَةٌ مَتِينَةٌ إِضَافَةٌ إِلَى مَا  
 بَيْنَهُمَا مِنْ قَرَابَةٍ، فَأُمُّ أُسَيْدٍ هِيَ عَمَّةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، وَهِيَ:  
 (أُمُّ أُسَيْدِ بِنْتُ النَّعْمَانِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ)، وَزَوْجُ سَعْدِ بْنِ  
 مُعَاذٍ هِيَ عَمَّةُ أُسَيْدِ بْنِ الْحَضِرِ، وَهِيَ: (هِنْدُ بِنْتُ سِمَاكِ)،  
 كَمَا أَنَّهُمَا أَبْنَاءُ عَمٍّ، وَإِلَيْهِمَا تَعُودُ زَعَامَةُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ بَلْ  
 سَيَادَةُ الْأَوْسِ كُلِّهِمْ.

كَانَتْ الْحُرُوبُ لَا تَنْفَكُ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْقَبِيلَتَيْنِ، وَكَانَ  
 آخِرَهَا يَوْمُ «بُعَاثٍ» الَّذِي كَانَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِسِتَةِ أَغْوَامٍ،  
 وَقَادَ الْأَوْسَ فِيهَا (الْحَضِرُ بْنُ سِمَاكِ) وَالِدُ أُسَيْدٍ، وَقُتِلَ  
 يَوْمَها، مَعَ أَنَّ الْأَوْسَ قَدْ انْتَصَرُوا فِيهَا عَلَى الْخَزْرَجِ حَتَّى  
 كَادُوا يَقْضُونَ عَلَيْهِمْ وَيَهْدُمُونَ دُورَهُمْ لَوْلَا أَبُو قَيْسِ بْنِ  
 الْأَسْلَتِ أَحَدِ قَادَةِ الْأَوْسِ إِذْ مَنَعَ قَوْمَهُ مِنْ هَذَا الْعَمَلِ.

وَرِثَ أُسَيْدٌ عَنْ أَبِيهِ الشَّرَفَ وَالسِّيَادَةَ فِي قَوْمِهِ، كَمَا  
 وَرِثَ عَنْهُ مَعْرِفَةَ الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ، وَحُسْنَ الرَّمْيِ وَإِجَادَةَ  
 الْعُومِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْمَدِينَةَ مِنْطَقَةٌ دَاخِلِيَّةٌ، وَلَيْسَ فِيهَا  
 مِيَاهٌ جَارِيَةٌ، وَمَنْ كَانَ فِي مِثْلِهَا قَلَّ أَنْ يُحْسِنَ السِّبَاحَةَ، وَمَنْ  
 كَانَ يُجِيدُ هَذِهِ الْأُمُورَ يُسَمَّى (الْكَامِلَ) لِقِلَّةِ ذَلِكَ وَنَدْرَتِهِ،  
 لِذَا فَقَدْ كَانَ أُسَيْدٌ يُعْرَفُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، كَمَا كَانَ أَبُوهُ يُسَمَّى



بذلك. وَيُكْنَى 'أَسِيدٌ' (أَبَا يَحْيَى)، وَتُوقَى أَبْنُهُ (يَحْيَى) وَلَمْ  
يُنْجَبْ، وَكَانَتْ أُمُّهُ مِنْ (كِندَةَ)، كَمَا يُكْنَى 'أَسِيدٌ' (أَبَا  
الْحُضَيْنِ).

## إِسْلَامُ أُسَيْدِ بْنِ الْحُصَيْنِ

بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَكَّةَ، وَكَانَتِ الْوَيْثَنَةُ تَعُمُّ  
الْجَزِيرَةَ وَمِنْ ضَمَنِهَا مَكَّةُ وَالْمَدِينَةُ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
لِلْإِسْلَامِ سِرًّا، ثُمَّ جَهَرَ بِالدَّعْوَةِ بَعْدَ أَغْوَامٍ ثَلَاثَةٍ مِنَ الْعَمَلِ  
السَّرِيِّ، وَبَدَأَ يَبْثُ دَعْوَتَهُ إِلَى كُلِّ مَنْ يَلْتَقِي بِهِ سِوَاءَ أَكَانَ  
مِنْ دَاخِلِ بَلَدَتِهِ أَمْ مِنْ خَارِجِهَا، وَقَبْلَ هِجْرَتِهِ ﷺ بِأَرْبَعِ  
سَنَوَاتٍ وَفِي الْعَامِ الَّذِي تَلَا يَوْمَ بُعَاثَ أَلْتَقَى ﷺ أَثْنَاءَ  
الْمَوْسِمِ بِجَمَاعَةٍ مِنَ الْخَزَرَجِ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَكَانَ  
فِي أَنْفُسِهِمْ شَيْءٌ مِمَّا يَسْمَعُونَهُ، وَهُمْ فِي الْمَدِينَةِ، مِنْ يَهُودِهَا  
عَنْ بَعْثَةِ نَبِيِّ قَرَبَ وَقْتُ ظُهُورِهِ، يَسْتَظْهِرُ بِهِ الْيَهُودُ عَلَيْهِمْ،  
فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ لِلنَّبِيِّ الَّذِي تَوَعَّدَكُمْ بِهِ يَهُودُ، فَلَا  
يَسْبِقُنْكُمْ إِلَيْهِ، فَأَجَابُوهُ إِلَى مَا دَعَاهُمْ بِأَنْ صَدَّقُوهُ، وَقَبِلُوا مِنْهُ  
مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِسْلَامِ. وَقَالُوا لِلرَّسُولِ ﷺ: «إِنَّا قَدْ  
تَرَكْنَا قَوْمَنَا وَلَا قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّمَا بَيْنَهُمْ، وَعَسَى  
أَنْ يَجْمَعَنَا اللَّهُ بِكَ، فَسَنُقَدِّمُ عَلَيْهِمْ فَنَدْعُوهُمْ لِأَمْرِكَ،  
وَنَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَجَبْنَاكَ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ، فَإِنْ

يَجْمَعُهُمُ اللَّهُ عَلَيْكَ فَلَا رَجُلَ أَعَزَّ مِنْكَ». ثُمَّ أَنْصَرَفُوا إِلَى  
بِلَادِهِمْ، وَكَانُوا سِتَّةَ نَفَرٍ مِنَ الْخَزَرَجِ، وَفِيهِمْ أَبُو أَمَامَةَ أَسْعَدُ  
ابْنُ زُرَّارَةَ<sup>(١)</sup> رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ اتَّجَهُوا إِلَى  
قَوْمِهِمْ فَذَكَرُوا لَهُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَدَعَوْهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ  
حَتَّى فُشَا فِيهِمْ، فَلَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنَ الدُّورِ إِلَّا وَفِيهَا ذَكَرُ رَسُولِ  
اللَّهِ ﷺ.

فَلَمَّا كَانَ الْمَوْسِمُ الثَّانِي وَافَاهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ اثْنَا عَشَرَ  
رَجُلًا، وَالتَّقُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْعَقَبَةِ، وَبَايَعُوهُ بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ  
الْأُولَى، وَعِنْدَمَا رَجَعُوا إِلَى مَدِينَتِهِمْ أَرْسَلَ مَعَهُمْ (مُصْعَبُ بْنُ  
عُمَيْرٍ)<sup>(٢)</sup> رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) أسعد بن زرارة، أبو أمامة: ابن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن  
النجار، وأمه سعاد بنت رافع بن معاوية أخت كبشة أم سعد بن معاذ،  
ويقال: إنه أول من أسلم من النفر الستة الذين كانوا معه، وشهد ببيعة العقبة  
الأولى، والثانية، وكان أحد النقباء الاثني عشر، وهو نقيب بني النجار،  
وهو أول من صلى الجمعة بالناس في المدينة، وتوفي قبل غزوة بدر.

(٢) مصعب بن عمير، أبو عبد الله: ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن  
قصي، ويُعرف باسم مصعب الخير، من جلة الصحابة وفضلائهم، هاجر إلى  
الحبشة، ثم بعثه رسول الله ﷺ إلى المدينة ليعلم الأنصار الإسلام، وكان  
يحمل لواء المهاجرين يوم بدر، كما كان معه لواء المسلمين يوم أحد،  
واستشهد يومذاك، قتله ابن قميثة، تزوج حنة بنت جحش، ابنة عمة  
رسول الله ﷺ أميمة، وهي أخت أم المؤمنين زينب بنت جحش. وكان =

نَزَلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْمَدِينَةِ فِي مَنْزِلِ  
 أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَكَانَ يُقْرَأُ النَّاسَ الْقُرْآنَ،  
 وَيُعَلِّمُهُمُ الْإِسْلَامَ، وَيُفَقِّهُهُمْ فِي الدِّينِ، وَيُعْرِفُ بِأَسْمِ  
 «الْمُقْرَى»، وَكَانَ يَزُورُ مَعَ مُضِيْفِهِ أَسْعَدَ بْنَ زُرَّارَةَ بَعْضَ  
 أَحْيَاءِ الْمَدِينَةِ، وَخَرَجَا ذَاتَ يَوْمٍ يُرِيدَانِ دَارَ بَنِي عَبْدِ  
 الْأَشْهَلِ وَدَارَ بَنِي ظَفَرٍ، وَكِلَاهُمَا بَطْنٌ مِنَ الْأَوْسِ، فَدَخَلَا  
 حَائِطًا مِنْ حَوَائِطِ بَنِي ظَفَرٍ فَجَلَسَا، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِمَا رِجَالٌ  
 مِنْ أَسْلَمَ، وَسَمِعَ بِالْخَبَرِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَأَسِيدُ بْنُ الْحَضِيرِ،  
 وَهُمَا يَوْمَئِذٍ سَيِّدَا الْأَوْسِ، وَعَلَى دِينِ قَوْمِهِمَا مِنَ الْوَتَنَِّةِ.

قَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ لِأَسِيدِ بْنِ الْحَضِيرِ: لَا أَبَا لَكَ، أَنْطَلِقْ  
 إِلَى هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ قَدْ أَتَيَا دَارِنَا، لِيَسْفَهَا ضُعَفَاءَنَا،  
 فَازْجُرْهُمَا وَأَنْهَهُمَا عَلَى أَنْ يَأْتِيَا دَارِنَا، فَإِنَّهُ لَوْ لَا أَسْعَدُ بْنُ  
 زُرَّارَةَ مِنِّي حَيْثُ عَلِمْتَ، كَفَيْتُكَ ذَلِكَ، هُوَ ابْنُ خَالَتِي، وَلَا  
 أَجْدُ عَلَيْهِ مَقْدَمًا.

أَخَذَ أَسِيدُ بْنُ حَضِيرٍ حَرِيَّتَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْهِمَا. فَلَمَّا رَأَاهُ  
 أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ قَالَ لِمُصْعَبٍ: إِنْ جَلَسَ فَكَلِّمَهُ، فَوَقَفَ

---

له منها ابنة تدعى (زينب) تزوجها عبدالله بن عبدالله ابن أبي أمية  
 المخزومي.

عَلَيْهِمَا مُتَشَتَّمًا، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمَا إِلَيْنَا تُسَفِّهَانِ ضُعَفَاءَنَا؟  
اعْتَزَلَانَا إِنْ كَانَتْ لَكُمَا بَأْنَفْسِكُمَا حَاجَةٌ.

قَالَ لَهُ مُصْعَبٌ: أَوْ تَجْلِسُ فَتَسْمَعَ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا قَبْلَتَهُ،  
وَإِنْ كَرِهْتَهُ كُفَّ عَنْكَ مَا تَكْرَهُ؟، سَمِعَ أَسِيدُ هَذَا الْكَلَامَ  
فَرَأَهُ جَمِيلًا مَقْبُولًا، لَا يُمَكِّنُ إِلَّا أَنْ يُقِرَّهُ الْعَاقِلُ، وَيَرْضَى بِهِ  
الْحَلِيمُ.

قَالَ: أَنْصَفْتَ. ثُمَّ رَكَزَ حَرْبَتَهُ، وَجَلَسَ إِلَيْهِمَا فَكَلَّمَهُ  
مُصْعَبٌ بِالْإِسْلَامِ وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَقَالَا فِي نَفْسَيْهِمَا: وَاللَّهِ  
لَقَدْ عَرَفْنَا فِي وَجْهِهِ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ، فِي إِشْرَاقِهِ  
وَتَسَهُّلِهِ.

قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ وَأَجْمَلَهُ! كَيْفَ تَصْنَعُونَ كَيْ  
تَدْخُلُوا فِي هَذَا الدِّينِ؟

قَالَا لَهُ: تَغْتَسِلُ فَتَتَطَهَّرُ، وَتَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، فَفَعَلَ، ثُمَّ  
قَامَ فَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ.

قَالَ: إِنْ وَرَائِي رَجُلًا إِنْ أَتَبَعَكُمَا لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ  
قَوْمِهِ، وَسَارِسِلُهُ إِلَيْكُمَا الْآنَ، وَهُوَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ.

ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ، وَأَنْصَرَفَ إِلَى سَعْدٍ وَقَوْمِهِ، وَهُمْ جُلُوسٌ

فِي نَادِيهِمْ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ سَعْدٌ مُقْبِلًا قَالَ: أَحْلِفْ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى النَّادِي .

قَالَ سَعْدٌ: مَا فَعَلْتَ؟

قَالَ: كَلَّمْتُ الرَّجُلَيْنِ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ بِهِمَا بَأْسًا، وَقَدْ نَهَيْتُهُمَا، فَقَالَا: نَفْعَلُ مَا أَحْبَبْتَ، وَقَدْ حَدَّثْتَ أَنَّ بَنِي حَارِثَةَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ لِيَقْتُلُوهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ ابْنُ خَالَتِكَ، لِيَخْفِرُوكَ. وَقَامَ سَعْدٌ مُغْضَبًا مُبَادِرًا تَخَوُّفًا لِلَّذِي ذَكَرَ لَهُ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ، فَأَخَذَ الْحَرْبَةَ مِنْ يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرَاكَ أَغْنَيْتَ شَيْئًا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمَا، فَلَمَّا رَأَاهُمَا سَعْدٌ مُطْمَئِنِّينَ عَرَفَ أَنَّ أَسِيدًا إِنَّمَا أَرَادَ مِنْهُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُمَا، فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّمًا، ثُمَّ قَالَ لِأَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ: يَا أَبَا أَمَامَةَ! أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ الْقَرَابَةِ مَا رُمْتُ مِنِّي هَذَا، أَتَغْشَانَا فِي دَارِنَا بِمَا نَكْرَهُ. وَقَدْ قَالَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ: أَيُّ مُصْعَبٍ! جَاءَكَ وَاللَّهِ سَيِّدٌ مِنْ وَرَاءِهِ مِنْ قَوْمِهِ، وَإِنْ يَتَّبَعَكَ لَا يَتَخَلَّفُ عَنْكَ مِنْهُمْ أَثْنَانُ .

قَالَ مُصْعَبٌ: أَوْ تَقْعُدُ فَتَسْمَعُ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا وَرَغِبْتَ

فِيهِ قِبْلَتُهُ ، وَإِنْ كَرِهْتَ عَزَلْنَا عَنْكَ مَا تَكْرَهُ ؟

قَالَ سَعْدٌ : أَنْصَفْتَ ، ثُمَّ رَكَزَ حَرْبَتُهُ وَجَلَسَ . فَعَرَضَ عَلَيْهِ  
الْإِسْلَامَ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ ، قَالَا : فَعَرَفْنَا وَاللَّهِ فِي وَجْهِهِ  
الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ لِإِشْرَاقِهِ وَتَسْهَلِهِ . وَبَعْدَ حَدِيثِ  
مُصْعَبٍ ، قَالَ سَعْدٌ : كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِنْ أَنْتُمْ أَسْلَمْتُمْ وَدَخَلْتُمْ فِي  
هَذَا الدِّينِ ؟ . قَالَا : تَغْتَسِلُ فَتَتَطَهَّرُ وَتُطَهِّرُ ثَوْبَكَ ، ثُمَّ تَشْهَدُ  
شَهَادَةَ الْحَقِّ . فَفَعَلَ ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ ،  
فَأَقْبَلَ عَامِدًا إِلَى نَادِي قَوْمِهِ وَقَدْ أَخَذَ مَعَهُ أَسِيدَ بْنِ حُضَيْرٍ .  
فَلَمَّا رَأَاهُ قَوْمُهُ مُقْبِلًا قَالُوا : نَحْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَجَعَ إِلَيْكُمْ سَعْدٌ  
بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ :  
يَا بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، كَيْفَ تَعْلَمُونَ أَمْرِي مِنْكُمْ ؟ قَالُوا :  
سَيِّدُنَا ، وَأَوْصَلْنَا وَأَفْضَلْنَا رَأْيًا ، وَأَيَّمُنَا نَقِيبَةً ، قَالَ : فَإِنَّ  
كَلَامَكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ ، حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ . فَمَا أَمْسَى فِي  
دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلَا أَمْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِمٌ وَمُسْلِمَةٌ .

أَنْتَقَلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ إِلَى بَيْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ الَّذِي  
أَصْبَحَ الْمَرْكَزَ الْإِسْلَامِيَّ فِي الْمَدِينَةِ ، وَبَدَأَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ  
وَأَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ ، وَهُمَا سَيِّدَا الْأَوْسِ يَوْمَئِذٍ ، يُكْسِرَانِ  
أَصْنَامَ قَبِيلَتِهِمَا .

## بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ

دَخَلَ أُسَيْدُ بْنُ الْحَضِرِ فِي الْأِسْلَامِ بِكُلِّ جَوَارِحِهِ، وَقَدَّمَ لَهُ كُلَّ إِمْكَانَاتِهِ وَطَاقَاتِهِ، وَبَدَّلَ فِي سَبِيلِهِ رُوحَهُ وَمَا يَمْلِكُ، وَهَذِهِ صِفَةُ الْمُسْلِمِ الْكَامِلِ .

وَجَاءَ الْمَوْسِمُ، وَتَدَاعَى أَهْلُ الْمَدِينَةِ لِلخُرُوجِ إِلَى مَكَّةَ حُجَّاجًا، وَسَارَ الرِّكْبُ، وَفِيهِمْ سَبْعُونَ مُسْلِمًا لَا يَعْلَمُهُمْ قَوْمُهُمْ، كَمَا رَافَقَ مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ هَذَا الرِّكْبَ مَعَ أُسَيْدِ بْنِ زُرَّارَةَ. وَالتَّقَى الْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْسَطَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فِي الْعَقَبَةِ حَسَبَ مَوْعِدِ مَضْرُوبٍ مِنَ الْمَوْسِمِ الْمَاضِي. وَبَعْدَ الْإِلْقَاءِ وَالْحَدِيثِ الَّذِي دَارَ بَيْنَ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الَّذِي كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ جَاءَ يَسْتَوْثِقُ لِابْنِ أَخِيهِ، وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ بَعْدُ، وَيَحْضُرُ مَا يَتِمُّ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ الْأَنْصَارِ ثُمَّ تَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْأَنْصَارِ: أَخْرِجُوا لِي مِنْكُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا لِيَكُونُوا عَلَى قَوْمِهِمْ بِمَا فِيهِمْ. فَأَخْرِجُوا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا، تِسْعَةً مِنَ الْخَزَرَجِ وَثَلَاثَةً مِنَ الْأَوْسِ . وَكَانَ أُسَيْدُ بْنُ



الْحُضَيْرِ أَحَدَ الثَّلَاثَةِ مِنَ الْأَوْسِ مَعَ أَبِي الْهَيْثَمِ بْنِ  
الْتِيهَانِ <sup>(١)</sup> وَسَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ <sup>(٢)</sup>.

وَبَايَعَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْأَنْصَارِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ،  
وَلَمْ يَعْلَمْ بِذَلِكَ رَكْبُ الْمَدِينَةِ مِمَّنْ لَمْ يُسَلِّمْ، كَمَا لَمْ تَعْلَمْ  
بِذَلِكَ قُرَيْشٌ وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَيْهَا الْخَبْرُ سَأَلَتِ الرَّكْبَ فَنَفَى  
ذَلِكَ، وَعَادَ الرَّكْبُ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَتَأَكَّدَتْ قُرَيْشٌ مِمَّا وَصَلَ  
إِلَيْهَا فَتَبِعَتِ الْقَوْمَ وَأَسْرَتْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ <sup>(٣)</sup> رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) أبو الهيثم بن التيهان: واسمه مالك، وهو من قبيلة «بلي» وحليف لبني عبد  
الأشهل، كان يكره الأصنام في الجاهلية، ويتأقّف منها، ويعدّ من أوائل  
من أسلم من الأنصار، شهد العقبتين، وبدراً وأحداً والمشاهد كلها مع  
رسول الله ﷺ، وتوفي في خلافة عمر رضي الله عنه عام ٢٠ هـ، وأنجب  
فتاة اسمها أميمة.

(٢) سعد بن خيثمة: ويكنى أبا عبدالله، شهد العقبة، واستشهد يوم بدر رضي  
الله عنه، وقد رفض يومها أن يؤثر أباه بالخروج عندما طلب منه ذلك،  
وقال: لو كان غير الجنة آثرتك به، إني أرجو الشهادة في وجهي هذا،  
فاستهما فخرج سهم سعد فخرج مع رسول الله، وقد قتله عمرو بن عبد  
ود. وشهد ابنه عبد الله الحديبية مع رسول الله ﷺ.

(١) سعد بن عباد: سيد الخزرج وأحد الأجواد المشهورين، شهد العقبة الثانية  
وكان أحد النقباء، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ سوى بدر فلم  
يخرج لها، وشرح خلافة المسلمين بعد رسول الله ﷺ من قبل الأنصار، ثم  
بويع أبو بكر رضي الله عنه، وخرج سعد للجهاد، وتوفي في أرض الشام  
أيام أبي بكر، واشتهر من ولده قيس بن سعد وكان سيداً كريماً كأبيه،  
فاربعاً في الطول، قائداً في الحروب.

## يَوْمُ بَدْرٍ

هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ إِلَى أَنْصَارِهِ، وَهَنَاكَ أَخِي بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَآخَى بَيْنَ أُسَيْدِ بْنِ الْحَضِيرِ وَبَيْنَ حَبِّهِ وَمَوْلَاهُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، وَعَاشَ الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةً، وَأَسْتَدَارَ الْعَامُ وَمَضَى شَطْرُ مِنَ الْعَامِ الثَّانِي، وَوَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِعَوْدَةِ عِيرِ أَبِي سُفْيَانَ مِنَ الشَّامِ فَدَنَبَ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِمْ، وَقَالَ: هَذِهِ عِيرُ قُرَيْشٍ، فِيهَا أَمْوَالُهُمْ، فَأَخْرَجُوا إِلَيْهَا لَعَلَّ اللَّهَ يَنْفُلُكُمُوهَا. فَانْتَدَبَ النَّاسَ، فَخَرَجَ بَعْضُهُمْ وَتَأَخَّرَ بَعْضُهُمُ الْآخَرُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمْ يَظُنُّوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَلْقَى حَرْبًا، وَالْعِيرَ لَا تَضُمُّ سِوَى ثَلَاثِينَ رَجُلًا أَوْ أَرْبَعِينَ وَلَا يَحْتَاجُ هَذَا إِلَى نَفِيرِ الْمَدِينَةِ كُلِّهَا. وَكَانَ أُسَيْدُ بْنُ الْحَضِيرِ مِمَّنْ تَأَخَّرَ.

وَكَانَتْ مَعْرَكَةُ بَدْرٍ، وَوَقَفَ قَبْلَهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ سَيِّدُ الْأَوْسِ، وَقَالَ مُخَاطِبًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلَا نَبْنِي لَكَ عَرِيشًا تَكُونُ فِيهِ وَتَقْعُدُ عِنْدَكَ رِكَائِبُكَ ثُمَّ نَلْقَى عَدُوَّنَا، فَإِنْ أَعَزَّنَا اللَّهُ وَأَظْهَرَنَا عَلَى عَدُوِّنَا كَانَ ذَلِكَ مَا

أَحْبَبِنَا، وَإِنْ كَانَتْ الْآخَرَى، جَلَسْتَ عَلَى رَكَائِكَ فَلَحِقْتَ  
بِمَنْ وَرَاءَنَا، فَقَدْ تَخَلَّفَ عَنْكَ أَقْوَامٌ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا نَحْنُ  
بِأَشَدَّ حُبًّا لَكَ مِنْهُمْ، وَلَوْ ظَنُّوا أَنَّكَ تَلْقَى حَرْبًا مَا تَخَلَّفُوا  
عَنْكَ، يَمْنَعُكَ اللَّهُ بِهِمْ، يُنَاصِحُونَكَ وَيُجَاهِدُونَ مَعَكَ. كَانَ  
سَعْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَعْرِفُ إِيْمَانَ أُسَيْدٍ، وَيَعْرِفُ مَحَبَّتَهُ  
الشَّيْذَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَعْلَمُ حَقِيقَةَ تَأَخُّرِهِ وَأَنَّهُ مَا كَانَ  
جُبْنًا أَوْ خَوْفًا أَوْ رَغْبَةً فِي حَيَاةٍ وَإِنَّمَا كُلُّ عِلْمِهِ أَنَّ الْهَدَفَ  
كَانَ الْغَيْرَ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ حَرْبٍ أَوْ كَيْدٍ.

وَأَنْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ فِي بَدْرٍ أَنْتَصَارًا عَظِيمًا، وَرَجَعَ  
الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ الْمَعْرَكَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَ الْخَبْرُ قَدْ وَصَلَ  
إِلَيْهَا قَبْلَهُمْ، وَخَرَجَ أُسَيْدُ بْنُ الْحَضِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِيَسْتَقْبَلَ  
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَلَقِيَهُ فَقَالَ لَهُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْفَرَكَ وَأَقَرَّ  
عَيْنَكَ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَانَ تَخَلْفِي عَنْ بَدْرٍ وَأَنَا أَظُنُّ  
أَنَّكَ تَلْقَى عَدُوًّا وَلَكِنْ ظَنَنْتُ أَنَّهَا الْغَيْرُ، وَلَوْ ظَنَنْتُ أَنَّهُ عَدُوٌّ  
مَا تَخَلَفْتُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: صَدَقْتَ. وَلَمْ يَتَخَلَّفْ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَهَا عَنْ مَعْرَكَةٍ.

## يَوْمُ أَحَدٍ

وَمَرَّ عَامٌ عَلَى مَعْرَكَةِ بَدْرٍ، وَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ مِنْ مَكَّةَ لِيَتَنَارَ، وَخَرَجَ لَهَا الْمُسْلِمُونَ، وَسَارَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الطَّلِيعَةِ، وَالتَّقَى الطَّرْقَانِ فِي سَفْحِ أَحَدٍ، وَهَزِمَتْ قُرَيْشٌ، ثُمَّ أَعَادَتِ الْكُرَّةَ بَعْدَ أَنْ هَبَطَ الرِّمَاءُ مِنْ مَوَاضِعِهِمْ، وَجَاءَهُمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ<sup>(١)</sup> مِنَ الْخَلْفِ، وَوَقَعَ الْمُسْلِمُونَ بَيْنَ نَارَيْنِ فَانْكَشَفُوا، وَثَبَتَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَجُرِحَ سَبْعَ جَرَا حَاتٍ كُلُّهَا ذَاتُ خَطَرٍ وَغُمَقٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نِعَمَ الرَّجُلُ أُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ.

وَعَادَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْمَعْرَكَةِ وَقَدْ فَقَدُوا عَلَى أَرْضِهَا سَبْعِينَ شَهِيداً، مِنْهُمْ عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ

---

(١) حضر خالد بن الوليد أحداً مع المشركين، إذ لم يكن قد أسلم بعد، وكان إسلامه في صفر من عام ثمانية للهجرة، وشهد بعدها مؤتة، وكسرت في يده تسعة أسياف. وقاد الفتوح في العراق والشام وتوفي رضي الله عنه عام

الْمُطَلَّبُ<sup>(١)</sup> رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَمَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِدَارٍ مِنْ دُورِ  
الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي (عَبْدِ الْأَشْهَلِ) وَ(ظَفَرٍ) ، فَسَمِعَ الْبُكَاءَ  
وَالنَّوْاحَ عَلَى قَتْلَاهُمْ ، فَذَرَفَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَبَكَى  
ثُمَّ قَالَ : وَلَكِنَّ حَمْزَةَ لَا بَوَاكِيَ لَهُ ، فَلَمَّا رَجَعَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ  
وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ إِلَى دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ أَمَرَا نِسَاءَهُمْ أَنْ  
يَتَحَرَّضْنَ ، ثُمَّ يَذْهَبْنَ فَيَبْكِينَ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ عَمَّ رَسُولِ  
اللَّهِ ﷺ . فَفَعَلْنَ ، فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بُكَاءَهُنَّ عَلَى حَمْزَةَ  
خَرَجَ عَلَيْهِنَّ ، وَهُنَّ عَلَى بَابِ مَسْجِدِهِ يَبْكِينَ ، فَقَالَ : أَرْجِعْنَ  
يَرْحَمُكُنَّ اللَّهُ ، فَقَدْ أَسَيْتُنَّ بَأَنْفُسِكُنَّ ، وَنَهَى يَوْمَئِذٍ عَنِ  
النَّوْحِ .

---

(١) حمزة بن عبد المطلب : عم رسول الله ﷺ ، ويكنى أبا عمار ، أسلم في السنة  
السادسة من بعثة رسول الله ﷺ ، وهاجر إلى المدينة وأخى رسول الله  
ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة ، وعقد له رسول الله ﷺ أول لواء بعد الهجرة  
لسرية وصلت إلى سيف البحر ، وأبلى بلاء كبيراً يوم بدر ، واستشهد يوم  
أحد ، وهو أخ لرسول الله ﷺ من الرضاعة من « ثوية » .

## فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ

سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّهُمْ يَجْمَعُونَ الْجُمُوعَ لِيُغْزَوْا الْمَدِينَةَ وَذَلِكَ فِي أَوَائِلِ شَعْبَانَ مِنَ الْعَامِ الرَّابِعِ لِلْهِجْرَةِ، وَأَحَاطَ بِهِمْ فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَاسْتَوَلَى الْمُسْلِمُونَ عَلَى دِيَارِهِمْ وَمَا فِيهَا، وَاسْتَأْفَوْا أَمَامَهُمُ الْخَيْلَ وَالشِّيَاءَ وَالْإِبِلَ، وَسَبَّوْا النِّسَاءَ وَالذَّرَارِيَ، وَأَسْرَوْا الرِّجَالَ. وَلَكِنَّهُمْ أَطْلَقُوا سَرَاحَ الْأَسْرَى وَالسَّبَايَا بَعْدَ أَنْ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جُوَيْرِيَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ سَيِّدِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ بَعْدَ أَنْ أَفْتَدَاهَا أَبُوهَا، ثُمَّ أَسْلَمَتْ وَأَبُوهَا.

عَادَ الْمُسْلِمُونَ إِثْرَ هَذِهِ الْغَزْوَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَأَثْنَاءَ الطَّرِيقِ تَحَدَّثَ النَّاسُ فِي قِصَّةِ الْأَفْكِ، وَتَكَلَّمَ فِيهَا رَأْسُ الْمُنَافِقِينَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ بْنُ سُلُولٍ <sup>(١)</sup>. وَتَأَثَّرَ رَسُولُ اللَّهِ

---

(١) عبد الله بن أبي بن سلول: أحد زعماء الخزرج، اتفق قومه في المدينة قبل الإسلام أن ينصبوه ملكاً عليهم، فلما جاء الإسلام تركوا هذا، وهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وأصبح سيدها، عد ابن أبي هذا الأمر منازعة له فحقده على الإسلام ورسوله، ورفض الإسلام، فلما انتصر الإسلام في =

صَلَّى اللَّهُ تَأَثُّراً بَلِيغاً حَتَّى تَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ عَلَى الْمَنْبَرِ فَقَالَ: مَنْ يُعَذِّرُنِي<sup>(١)</sup> مِنْ رَجُلٍ بَلَّغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْراً، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْراً، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي. فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا وَاللَّهِ أُعَذِّرُكَ مِنْهُ، إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عَنْقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزَرَجِ أَمَرْنَا فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ.

وَوَقَفَ أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ يَكُونُوا مِنَ الْأَوْسِ نَكْفِكْهُمْ، وَإِنْ يَكُونُوا مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزَرَجِ فَمُرْنَا بِأَمْرِكَ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُمْ لَأَهْلٌ أَنْ تَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ.

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ، فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَا نَضْرِبُ أَعْنَاقَهُمْ، أَمَا وَاللَّهِ مَا قُلْتَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ إِلَّا أَنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُمْ مِنَ الْخَزَرَجِ، وَلَوْ كَانُوا مِنْ قَوْمِكَ مَا قُلْتَ هَذَا!

فَقَالَ أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ

---

= بدر، أظهر اعتناقه خوفاً على نفسه وأظهر النفاق وأذى المسلمين بلسانه، ومات بعد غزوة بني المصطلق.

(٢) يُعَذِّرُنِي: يَنْصِفُنِي، أَعَذَّرَ فُلَانًا: أَنْصَفَهُ.

تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ . لَمْ يَكُنْ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَّا رَجُلًا صَالِحًا ، وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزَرَجِ ، إِلَّا أَنَّ حُبَّ أَسِيدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَتَأَثَّرَهُ مِمَّا قِيلَ جَعَلَهُ يَتَحَمَّسُ ، وَيَطْلُبُ الْقِصَاصَ مِنْ أَوْلِيَاءِ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا فِي حَادِثَةِ الْإِفْكِ وَخَاصَّةً ذَلِكَ الْمُنَافِقَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْأَذْيِ تَوَلَّى كِبْرَهُ<sup>(١)</sup> .

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ، لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ، بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ، وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ . لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾<sup>(٢)</sup> .

---

( ١ ) تولى كبره : قال معظم ذلك القول .

( ٢ ) سورة النور : ١١ - ١٢ .



## مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كَانَ أَسِيدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَاتَ يَوْمٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ وَيَرْوِي  
لَهُمْ بَعْضَ الطَّرَفِ فَسَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَمَزَهُ رَسُولُ اللَّهِ فِي  
خَاصِرَتِهِ بِيَدِهِ .

فَقَالَ أَسِيدٌ : أَوْجَعْتَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ .

فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : أَقْتَصَّ مِنِّي يَا أَسِيدُ .

فَقَالَ أَسِيدٌ : إِنَّ عَلَيْكَ قَمِيصًا وَلَمْ يَكُنْ عَلَيَّ قَمِيصٌ حِينَ  
عَمَزْتَنِي . فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَمِيصَهُ عَنْ جَسَدِهِ ، فَهَجَمَ عَلَيْهِ  
أَسِيدٌ وَبَدَأَ يُقَبِّلُ مَا بَيْنَ إِبْطِهِ وَخَاصِرَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ : أَبَايَ أَنْتَ  
وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهَا لَبُعْيَةٌ كُنْتُ أَتَمَنَّاها مِنْذُ عَرَفْتُكَ ،  
وَقَدْ بَلَغْتُهَا الْآنَ . وَيَقُولُ أَسِيدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : جِئْتُ مَرَّةً إِلَى  
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرْتُ لَهُ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ الْأَنْصَارِ فِيهِمْ  
مَحَاوِجُ ، وَجُلٌّ أَهْلُ ذَلِكَ الْبَيْتِ نِسْوَةٌ ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ  
وَالسَّلَامُ : لَقَدْ جِئْتَنَا يَا أَسِيدُ بَعْدَ أَنْ أَنْفَقْنَا مَا بَأْيَدِينَا ، فَإِذَا  
سَمِعْتَ شَيْئًا قَدْ جَاءَنَا فَأَذْكُرْ لَنَا أَهْلَ ذَلِكَ الْبَيْتِ .

فَجَاءَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ مَالٌ مِنْ خَيْبَرَ فَقَسَمَهُ بَيْنَ  
الْمُسْلِمِينَ فَأَعْطَى الْأَنْصَارَ وَأَجْزَلَ، وَأَعْطَى أَهْلَ ذَلِكَ الْبَيْتِ  
وَأَجْزَلَ. فَقُلْتُ لَهُ: جَزَاكَ اللَّهُ عَنْهُمْ - يَا نَبِيَّ اللَّهِ - خَيْرًا.

فَقَالَ ﷺ: وَأَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ جَزَاكُمْ اللَّهُ أَطِيبَ  
الْجَزَاءِ، فَإِنَّكُمْ - مَا عَلِمْتُ - أَعَفَّةٌ صَبْرٌ، وَإِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ أَثَرَةَ  
بَعْدِي، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي، وَمَوْعِدُكُمْ الْحَوْضُ.

## فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ

وَشَهِدَ أَسِيدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَتُوَفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ .

وَأَنْتَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الرِّفْقِ الْأَعْلَى، وَجَاءَ ذَلِكَ صَدَمَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ، وَخَشِيَ الْأَنْصَارُ أَنْ يَتَأَلَّبَ الْأَعْرَابُ عَلَيْهِمْ، وَالْمَدِينَةُ بِلَا حَاكِمٍ، فَاجْتَمَعُوا لِاخْتِيَارِ خَلِيفَةٍ لِرَسُولِ اللَّهِ بِصِفَتِهِمْ أَكْثَرِيَّةَ سُكَّانِ الْمَدِينَةِ وَأَهْلِهَا، وَنِقْمَةُ الْأَعْرَابِ إِنَّمَا تَنْصَبُ عَلَيْهِمْ، فَالْتَقَوْا فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَاخْتَارُوا سَيِّدَ الْخَزَرَجِ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَوَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى الْمُهَاجِرِينَ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَحَدَّثَ نِقَاشٌ، فَوَقَفَ أَسِيدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالْأَمْرُ قَرِيبٌ مِنْهُ لَوْ تَمَّ لِلْأَنْصَارِ فَهُوَ سَيِّدُ الْأَوْسِ بِلَا مُنَازِعٍ وَلَكِنَّ الْمَوْضُوعَ لَيْسَ بِرِعَايَةٍ وَلَا بَغْنَمٍ، وَإِنَّمَا مَسْئُولِيَّةٌ وَعَهْدٌ مَعَ اللَّهِ. وَقَفَ فَقَالَ: تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَخَلِيفَتُهُ إِذَنْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ. وَلَقَدْ كُنَّا أَنْصَارَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْنَا الْيَوْمَ أَنْ نَكُونَ أَنْصَارَ خَلِيفَتِهِ. وَلَوْ

تَوَلَّاهَا الْخَزْرَجُ لِنَازَعِهِمُ الْأَوْسُ، وَلَوْ أَخَذَهَا الْأَوْسُ لَنَافَسَهُمُ  
 الْخَزْرَجُ، وَلَكِنَّهَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَلَنْ يُنَافِسَهُمْ أَحَدٌ. فَسَكَتَ  
 الْأَنْصَارُ، وَبَايَعَ النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ سَيِّدُنَا  
 أَسِيدٌ مِنَ الْأَوَّلِ الْمُبَايَعِينَ.

وَلَقَدْ كَانَ أَسِيدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِعْلاً نَصِيراً لِخَلِيفَةِ رَسُولِ  
 اللَّهِ ﷺ، يَنْصَحُهُ وَيُسَاعِدُهُ وَعَوْنًا لَهُ فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ مِنْ قَضِيَّةِ  
 الْمُتَرَدِّينَ حَتَّى قَضِيَّةِ الْبَيْعَةِ لِلْخَلِيفَةِ بَعْدَهُ، وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ  
 اللَّهُ عَنْهُ يَسْتَشِيرُهُ فِي كِبَرَيَاتِ الْأُمُورِ، وَيُقَدِّمُهُ فَقَدْ كَانَ مِنْ  
 عَلَيْهِ الصَّحَابَةِ.

## مَعَ بَيْعَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

بَدَأَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي أَوَاخِرِ حَيَاتِهِ يَسْتَشِيرُ  
الصَّحَابَةَ فِيمَنْ يَلِي أَمْرَ الْخِلَافَةِ، وَيَسْأَلُهُمْ عَنْ عُمَرَ بْنِ  
الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِصُورَةٍ خَاصَّةٍ، وَكَانَ مِمَّنْ اسْتَشَارَهُمْ  
أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ أُسَيْدٌ: «اللَّهُمَّ أَعْلَمُهُ  
الْخَيْرَةَ بَعْدَكَ، يَرْضَى لِلرِّضَا، وَيَسْخَطُ لِلْسُّخْطِ، وَالَّذِي يُسِرُّ  
خَيْرٌ مِنَ الَّذِي يُعْلِنُ، وَلَنْ يَلِي هَذَا الْأَمْرَ أَحَدٌ أَقْوَى عَلَيْهِ  
مِنْهُ». مَا أَجْمَلَ هَذَا الْكَلَامَ! وَحَبَّذَا لَوْ نَظَرْنَا إِلَيْهِ وَإِلَى مَقَالَةِ  
زَعِيمِ الْيَوْمِ يُسْأَلُ عَنْ رَجُلٍ لِمِثْلِ هَذَا الْمَنْصِبِ، وَهُوَ يَصْلُحُ  
لَهُ أَيْضًا.

## مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

يَقُولُ أَسِيدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَمَّا آتَى الْخِلَافَةَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَسَمَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مَالًا وَمَتَاعًا، فَبَعَثَ إِلَيَّ بِحُلَّةٍ فَاسْتَصَغَرْتُهَا. فَبَيْنَا أَنَا فِي الْمَسْجِدِ إِذْ مَرَّ بِي شَابٌّ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَيْهِ حُلَّةٌ سَابِغَةٌ مِنْ تِلْكَ الْحُلَلِ الَّتِي أَرْسَلَهَا إِلَيَّ عُمَرُ، وَهُوَ يَجْرُهَا عَلَى الْأَرْضِ جَرًّا؛ فَذَكَرْتُ لِمَنْ مَعِيَ حَدِيثًا قَالَهُ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ أَثَرَةَ بَعْدِي» وَقُلْتُ: صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فَقَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ مَا قُلْتُ، فَجَاءَنِي مُسْرِعًا وَأَنَا أَصْلِي، فَلَمَّا قَضَيْتُ صَلَاتِي أَقْبَلَ عَلَيَّ عُمَرُ وَقَالَ: مَاذَا قُلْتَ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا رَأَيْتُ وَبِمَا قُلْتُ.

فَقَالَ عُمَرُ: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ، تِلْكَ حُلَّةٌ بَعَثْتُ بِهَا إِلَى فُلَانٍ، وَهُوَ أَنْصَارِي عَقَبِي بَدْرِي أَحَدِي، فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ هَذَا الْفَتَى الْقُرَشِيُّ وَلَبِسَهَا. أَفَتَظُنُّ أَنَّ هَذَا الَّذِي أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَكُونُ فِي زَمَانِي؟

فَقُلْتُ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ  
فِي زَمَانِكَ.

## وَفَاتُهُ

تُوفِّيَ سَيِّدُنَا أَسِيدُ رَضِيِّ اللَّهِ عَنْهُ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ عِشْرِينَ  
أَيَّامَ خِلَافَةِ سَيِّدِنَا عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَحَمَلَهُ  
الْخَلِيفَةُ بَيْنَ الْعَمُودَيْنِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ حَتَّى وَضَعَهُ  
بِالْبَقِيعِ وَصَلَّى عَلَيْهِ بِالْبَقِيعِ.

تُوفِّيَ أَسِيدُ وَعَلَيْهِ أَرْبَعَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ دِينًا، وَكَانَ مَالُهُ يُغَلِّ  
كُلَّ عَامٍ أَلْفًا فَأَرَادُوا بَيْعَهُ قَبْلَ ذَلِكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَبَعَثَ  
إِلَى غُرَمَائِهِ فَقَالَ: هَلْ لَكُمْ أَنْ تَقْبِضُوا كُلَّ عَامٍ أَلْفًا فَتَسْتَوْفُوهُ  
فِي أَرْبَعِ سِنِينَ؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَأَخْرَوْا ذَلِكَ  
فَكَانُوا يَقْبِضُونَ كُلَّ عَامٍ أَلْفًا.

## عِبَادَتُهُ

كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَثِيرَ الْعِبَادَةِ وَبِخَاصَّةٍ فِي اللَّيْلِ ،  
وَتَطِيبُ لَهُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ آنَ ذَاكَ ، وَكَانَ عَذَبَ الصَّوْتِ  
﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا  
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ، فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ  
أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup> .

وَكَانَ مَرَّةً يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ وَبِجَانِبِهِ  
فَرَسُهُ ، فَبَدَأَتْ تَجُولُ تَكَادُ تَقْطَعُ رِبَاطَهَا ، فَتَوَقَّفَ عَنِ الْقِرَاءَةِ  
فَسَكَتَتْ ، وَلَمَّا عَادَ إِلَى قِرَاءَتِهِ عَادَتْ فِي نُفُورِهَا ، وَتَكَرَّرَ ذَلِكَ  
عِدَّةَ مَرَّاتٍ ، وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى بِجَانِبِهِ نَائِمًا فَخَشِيَ عَلَيْهِ ،  
وَحَانَتْ مِنْهُ الَّتِفَاتُ نَحْوَ السَّمَاءِ فَرَأَى غَمَامَةً ، فَلَمَّا أَصْبَحَ سَأَلَ  
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ :

« تِلْكَ السَّكِينَةُ نَزَلَتْ لِلْقُرْآنِ وَلَوْ أَنَّكَ مَضَيْتَ فِي  
قِرَاءَتِكَ لَرَأَاهَا النَّاسُ وَلَمْ تَسْتَرِ مِنْهُمْ » .

---

(١) السجدة: ١٦ - ١٧ .



عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ وَعِنْدَهُ فَرَسٌ مَرْبُوطٌ بِشَطْنَيْنِ، فَتَغَشَّاهُ سَحَابَةٌ، وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ مِنْهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ فَقَالَ: «تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنْزَلَتْ لِلْقُرْآنِ»<sup>(١)</sup>.

وَكَانَ أَسِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ قَوْمِهِ فَأَشْتَكَى فَصَلَّى بِهِمْ قَاعِدًا، فَصَلَّوْا وَرَاءَهُ فُعُودًا<sup>(٢)</sup>

---

(١) متفق عليه .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد .

## الفهرس

صفحة

الموضوع

٣٠٥	نسب أسيد بن الحضير
٣٠٨	إسلام أسيد بن الحضير
٣١٤	بيعة العقبة الثانية
٣١٦	يوم بدر
٣١٨	يوم أحد
٣٢٠	في غزوة بني المصطلق
٣٢٣	مع رسول الله ﷺ
٣٢٥	في سقيفة بني ساعدة
٣٢٧	مع بيعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
٣٢٨	مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه
٣٢٩	وفاته
٣٣٠	عبادته

# الفهرس العام

صفحة

الموضوع

- ١ — أبو سبرة بن أبي رهم ..... ١
- ٢ — أبو سلمة عبدالله بن عبد الاسد المخزومي ..... ٢٣
- ٣ — عبدالله بن جحش ..... ٤٥
- ٤ — الزبير بن العوام ..... ٧٧
- ٥ — زهير بن أبي أمية ..... ١١٧
- ٦ — سهيل بن عمرو ..... ١٤١
- ٧ — سعد بن معاذ ..... ١٦٩
- ٨ — عبّاد بن بشر ..... ٢٤٧
- ٩ — محمد بن مسلمة ..... ٢٧٧
- ١٠ — أسيد بن الحضير ..... ٣٠١

